البروق النجدية

في

اكتساح الظلمات الدجوية

تأليف

عبد الله بن علي النجدي القصيمي

يا طالب الميت ما قد ظلمت تطلبه   وسائل الميت دفع الامر ترهبه
لو كان ذا قدرة ما كان مرتهنا   في الترب للدود يبليه ويركبه

مطبعة المنار بمصر

سنة ١٣٥٠ هـ

١٩٣١ م

صمتنا فخال الصمت عجزاً ولكنة

لقد ذل من كنا له الخصم والحربا ... وعز الذي كنا له السّلم والحبه
ولاقى الذي يبغيه من طاع أمرنا ... ولاقى الذي قد رده الويل والكربا
وخاف الذي نقليه من ظل شخصه ... ولم يخش من نهوى الاراقم والغلبه
وسار على حد الحسام وليِّنا ... وفي النار لم يخش الحرارة والشّذبه
ونال بذكرانا الصديق مراده ... وأجلى به عنه المخاوف والخطبا
وفل به حد الزمان وغربه ... وردبه الضرغام ـ إن صال ـ والذئبا
وطال السموات الأولى نحن عضدهم ... وما ضل غيباً من نكون له قلبا
وجاب امرؤ كنا له الرّجل ماناًى ... وجاب بها ـ لم يتْعب ـ الشرق والغربا
وماتت بأرياح تمر بأرضنا ... عدانا ، اذا مرت بآنافهم هبّا
وزلزل أرض الظالمين وسقفهم ... بأنفاسنا واستاقت النفس واللبّا

***

لحقنا وإنا نائمون عداتنا ... وقد بالغوا حذراً وقد أمعنوا خبّا
وصيدْنا نمور العالمين وأسدهم ... بلفظ ، ولم نشرع قناة ولا عضبا
لنا شرف الدنيا تليداً وطارفا ... وعلياؤها ، فاستنطقوا الدهر والكتبا
فلو تنسب العلياء للناس نفسها ... لما وجدت أصلا سوانا ولا مَرْبى
فمنا استفاد الخلق كل فضيلة ... أريناهم صنع الصنائع والرّبّا
ومنا دروا قود القنابل في الوغى ... ومنا دروا فلق الجماجم والضربه
ومنا دروا أطر الكَمِيّ وأسره ... واطعامه نسراً وادخاله تربه
ومنا دروا سلب الملوك عروشهم ... بأيد أبت أن تمسك المال والنهبا
ومنا دروا كيف التسابق للردى ... بأفئدة لا تحمل الذل والرعبا

سننا لاهل الارض كل كريمة وفضل وعلمناهم الفرض والندبا

***

فمن مبلغ عني عدوّا رسالة مملأة زجراً مثقلة عتبا
عدواً أرته النفس حقاً ضلاله وكذب المنى صدقا وصدق المنى كذبا
رمته بأرض نبتها الاسد والظبا تضيّف من قد جاءها الفرس والشطبا
تراقب من قد جاء رقبة عاشق كما راقب المصبوب حباً به صبا
معوّدة أن لا يمر بأرضها عدو فينجو ـ فضّل المشي أو خبّا
تقتل من قد جاء عفواً بزأرها اذا زأرت ضل المذاهب وانكبا
وإن كشرت أنيابها ضاع رشده وخر على الأذقان مستخبلا خلبا
صمتنا، فخال الصمت عجزاً ولكنه غفرنا، فظن الغفر من غيه رهبا
ضحكنا، فخال الضحك مدحاً لحاله نظرنا، فظن العين تنظره حبا
ألم يدر أن الموت يأتيه صامتاً وان بنات الدهر تمهله غضبى؟
وان ابتسام السحب قبل بلائه وينظره الضرغام إن قارب الوثبا
فيا آملا منا بلوغ مؤمل بقيت بلا شيء وساءت لك العقبى
فلو قُدت أطراف النجوم بخطامها لما نلت ماترجوه من عندنا غصبا
فما أنت والايام، لم تقض سؤلها ولا بعضه منا، خداعا ولا حربا
وما أمنا ـ يا فائل الرأي غالب ليقضي منا القصد قبلك إن نابى
فكيف بمن لو أنني لحت واقفاً هوى ساجداً من خشيتي وقضى النحبا
ومن لو رآني لم ينم من مهابتي وخيلني من ذعره الأكل والشربا
ومن لو جرى ذكري وبيني وبينه مسيرة عام قائماً لا نكفا رعبا

***

صبرت طويلا كي تفيء عن العمى وتشرب كأس الذل من خوفنا عبا

فكنت كحال الجرح يزداد قيحه　　اذا ماسها عنه الطبيب وما طبا

فلما رأيتُ الامر صعباً مآله　　وما ينفع الغفران إلا الفتى الضربا

وان ازدياد العفو يغفر شأننا　　ويدري موات الذهن في غفرنا غَذْبا

* * *

خلقت على الاحداث جَلداً مغامراً　　فما أرهب الآفات، كلا ولا الصعبا

فلو أبصرت عيني المنون مجسداً　　لصافحته لم أونس الخوف والرجبا

تمر بأذني القاتلات كأنني　　سمعت ـ لصبري ـ ناعباً رجّع النعبا

فلا مفزع أخشى، ولا هائل ثنى　　ولا نشب أرضى، ولا رشأ أصبى

سواء كسبت المال او عشت معدماً　　اذا ما كسبت الحمد والمنصب الرحبا

فأضحيت خلو القلب من كل مأرب　　سوى مأرب العلياء أضحى له الأربا

أتيت مهيباً كالحسام معظما　　ونبراس ظلماء يضيء وما يخبى

به رفقتي يهدون إن ضل هديهم　　ويسرون إن ضلوا الاهلّة والشهبا

بعزم كعزم الشمس في وجه سيرها　　فلا هول يثني ما اهاب وما أربى

وحدس بسر النفس، والقلب بائح　　فما سهمه ناب، ولا زنده مخبي

إذا قلت قولا أمّن الدهر واستحى　　وهاب مقالي أن ينازعه الدربا

واسمع بهم الأغرار حمقا وضلة　　فأهجره هونا واتركه رغبا

فيوهم ميت النفس اني حمدته　　وأني له هاوٍ وأني به مصبي

ومابي سوى كبرى عليه وعزتي　　وفي الكبر والهجران مالم يكن ذنبا

لئن كنت في نفسي زهوًّا ومعجباً　　فبعض الذي فيها يملئني عجبا

عبدالله بن علي القصيمي

والنيران ، وأغضب عليه الرحمن والانسان .وانما المحمود منه ما أكسب الذكر في الدنيا والجنة في الاخرى . هذا

وانه درجات ومنازل .فأعلاها ما كثر خيره ، وزادنفعه ، وسما موضوعه وكرمت أصوله ونمت فروعه ، وما كان الخطأ فيه عظيما ، والضلال عنه جليلا

وأشرف العلوم على الاطلاق مادل على الآخرة ، وبصر بالباقية : التي الغبن فيها شر غبن ، والضلال فيها أقبح ضلال ، والزلل في طريقها أقتل زلل ، والعمى عن سبيلها أصرع عمى . لاتقبل فيها استقالة ، ولا تنفع وسيلة ولا شفاعة . إما نار أبد الآبدين ، او جنة عوض العائضين (فريق في الجنة وفريق في السعير)

ونحن في زمان هرم خيره ، شباب شره ، نائم رشاده ، صاح فساده ، قليل منصفه ، كثير متعسفه . أفلت فيه شمس الهدى ونجمه ، ودجا فيه ظلام الغي و ظلمه ، فتقدم متأخره ، وتأخر متقدمه . تلاعبت باهله الاهواء ،ومزقت جماعتهم الآراء . تسابقوا إلى المنكرات ، وتنافسوا في الجزئيات . ملكت قلوبهم الانانية وأعمت أبصارهم وبصائرهم الحمية . ركب كل هواه ، وكافح عما يحبه ويرضاه وان طرده القرآن وقلاه ، وصادمه العقل وأباه . يفاخر بما يبرز من الضلال ويبدع من الزيغ ، وصار الشجاع العاقل هو المجاهد بالغرائب والمصائب ، والاديب الملهم هو الداعي إلى البدع المضلة والعجائب الاثيمة. فعظم الويل ، واشتد الكرب واتسع الخرق ، واغتلم الداء ، واعوز الدواء . حتى كأنا في الجاهلية الاولى،قبل الهدايه المحمدية ، والانوار القرآنية . بل هم أسوأ حالا ، وأعظم ضلالا ،وأكثر طغيانا ، وأقل احساناً. فلقد انقسم الناس اليوم إلى ثلاث فرق : ـ

﴿ الفرقة الاولى ﴾ المشار اليهم بقوله تعالى (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لايفقهون بها، ولهم أعين لايبصرون بها،ولهم آذان لايسمعون بها . اولئك كالانعام بل هم أضل اولئك هم الغافلون)وقوله (ومثل الذين كفروا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى ، وأشهد ان لا إله الا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، وخيرته من خلقه ، بعثه الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً . اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه الى يوم الدين

(أما بعد) فاعلم ـ ألهمني الله وإياك سبيل الرشاد ، وجنبنا طريق الغي والفساد ـ أن العلم أفضل طلبة، وأعظم رغبة ، وأشرف نسبة ، وأسمى رتبة ، وأحسن قربة ، وسيلة كل نجاح ، وشفيع كل فلاح . يقي صاحبه الاذى ، ويكسبه الحمد والعلا ويبلغه أقصى المدى ، ويكفيه شر العدى ، ويعصمه من الردى . يصيّر الحقير شريفا ، والوضيع غطريفاً ، والامير مليكا ، والملك ملكا ، يطول القصير، ويقدم الاخير ، ويعلي النازل ، ويشهر الخامل ، ويضمن لحامله التخليد ، ويجري له التحميد والتمجيد ، ويملأ له الافواه ثناء ، وذكراً ودعاء ، ويجعله للمحافل روحا وريحاناً ، وللخطباء قلباً ولساناً ، وللشعراء مصراعاً وميزاناً ، وللكتب ديباجة وعنواناً ، وللعلماء حجة وبرهاناً، وللحرب سيفاً وسناناً . يوصله الى الآفاق من غير تسيار ، ويتغنى بذكره المقيمون والسفّار ، وينيله العزة بلا أعوان ولا أنصار ، والمحبة بلا درهم ولا دينار . ماشيد ملك الاعلى دعائمه ، ولا زال الاعلى طواسمه ماعزت دولة إلا بانتشاره ، ولا ذلت إلا باندثاره . ولولا العلم ماطار الانسان في الجو كالعقبان ، ولا غاص في البحار كاسراب النينان .

ولكن ما كل علم محمود . فرب علم خير منه الجهل ، ويقظة خير منها الرقدة وتذكرة أحسن منها الغفلة ، وبصر أفضل منه العمى ، وذكاء أجمل منه الغباء . فكم علم هوى بصاحبه في الهوان ، وأعقبه الذل والخسران ، وخلده في العذاب

كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون) وقوله (والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم) وهم المعنيون بقول الشاعر:

وبعض الرجال نخلة لاجنى لها ولا ظل، إلا أن تعد من النخل

وهم قوم أزياؤهم أزياء الاناسي، وصورهم صور العقلاء، ونفوسهم نفوس العجماوات، وأخلاقهم أخلاق الطير، وهممهم هم البهائم، مقصورة على الطعام والشراب، والنكاح والنطاح، والصهيل والنهيق، والفدفدة والنعيق، والثغاء والرغاء. إذا شبعوا مرحوا وفرحوا، وان جاعوا صاحوا وترحوا. يرضون بالدنية، ويقبلون الضيمة. يسوقهم الصغير، ويملكهم الحقير. ينجفلون من العلياء انجفال الظلام من النور، ويهربون من الفضل، هرب البرد من الحرور. يتهافتون على الغفلة والحطة تهافت الفراش على النبراس، ويأرزون إلى النقيصة أروز الدود إلى الميتة. لا يطمعون في ذكر الدنيا، ولا اجر الاخرى. ولا يهابون مذمة العاجلة، ولا عذاب الآجلة. نظر الواحد أقصر من قدره، وقدره أقصر من ظفره. فبهؤلاء ولدت ام الغباء، وعقمت ام الذكاء، وضاقت الديار، وغلت الاسعار. وهم أكثر ماترى، لا أقول من ترى. شغل الله بهم بطن الارض وأراح منهم ظهرها.

﴿ الفرقة الثانية ﴾ المعنيون بقوله تعالى (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على مافي قلبه وهو ألد الخصام * واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد * واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد) وقوله (واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون * ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون * واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس، قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ؟ ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) وقوله (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا؟

أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون؟ إن هم إلا كالانعام بل هم أضل سبيلا)

وهم فرقة همها العلو في الارض ، والقضاء على الندب والفرض ، مألوههم أن يكونوا مألوهين ، وعبادتهم ان يعودوا معبودين ، عبيد آرائهم ، وأرقاء أهوائهم يتسامون بالظلم ، ويتخاضون على الاثم . الحاذق فيهم هو المكين في الضلال ، والشجاع هو الجريء في الجريمة والخبال ، والمقدّم المقْدِم على قتل الفضائل ، واحياء الرذائل ، اعتقد ألا حياة سوى هذه الحياة ، ولا دار سوى هـذه الدار ، ولا شقاوة ولا سعادة عدا شقاوتها وسعادتها ، فرآها الاولى والاخرى ، والمبتدا والمنتهى

وهذا الفريق يشب شبابا عجيبا ، وينمو نمواً سريعا ، ويأخذ القلوب أخذاً ويتسور البلاد تسوراً . شاب لدى الشبان ، فتى عند الفتيان ، قوي في حضرة الاقوياء ، فيـه تجلى الجبروت الانساني ، والعدوان النفساني ، الذي كان يخيفه الخوف من الآخرة ، ويرغبه أمل الجنة الخالدة ، والذعر من عقاب الجبار وانتقام القوي القهار . أمن تلك الخصال التي تحطم الانسان عن الوقوع في الامور الاثيمة ، وتذوده عن الرتوع في مزارع الخطيئة ، والوقوع على أغصان الجريمة ، فأرخى لنفسه الظالمة الزمام ، غير مبال بما يكون ، ولا خائف مما يحدث ، فالحرام عند هؤلاء ماحرموه ، والممنوع مامنعوه

وناهيك بالنفس الانسانية إثما ، وكافيك بها جرما ، فلكم أنّت منها الارض والسموات ، وبكت من عسفها الصامتات والناطقات ، وزلزلت الكرة الارضية لما ألقت على متنها من الآثام ، وما لوثتها به من الارجاس ، حتى خشينا أن تميد بساكنيها غضباً ، وتنسفهم جزاءاً وتعباً (وما كنا له كارهين)

وبهذه الفرقة ظهر للعقلاء فضل الاديان ، وحسن تأثيرها في مجتمع الانسان وعلموا افتقاره اليها افتقار الجسم إلى الروح ، والروح إلى الجسم . وانه لانظام ولا عدل بلا أوامر ربانية ، وترغيبات وترهيبات إلٓهية ، تحجز النفوس عن السير

حسبما جبلت عليه من الشر والعسف ، وماخلقت مستعدة له من التعدي والحيف .

﴿ الفرقة الثالثة ﴾ قوم فيهم نوع ورع وعبادة ، وخشية وزهادة ، وتأله وتنسك ، مع نوع من ضعف العقل ، وقلة التمييز . آمنوا ان هناك داراً غير هذه الدار ، وحياة أكمل من هذه الحياة وأطول ، وان لهم بعثاً وحسابا ، وثوابا وعقابا وجنة أو ناراً ، وسعادة أو شقاوة .

بيد أن هذا الفريق ابتلي بكثرة الاختلاف وطول الشقاق ، واحتدام التشاكس ، وأصيب ـ علاوة على ذلك ـ باشراب قلبه حب الخرافات الشيطانية والبدع العقيمة ، والخزعبلات الوبيلة ، التي أفسدت العقول ، وأماتت الانفس ، وغيرت الكتب المقدسة ، وشوهت أقوال الرسل ، حتى ذهبت بهجتها ! وخلقت جدتها ، وعفت جادتها ، وصار الطالب لها غير واجد ، والمسترشد إليها غير مرشد ، والمحب لها غير مطيق !! ولاسيما العامة الذين لم يستعدوا الاستعداد المهيء لأن يبحثوا حتى يصلوا إلى الحق

وأضحى العامي التقي الطالب النجاة تتجاذبه أقوال العلماء وأشباه العلماء ، بين التحليل والتحريم ، والتصويب والتأثيم ، يغدو إلى هذا فيقول له : هذا حرام وهذا حلال ، ويروح لآخر فيوافيه بضد ماقال الاول ، ويحكم له خلاف حكم الاسبق ، فيبقى كريشة بين أرياح مختلفة المذاهب ، وقذاة بين أمواج متداخلة متخالجة . فيظل حائراً ، باكيا حظه ، نادباً جده ، في زوابع الحيرة والشكوك ، وعواصف الاسف والارتياب ، يحنق على الدين ويدعو على العلماء المحيرين له في سيره ، المضلين له في طريقه . وقد توقعه تلك الحيرة ـ والعياذ بالله ـ في الفسوق عن جميع الاديان ، أو الاعتناق لدين آخر غير الاسلام . والجريرة ـ إن لم تكن على محيريه فقط ، وهو براء ـ فهم شركاؤه وهم وإياه في الاثم سواء .

وإن من ينظر إلى ذلك الرجل المسكين بعين العدل والانصاف . يرى ان العتب في حقه قليل ، والجرم في حق من وضعوا أنفسهم موضع الارشاد والتعليم ـ كبير ،

وان كان الواجب عليه أن يبحث عن طائفة الحق والهدى الذين لم يخل الله منهم الارض . ولايزالون قائمين حتى يأتي أمر الله ، وهم على الحق المبين . هذا اذا كان السائل ناصحا لنفسه ، حريصاً على الوصول الى رضا ربه

وأما إن كان السائل قليل العناية بالوصول الى مرضاة ربه ، هزيل العقيدة ، فاقد التقوى . فهو اذا سأل اختلفت عليه الفتاوى ترك الدين مرة وخرج منه ومن قيوده ، ونسب العلماء إلى الجهل والغباوة ، وانهم لم يعرفوا -إلى الآن- الواجب من غير الواجب ورأى ان لاشيء عليه ، لان القادة اختلفوا ، فلا يدري المصيب من المخطيء ، ولا المحق من المبطل . ويقول : العلماء لدي سواء فلا أرجح واحداً على الآخر

وذلك كثير واقع . بل أغلب العامة في العصر الحاضر من هذا الجنس ..

والاختلاف وقع في كل الاديان وجميع الشرائع ، وغلب فيها لبس الحق بالباطل . وقد أخبرنا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم بما كان قبل أن يكون ، وحذرنا منه ، وأعلمنا أننا سنقع فيما وقعت فيه الامم قبلنا من الاختلاف والاضطراب ، واختفاء سبيل الحق واندثار الصواب .

وما زال الخلاف في الاسلام بين أهله منذ القرن الثاني الهجري ، يطفو وينمو إلى يومنا هذا . حتى بلغ الغاية الكبرى ، والنهاية القصوى ، وفعل في الدين وأهله الافعال الشديدة ، ونكأهم النكأ المنيف ، وأدال منهم لاهل الشرك ، وأعاد للشرك والكفر ملكه البائد ، وعزه المسلوب . وجعل عدو الاسلام ينال منه مأربه ، ويمضي فيه أمره ونهيه .

أجل . انه فعل ذلك لما لم نسمع ونطع لقوله تعالى (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين) وقوله (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا) وقوله (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء)

وقوله (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) . ولم نتخذ من هذه الشرائع القيمة عصمة لنا وموئلا ، بل اعتصمنا بالآراء ، وعذنا بالاهواء ، فذهبت ريحنا وتمزق شملنا وفشل جمعنا

وأصابنا عذاب عظيم وحق علينا قول ربنا (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وعدنا بعد العز أذلاء ، وبعد الغنى فقراء .

في كل يوم يريهم الله آياته فلا يبصرون، ويضرب لهم أمثالا فلاينتفعون. ويعظهم أغلى العظات فلا يتعظون (ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون)

ولقد كان الفريق الأخير — بعجره وبجره — فتنة للفريق الثاني ، وعاملا نشيطا على ادخالهم فيما هم فيه من الحط على الاديان ، والنقيصة من الشرائع السماوية والسخرية منها . فانهم لما رأوا ما عند هذا الفريق المنتسب للدين ، المدعي التمسك بالوحي المبين ، من الخرافات المخزية ، والبدع السخيفة الماحقة للعقول ، والعادات المهلكة للفضائل والكمالات ـ ولا معرفة لهم بالدين إلا ما يرونه عند هؤلاء ، فهم الميزان له والمثال ـ أنفوا منه وأكبروا أن يدينوا دينا داعياً الى السخافات ، اللائي تشاكه أفعال المجانين، وتحاكي روايات المبرسمين. حقا لقد صار ذلك مبعداً للمسلمين عن دينهم ، وجاعلا الشبان ينبذونه وراء ظهورهم ، بأصوله وفروعه .

وذلك مثل ما كثر فيهم وبلوا به، من الالتجاء الى أصحاب القبور ، والتضرع الى الاموات ، والسؤال لهم ، والتقبيل للاعتاب والابواب ، والتمسح بها ، والاستغاثة بأهلها والالتجاء اليهم في الشدائد والكروب، وغير ذلك من الخبائث التي تنفطر منها أكباد أهل القرآن ، وتبكي لها عيون أصحاب الايمان .

كيف يقبل العقلاء في عصر فتح العلم فيه أكامه ، وتوردت وجناته ، وفي إبان الحضارة الراقية ، والتمدن الباهر، أن يتمسحوا بالاحجار ؟ ويقبلوا الابواب والاعتاب ، وأن يضرعوا إذا نابتهم نائبة الى عظام بالية، وقبور خاوية ، لتكشف

نائبتهم ، وتزيل كربتهم ؟!!.. انهم ليأبون ذلك كل الاباء ، ويقلونه غاية القلى .

ولقد استعاذ الانبياء والمؤمنون، وسألوا خالقهم ألا يجعلهم فتنة للناس، فقالوا (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا، ربنا انك أنت العزيز الحكيم) وقال قوم موسى (على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين) إذ إضلال الناس قبيح بالحال ، كما هو قبيح بالاقوال، فان كلا الامرين مبعد عن الطريق السوي . وربما كان بالحال أشد ابعاداً ، لان القدوة أقوى في النفوس تأثيراً، ولذا يقول الله لنا (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)

وما ذم الاضلال بالقول لانه ألفاظ . بل لانه ابعاد عن الله ودينه . وورد في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال « أعظم الناس في الاسلام جرما من سأل عن شيء فحرم من أجل مسألته » هذا اذا كان سائلا مسترشداً عن الحق، والسؤال مطلوب ـ كان أعظم الناس ظلما وإنما لما يكون من سؤاله من ايجاد حرج للناس في تحريم المسئول عنه !! فكيف بمن ارتكب بدعا باطلة عقلا وشرعا. فكفر الناس من أجله ؟!. فما تظنون بإثمه ؟؟!..

فوق هذا فقد صرنا بتلك العادات السخيفة والبدع الخرافية الباطلة أضحوكة لاعدائنا ، من شرقيين وغربيين . يهزؤون بديننا ! ويسخرون من عقولنا ! حتى انتفع المبشرون بدعوتهم انتفاعا عظيما . وصارت شافعاً ووسيلة لرواجها وولوجها في قلوب الناس . والمسلمون لا يشعرون . ولو شعروا لا يعلمون ! (ولو علم الله فيهم خيراً لاسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون)... ذلك

وان من الادوار المخزية ، والمواقف المزرية ، ما قامت به مجلة « نور الاسلام » الازهرية من الطعن والتشهير والذم والتسخيف والتجهيل والتضليل لجماعة المسلمين ، (الوهابيين) بعبارات سداها السباب والقذف ، ولحمتها الشدة والعنف ، وكان الذي تولى كبر ذلك الاستاذ الشيخ يوسف الدجوي مع

هرّم و تجهّم . واحتدام وضرم . حتى كأنما يدفع إلى قول الزور والباطل في هؤلاء المؤمنين دفعا . ويكره على ذم تلك الجماعة الاسلامية إكراها ، وحتى كأنه وُعد الجنة اذا أساء ، والنجاة من النار إذا آذى اولئك المؤمنين ، والحشر مع النبيين اذا طعن على عقيدة تلك الجماعة جماعة الموحدين . فلا يخرج للناس عدد من هـذه المجلة إلا وفيه ما يشيب الطفل من كذب وافتراء على هـذه الجماعة وتحريف للقول عن مواضعه . حتى حسبنا — وحسب غيرنا — انها ما أنشئت إلا لمحاربة المؤمنين ، ومناوأة المسلمين . وذهبت بها الظنون المذاهب . واتهمتها الناس التهم ، وأساءت فيها العقيدة ، وجال في أنفسهم ان مقصدها غير حسن ونيتها غير صالحة ! !

إذ لو كان المقصد نصرة الاسلام والذود عن شرائعه ، لبدأت بالملحدين والمبشرين والفاجرين الفاسقين ، الذين ضربوا الدين الضربة البالغة ، وهجموا على الاخلاق الهجمة المبيدة . ووصلوا ليلهم بنهارهم ونهارهم بليلهم ، وصغيرهم بكبيرهم ، ورفيعهم بوضيعهم ، وأقدموا عليه كالذئاب الجائعة على فريستها ، ونوعوا الطعن والحرب للاسلام وأهله ! وملأوا به المجلات ، وأزكموا به الانوف في اغلب المجالس والمنتديات

فهذه المجلات الشهرية والاسبوعية والجرائد اليومية مفعمة بالالحاد والفجور من الطعن على الله ورسله ودينه وأفعاله ، الى الدعوة الى حانات الخمر وبيوت الرقص والعزف والربا والقمار . بعبارات بعيدة من الخوف والحيـاء . مليئة بالاستهتار والاعتداء . كأنهم في بلد لايوجد فيها مسلم ! ولا كتاب إلهي ! ولا من يقر بالصانع !! ولا الجامع الازهر الذي يقول أهله انه معقل الدفاع عن الحق والدين ! . .
حتى عم المصاب وعظمت البلية ، وجرأ جماعة مجلس مديرية .... أن يقوموا في وجه رجل مسلم يغار على دينه ووطنه ، وحاول اقناعهم بما كان يحمل معه من كتب دينية بتحريم الربا ، وأنه لايفرج كربا ولا ييسر عسيرا ، بل هو الخراب والدمار

لان الله يقول (فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله) فصاحوا بهذا المسلم المسكين صيحة منكرة ، ورموه بالجمود والتأخر كما نشرت ذلك الصحف اليومية

ومجلة «نور الاسلام» ساكتة وسط هذه المعامع ، وراقدة بين هذه المصارع ، لاتداوي للدين جرحا ، ولا تغيث مستغيثا ، ولا تكفن قتيلا ، ولا تعيذ هاربا ، ولا تلجيء لاجئاً ، كأنها لاتسمع ، أو تسمع ولا تعي !

ان كل انسان من عاقل ومجنون ، وعالم وجاهل ، ومسلم وكافر ، يعلم علم اليقين أن الملحدين والمبشرين أنكأ وأقتل من الوهابيين للاديان والاخلاق والاعراض — هذا اذا سلم أن في الوهابيين نكأ للاسلام وضررا — فكيف وهم الحريصون على الاسلام الحق ، الذابون عنه ، الناكئون ناكثه ، والضارون ضاره ؟؟!!

فما لهذه المجلة تعان تلك الحرب الشعواء عليهم ، وتلين جانبها لأعداء الاسلام الألداء من المبشرين وغيرهم ؟ وما لها تشرع تلك الرماح الدجوية على قوم يؤمنون بالله واليوم الآخر ويدعون إلى سبيل الرشاد على هدى من ربهم ونور ، وتمد كفه المسالمة لمن فعلوا بمسلمي المغرب الاقصى الافاعيل ، وتصم الاذن أو تتصامم عن الايطاليين ، الذين يقتلون ويشردون مسلمي طرابلس وغيرها شر تقتيل وأشنع تشريد ؟ تالله ان هذا لموقف غير مشرف من مجلة تتسمى باسم نور الاسلام وتدعي أنها تمثل اكبر معهد ديني للمسلمين ، ويتولى تحريرها جماعة يقولون انهم من كبار علماء المسلمين . ان العالم بل المسلم يكبر ويعظم على قدر مايكون في قلبه من هيبة لله وحده ، وإكبار لشرائع الاسلام وغيرة على حرماته ، والتكابر والتعاظم بغير ذلك . فهو .. زور وبهتان ، يا أصحاب الفضيلة وكبار العلماء ، الدين يئن تحت أذقانكم فارفعوا صوتكم وقوموا لله مخلصين بما يجعل الناس يصدقون أنكم كبار علماء المسلمين .

وكأني بالشيخ المغرى بمحاربة الموحدين وبالمجلة المذكورة عندمايسمع هذا يصعر خده كبرا وغطرسة وطيخاً وأنفة قائلا : ان سهام الوهابيين أقتل للاذهان

وأخزق للقلوب من سهام المبشرين والملحدين ! وإنا نخاف من أولئك أكثر من خوفنا هؤلاء. إذ الملحدون والمبشرون خارجون عن ديننا فلا نخشى ضررهم على العامة ولا تسمع أقوالهم الدهماء. فهم ينفرون منهم نفورهم من الحمام، ويولون من سماع كلامهم توليهم من أصوات السهام. وأما الوهابيون فكلامهم ينفذ الى الاسماع، ويلج القلوب، إذ هم يتكلمون بالقرآن ويجادلون بأقوال الرسول وأقوال الصحابة. وعامة المسلمين يعظمون الكتاب والسنة وينقادون لمن يدعو اليهما ويجاهد عليهما. فلو أهملنا القول في هؤلاء والرد عليهم لضل بهم الاغرار وانقادوا لهم. فكان هذا أوجب علينا من الاول ! !

أخال أنه يدفع عن نفسه اللوم بذلك ويصرف التبعة. ولعمر الآله انها مقالة لا يقولها مفكر ولا تصدر عن قلب مستبصر. فمن ذا الذي يصدق ان انخداع المسلمين بالوهابيين أعظم من انخداعهم بالمبشرين والملحدين ؟ ! كلا ! ثم كلا ! فلا اسرع ذهابا في النفوس وولوجا في العقول. وأخذاً للحواضر والبوادي والعجم والعرب والكبار والصغار والكرام واللئام من سهام الملحدين وعقار الطبيعيين.

انهم يغلون الافئدة بلا حجاب، ويسكنونها بغير ذهاب، ويدخلونها من غير استئذان ولا اعلان ! فانهم يسلكون لها سبيل الشهوة، ويأخذون لها طريق اللذة، والنفوس اغلبها مفتون باللذة منقاد للشهوة، حريص على هذه الحياة وملاذها، كلِبٌ بزخرفها وزينتها، أصم عما تدعو اليه الشرائع من نعيم الآجلة، أعمى عما تبسطه من ألوان اللذة الخالدة، خصوصاً حين يرون ما عليه أهل الدين الزاعمون انهم حماته ومعاذه، لا يقف طمعهم في الدنيا عند حد، وحين يرون سكوتهم عن منكرات فاشية شائعة يعلم من الدين بالضرورة نكارتها وفحشها، يسكتون خوفا على مرتباتهم الشهرية ووظائفهم المعيشية. والعامة معذورون. إذ لا يرون قدوة صالحة في الحرص على الآجلة، والفرار من زخرف العاجلة، ومتاعها الذي هو طريق المفسدين.

انظروا بعيون مريضة بل عور وعمي ، واسمعوا باسماع صم . والمسوا بأيد مشلولة، وشموا بآناف مزكومة: يمينا وشمالا وخلفا وأماما، تجدوا في كل يوم بل في كل لحظة أن قطر كذا ومدينة كيت وقرية هؤلاء ثاروا على الدين جملة وطلبوا إلغاءه وافناءه، واخراجه وراء الحدود، والاستعاضة عنه بالقوانين الوضعية، والتقاليد الافرنجية ، ليتحللوا من قيوده ، وينطلقوا وراء شهواتهم البهيمية، وأن مسلمي بلدة كذا أكرهوا على التنصر واضطروا إلى الصليب والكنيسة !! ولكن هل سمعتم أن قطراً أو مدينة أو قرية انقلبت وهابية ؟؟ .

ولربما قال بعض من يحتج للشيخ الدجوي ومجلته المذكورة : ان الرد على الملحدين لايجدي شيئا . لان من دخل حظيرة الالحاد فهيهات أن يغادرها . وهو احتجاج ضعيف مهين . فان من ذاق حلاوة عقيدة التوحيد ولباب الاخلاص فهيهات أن يعافها . فلم يسمع أن رجلا دخل في مذهب الموحدين وتطهر قلبه من ارجاس الشرك والخرافات فخرج منه ونكص على عقبه . ثم لو صح ذلك لما كان عذراً صحيحا . إذ تنصر مسلم واحد وإلحاده ، يجب أن يكون على مذهبكم شراً من توهب ألف رجل . بل آلاف .

والحاصل انها خطة غير مرضية سواء علموا ذلك أم لم يعلموه . فانه جهل لايعذر فيه أحد

ولقد كنا أمهلناهم لعلهم يرجعون ، وإلى الحق يفيئون، ويتحلوا بالانصاف عند الحجاج والاعتدال في المناظرة ، ظنا ان معهم نفوسا أبية ، وقلوبا ذكية ، ترجعهم عن الاسترسال فيما هم فيه ، والتباعد عما هم عليه . فان العفو عن الحر ، والصفح عن الكريم يفعلان ما لا تفعل الشدة والقوة ، ويسلسان من قياده ما لا يسلسل القسر والقهر

وما قتل الاحرار كالعفو عنهم . فمن لك بالحر الذي يحفظ اليدا

ولكن الظن خاب ! والامل أخفق . فظنوا انهم ماتركوا إلا عجزاً وضعفا وان لو كان لدينا دفاع لدافعنا ، وسلاح لقاتلنا ! وتراهم لهذا يزدادون ايعاداً ، ويمعنون ابراقا وارعاداً .. وماعلموا ان الصمت والهدنة لها عوامل كثيرة، وأسباب عديدة ، . وقد يأبى الشجاع البراز ، ويطلب القوي الغالب الصلح والسلم

فلما رأيناهم بالعفو غير منتهين ! وبالغفران غير منتفعين ، وان العفو والحلم لهما مواضع وحالات، اذ ماتجاوزا موضعهما اللائق بهما إلا عادا جبناوعجزاً وخرقا وجلبا ضراً كثيراً كما قال الشاعر :

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى   مضر كوضع السيف في موضع الندى

وقال الآخر :

ولا خير في حلم اذا لم تكن له   بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

رأينا أن من الواجب الحتم دفع هجوم المعتدي ، ودرء الظالم ، ونصرة المظلوم (ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين) (وجزاء سيئة سيئة مثلها)

وقد أمر الله سبحانه المسلمين أن يقوموا له شهداء بالقسط ، وأن ينصروا المظلوم على الظالم (يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين) وقال (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت إحداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين)

وفي البخاري ومسلم وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال « انصر أخاك ظالما أو مظلوما» قالوا يارسول الله ننصره مظلوما، فكيف ننصره ظالما ؟ قال «تحجره عن ظلمه، فذلك نصرته» وفي البخاري ومسلم وغيرهما عن البراء بن عازب أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا بسبع ونهانا عن سبع ـ فعدها ـ وكان من جملة ما أمر به : نصرة المظلوم .... ذلكم

وان مما يزيد الاسف أن الشيخ الدجوي طال قلمه فيما سود في المجلة في رده فمزق كثيراً من الاعراض ، واعتدى بكثير من الهمز واللمز مع انه يعيب مثل ذلك . ويقول: ان السب والثلب سلاح العاجزين الضعفاء ، وهذا عجيب !!

عجيب في الزمان وما عجيب　　أتى من آل سيار عجيبا

حتى نال شتمه المستحق وغيره ، واعتذر بقول الشاعر :

وجرم جره سفهاء قوم　　فحل بغير جارمه العذاب

والله يقول (ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للانسان إلا ما سعى) (هل تجزون إلا ما كنتم تعملون؟) ـ (ولا تعتدوا إن الله لايحب المعتدين) وفي الحديث « لايجني جان إلا على نفسه » وفيه «لايؤخذ أحد بجريرة أحد»

***

وموضوع رسالتنا هذه هو حكم التوسل : الجائز منه والممنوع . ودحض شبه الشيخ الدجوي في التوسل الممنوع الذي أباح به دعاء الاموات ، والاستغاثة بالمقبورين . وقد جعلناها في مقدمة وقسمين: (القسم الاول) في التوسل الجائز المشروع ، وهو في باب واحد تحته انواع ـ (القسم الثاني) في التوسل الباطل الممنوع ، وهو أربعة أبواب

والله أسأل أن يقيني خطل اللسان ، ومزالق الجنان ، ونزغات الشيطان وهذا حين أبتديء القول وعلى الله التكلان ، وبه المستعان .

المقـــــدمة

ماهي الوسيلة ؟؟

قال صاحب القاموس : الوسيلة والواسلة ، المنزلة عنـد الملك ، والدرجة والقربة . ووسل إلى الله توسيلا ، عمل عملا تقرب به اليه ، كتوسل . والواسل ، الواجب والراغب إلى الله . اه

وقال في لسان العرب : الوسيلة المنزلة عند الملك والدرجة والقربة . ووسل فلان إلى الله وسيلة ، إذا عمل عملا تقرب به اليه والواسل كالراغب إلى الله قال لبيد :

أرى الناس لايدرون ماقدر أمرهم بلى ، كل ذي رأي إلى الله واسل

وتوسل اليه بوسيلة ، إذا تقرب اليه بعمل ، وتوسل اليه بكذا ، تقرب اليه بحرمة آصرة تعطفه عليه . والوسيلة الوصلة والقربى ، وجمعها الوسائل ، قال الله (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) قال الجوهري : الوسيلة مايتقرب به إلى الغير . والجمع الوُسُل والوسائل . والتوسيل والتوسل واحد اه

وقال ابن جرير عند تفسير قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) يقول اطلبوا اليه القربة بالعمل بما يرضيه . والوسيلة هي الفعيلة ، من قول القائل : توسلت إلى فلان بكذا بمعنى تقربت اليه . ومنه قول عنترة :

ان الرجال لهم اليكِ وسيلة أن يأخذوكِ ، تكحَّلي وتخضبي

يعني بالوسيلة القربة . وقال الآخر :

إذا غفل الواشون عدنا لوصلنا وعاد التصافي بيننا والوسائل

ثم قال ابن جرير : وبنحو الذي قلنا قال أهل التأويل . وذكر عن أئمة التابعين مثل ماقال . وزاد عن بعضهم تفسيرها بالمحبة

وقال الراغب الاصفهاني : الوسيلة التوصل إلى الشيء برغبة ، وهي أخص من

الوصيلة ، لتضمنها معنى الرغبة . قال تعالى (وابتغوا اليه الوسيلة) وحقيقة لوسيلة إلى الله مراعاة سبيله بالعلم والعبادة ، وتحري مكارم الشريعة، وهي كالقربة اه

وفي الحديث « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول، ثم سلوا الله لي الوسيلة ، فانها منزلة في الجنة » وقال تعالى (اولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة) قال أئمة المفسرين : يطلبون اليه الزلفى والدرجة والقربى. وقالت قتيلة بنت النضر:

والنضر أقربهم اليك وسيلة   واحقهم ان كان عتق يعتق

وقال النبهاني الطائي، من الشعراء الاقدمين — :

ولما عصينا بالسيوف تقطعت   وسائل كانت قبلُ سلما حبالها

وقال المتنبي :

الا ليست الحاجات الا نفوسكم   وليس لنا الا السيوف وسائل

وفي الحديث الآتي في توسل الصحابة بالعباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه أن عمر رضي الله عنه قال : « اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا » .

خلاصة ما تقدم

بان مما تقدم من كلام العرب ، ومعاجم اللغة ، أن الوسيلة تدور على أمور : (١) القربة (٢) الدرجة (٣) المحبة (٤) الحاجة (٥) الرغبة . وان التوسل إلى الله ، هو التقرب اليه بالاعمال الصالحة ، والقرب المشروعة . وعليه ليس منها مناداة الاموات ، واستغاثتهم ، وسؤال الله بهم ، إلا أن يقيم المنازع دليلا من الكتاب و السنة على أن سؤالهم ، وسؤال الله بهم ، مقرب اليه تعالى، ولا سبيل الى ذلك إلا بتحريف القول عن مواضعه ، كما سيأتي

وأما الوسيلة في عرف الناس اليوم فتقع على الاستغاثة بالاموات ، والتمسح

والتقبيل لقبور الاولياء ، والنذر لهم ، وتقريب القرابين للصالحين ،وشدالرحال وإعمال المطي من الاماكن البعيدة إلى القبور ، وقراءة القرآن والاوراد على القبور ، ولأرواح المقبورين ، والصلاة اليها واستقبالها ، والبناءعليها وتجصيصها وإيقاد السرج فوقها . هذا ماتقع عليهالوسيلة فيعصرنا الحاضر .. والشيخ يجوز الوسيلة بكلهذهالمعاني. فليفهم إذن أنناحين نبطل الوسيلة وننقض مازعمهالشيخ ادلة مما هو فينفسه دعاوىلا براهينممها الا الهوىوالعصبية ـ فانما نقصدبه كل هذه الاطلاقات العامية الآنفة ، إلا اذا قيدناه بنوع دون آخر . فمثلا اذا قلنا: هذه الآية أو ذلك الحديث ، أو ذلكم القول لا يفهم منه جواز الوسيلة ـ نريد بها دعوة الاموات أو تقبيل الاحجار أو التمسح بها ـ إلى آخر ماذكرنا من أنواع التوسل العامي

القسم الاول

فى التوسل المشروع

قال الله تعالى (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) وقال (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) قال المفسرون كافة : معنى الوسيلة التقرب إلى الله بالاعمال الصالحة والقرب الرابحة ، كالصلاة ، والصيام ، والحج ، والزكاة ، وغير ذلك من العبادات . وهي على أنواع :

﴿ النوع الاول التوسل اليه بأسمائه وصفاته ﴾ قال تعالى (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها) وقال (انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين) توسلوا اليه بوصفه بانه خير الراحمين - وقال (وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين) وقال عن أيوب عليه السلام (وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين * فاستجبنا له فكشفنا مابه من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين) وقال حكاية عن زكريا عليه السلام (رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين) وهو في الكتاب الكريم كثير

وفي الحديث الذي رواه ابن ماجه واحمد والترمذي أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول : اللهم اني أسألك بانك أنت الله لا إله إلا أنت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . فقال « لقد سأل الله باسمه الاعظم الذي اذا سئل به أعطى ، واذا دعي به أجاب » وسمع أيضاً رجلا يقول : اللهم إني أسألك بان لك الحمد لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك الحنان المنان ، بديع السموات والارض ذو الجلال والاكرام . فقال « لقد سأل الله باسمه الاعظم الذي اذا سئل به أعطى ، واذا دعي به أجاب »

﴿ النوع الثاني التوسل بالصلاة كيما تقبل الدعوة ﴾ وذلك كصلاة الاستسقاء ، وصلاة الاستخارة ، ومنه حديث الاعمى الذي سيأتي ، ففيه انه قال « اذهب وتوضأ وصل ركعتين ثم ادع » ولعل من ذلك قوله تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاة)

﴿ النوع الثالث التوسل بالتوحيد والايمان ﴾ قال تعالى (وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين * فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين) وقال (واذا سمعوا ماأنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين) وقال عن المؤمنين (ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار) وقال (الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار)

﴿ النوع الرابع التوسل بالتسبيح ﴾ قال تعالى في قصة يونس عليه السلام (فلولا انه كان من المسبحين * للبث في بطنه إلى يوم يبعثون) فالله نجاه وقبل دعوته بتسبيحه

﴿ النوع الخامس التوسل بذكر الاعمال الصالحة السالفة عند نزول الضر لكشفه ﴾ روى البخاري ومسلم وغيرهما ـ واللفظ للبخاري ـ عن ابن عمر (رض قال : قال نبي الله ﷺ « بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون،إذ أصابهم مطر فأووا إلى غار، فانطبق عليهم، فقال بعضهم لبعض : انه والله ياهؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق ، فليدع كل رجل منكم بما علم انه قد صدق فيه . فقال واحد منهم : اللهم إن كنت تعلم انه كان لي أجير عمل لي على فرق من أرز، فذهب وتركه، واني عمدت إلى ذلك الفرق فزرعته فصار من أمره أني اشتريت منه بقراً، وانه أتاني يطلب

أجره، قلت اعمد إلى تلك البقر فسقها، فقال لي: أنا لي عندك فرق من أرز، فقلت له اعمد إلى تلك البقر فانها من ذلك الفرق، فساقها، فان كنت تعلم أنى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، فانساخت الصخرة. فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم انه كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لي، فأبطأت عليهما ليلة، فجئت وقد رقدا، وأهلي وعيالي يتضاغون من الجوع، فكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي، فكرهت ان أوقظهما وكرهت ان أدعهما فيستكنا لشربتهما، فلم أزل أنتظرهما حتى طلع الفجر، فان كنت تعلم اني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا. فانساخت الصخرة حتى نظروا إلى السماء، فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم انه كانت لي ابنة عم من أحب الناس إلي، واني راودتها عن نفسها فأبت إلا ان آتيها بمائة دينار، فطلبتها حتى قدرت، فأتيتها بها، فدفعتها اليها، فأمكنتني من نفسها، فلما قعدت بين رجليها، قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقمت وتركت المائة الدينار، فان كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، ففرّج الله عنهم، فخرجوا» فهذا توسل بذكر أعمالهم. وقد غلط من استدل به على جواز التوسل بالاعمال مطلقاً — أي بعمل الانسان المتوسل وعمل غيره

﴿ النوع السادس التوسل بحمد الله والصلاة على رسوله ﴾ روى الترمذي عن فضالة بن عبيد وقال: حديث صحيح — أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يدعو في صلاته فلم يصل على الرسول، فقال «عَجِل هذا، فدعاه» وقال له أو لغيره «اذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والصلاة على رسوله، ثم ليدع بعد بما يشاء» وروى احمد والترمذي — وقال حسن صحيح — والحاكم وصححه — عن ابي بن كعب: قلت يارسول الله، اني اكثر الصلاة، فكم اجعل لك من صلاتي؟ قال «ماشئت» قال: قلت: الربع؟ قال «ماشئت وان زدت فهو خير لك» قلت النصف؟ قال «ماشئت، وان زدت خير لك» قال قلت: الثلثين؟ قال «ماشئت وان

زدت فهو خير لك » قلت اجعل لك صلاتي كلها ؟ قال « اذن تكفى همك ويغفر لك ذنبك » وفي رواية لاحمد قال رجل : يارسول الله، أرأيت إن جعلت صلاتي كلها عليك؟ قال « اذن يكفيك الله تبارك وتعالى ما اهمك من دنياك وآخرتك »

﴿ النوع السابع التوسل بالقرآن ﴾ فروى ابن ماجه أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال « اسم الله الاعظم في هاتين الآيتين (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحيم) وفاتحة سورة آل عمران » وروى أيضاً عن القاسم قال « اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به أجاب في سور ثلاث : البقرة ، وآل عمران ، وطه » وروى مثله مرفوعا

﴿ النوع الثامن التوسل بالصدقة ﴾ قد كان بعض العلماء يفعله لقبول الدعوة ، ويستدل بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) ومن يشك في حسنه ؟ ! فان الصدقة من صالح الاعمال ،

﴿ النوع التاسع التوسل بالتضرع والخشية والخشوع ﴾ قال تعالى (ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين) وقال — بعد أن ذكر اجابته للانبياء — (انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين)

﴿ النوع العاشر التوسل بالإسرار والاخفات بالدعوة ﴾ قال تعالى (ذكرُ رحمة ربك عبده زكريا * إذ نادى ربه نداء خفيا * قال رب اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك ربي شقيا) وقال (واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين) وقال (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا)

﴿ النوع الحادي عشر التوسل بدعاء الصالحين ﴾ كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري وغيره ان الصحابة كانوا اذا أجدبوا توسلوا بالعباس بن عبد المطلب وقال عمر في عام الرمادة « اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا » فيسقون . واستسقى معاوية بن ابي سفيان بالاسود بن يزيد من فضلاء التابعين . وقد ذكر الفقهاء استحسان ذلك في باب صلاة الاستسقاء

القسم الثاني

في التوسل الممنوع . وذكر أدلة الشيخ وهدمها

الباب الاول

(فيما ادعاه أدلة من القرآن)

(الآية الاولى)

قوله تعالى : (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة)

وتركيب دليله أن يقال: دعاء الموتى والتقرب الى الله بهم وسيلة ، والوسيلة مأمور بها . أما دليل المقدمة الاخيرة فالآية ، وأما دليل الاولى فتسمية الناس ذلك في العصر الحاضر وسيلة ! .والجواب من وجوه :

الاول — لانسلم أن دعوة الاولياء والصالحين تسمى وسيلة

الثاني — سلمنا ذلك . لكن باللسان العربي أم العامي العرفي ؟ . الاول ممنوع ، والثاني لايغني فتيلا ، إذ القرآن لسان عربي

الثالث — سلمنا صحة ذلك في اللسان العربي، لكن لانسلم ان الآية أطلقت الوسيلة بالاطلاق العربي . وما المانع من أن الوسيلة قد تصرّف فيها الشارع كلفظ الصلاة والصيام والزكاة والحج والايمان والكفر ؟ ولا يصح أن يقال : الاصل عدم التغيير ، لان الاكثر في الاسماء الشرعية متصرف فيه عن الوضع العربي

الرابع — سلمنا عدم التصرف ، وبقاء اللفظ على حاله ، لكن لانسلم ان (أل) للاستغراق ، فهي في لغة العرب لثلاثة أشياء : الاستغراق ، والعهد ، والجنس وقد أنكر بعض الناس كونها للاستغراق

الخامس — سلمنا انها تكون للاستغراق ، لكن في كل موضع، أم في هذ الموضع على التعيين ؟ الاول باطل بالاتفاق ، والثاني تحكم ، فانها تكون للعهد والجنس كما تقدم ، فكيف رجحت الاستغراق على أخويه ؟ ! .

السادس — سلمنا انها هنا للاستغراق، لكنها هنا مخصصة بدليل عدم نقل التوسل بالاموات بدليل صحيح عن الرسول ﷺ أو عن أصحابه أو عن التابعين رضي الله عنهم ، مع وجود المقتضي لفعله، وتوفر الدواعي على نقله، وبدليل اجماع السلف على تفسير الآية بخلاف ذلك

السابع — سلمنا عدم دلالة ماذكر على التخصيص ، لكن لا نسلم أن معنى الآية ماقلتم ، وما المانع من أن يقال : معنى (ابتغوا اليه الوسيلة) أي اطلبوا وأحبوا الوسيلة التي هي الاولياء والصلحاء كما فسرتم الآية ؟ وليس فيها أن نبتغي منهم ، بل أن نبتغيهم، وفرق بين الامرين، فانه يصح أن يقال مثلا : إبغ الثوب والدواة والقلم، ولا يصح : إبغ من الثوب والدواة والقلم ـ وتلخيص هذا الوجه أن يكون معنى الآية ـ اذا فسرت الوسيلة بالصالحين ـ الحب لهم والمودة والسؤال عنهم، لانه يقال : بغاه وابتغاه ، اذا سأل عنه وأحبه

الثامن — تنازلنا عن كل ماسبق ،ولكن ذلكم لا يفيدكم الغرض المهم لديكم، وهو اثبات الاستغاثة بالخلق والسؤال منهم، وهم أموات وحُماداها وقتئذ الدلالة على جواز الطلب والسؤال بالخالق من الله، وهذا خطبه سهل وليس هذا مما يهتم له خصومكم

وهذه الوجوه كلها على طريق الالزام والجدل : وإلا فالمراد من الآية على ماقال المفسرون : أن نتقرب الى الله بالاعمال الصالحة كما تقدم .

(الآية الثانية)

قوله تعالى: (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا، فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) والجواب من وجوه :

الاول — الاستفعال يفيد معنى الطلب ، فالتاء والسين للطلب ، كالاستنصار والاستقسام والاستغفار ، فمعنى الاستفتاح : طلب الفتح ، كالاستغفار طلب الغفر ، فيكون معنى الآية : انهم يطلبون الفتح ، لكن هل قال انه من غير الله ؟ أو من الله بغيره ؟ لا شيء من ذلك ، فهو استدلال ساقط ، وهذه الآية مثل قوله (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم) وقوله (واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد) فعلى المستدل بها أن يبدل ماقلنا

الثاني — سلمنا انهم كانوا يستفتحون بشيء ويسألون الله بواسطته على طريق التوسل والتشفع ، لكن لا نسلم أن ذلك الشيء هو الرسول أو مخلوق آخر ، إذ لا مانع أن يكون هو الكتاب الذي هو كلام الله ، فالمعنى انهم يتشفعون بكلامه ويتوسلون اليه به ، ولا راد لذلك ، لا من العقل ولا من النقل ، وحينئذ لاتدل الآية على التوسل بالخلق

الثالث — سلمنا كونهم يستفتحون به عليه الصلاة والسلام ، لكن على أي معنى ؟ لعلهم يقولون : ربنا افتح علينا ولنا بالرسول ، وهذا كما يقال : نصرت بالسيف ، وشبعت بالطعام ، ورويت بالماء ، وغلبت بالشجاع ، كما قال عليه الصلاة والسلام « نصرت بالرعب مسيرة شهر » وكما قال تعالى (أخرجنا به نبات كل شيء) ، (وأخرجنا به من كل الثمرات) ، (وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج) والمراد أن هذه الاشياء آلة وسبب ، ويكون المعنى عليه : ابعث فينا رسولك ونبيك محمداً ليكون لنا النصر على الاعداء اذا اتبعناه وجاهدنا معه ، لان الرسل ومن اتبعهم الغالبون ، وليس المعنى انهم يسألون الله بذاته ﷺ

الرابع — سلمنا توسلهم بذاته ﷺ لكن شرع من قبلنا ليس شرعا لنا ، وليس كل ماجاز للأمم السابقة في شرائعهم جاز لنا . فشريعتنا ناسخة لما قبلها ، فالسجود للخلق كان جائزاً في بعض الشرائع ، كما سجد ليوسف عليه السلام أبوه واخوته ، وكما سجدت الملائكة لآدم

الخامس — سلمنا أن شريعة من قبلنا شريعة لنا ، لكن لانسلم أن هذا الاستفتاح مأخوذ من الشرائع الالآهية ، ولعله من زيادات الاحبار والرهبان وبدعهم التي ابتدعوها ، وما كان كذلك لايكون حجة باتفاق العلماء ، فقد أخبرنا القرآن الكريم عن بني اسرائيل انهم قوم محرفون مغيرون متبعون اهواءهم

السادس — تركنا كل ماسبق لنا من الاعتراضات ـ إكراما للشيخ ـ فان له علينا أيادي كثيرة ، وقد تعلمنا من كلامه الجدل والابطال للكلام الباطل وان كان هو يستعمل هذا في ابطال الحق ، لكن ليخبرنا أن هذا الإستفتاح كان منهم بالرسول قبل ولادته وسابق خلقه ! ولم لا يكون في حياته قبل بعثه ؟ يعني انهم كانوا يتوسلون به ويستفتحون في حال وجوده قبل بعثه لما رأوا فيه من سيما الصلاح والفضل والطهارة النادرة ، وقوله : (من قبل) ـ أي من قبل البعثه ـ

السابع — سلمنا ماتقدم ، وخففنا الوطء على الشيخ ، لكن بعد ذلك يخرج صفر اليدين مما يدور عليه ، ويحول حول اثباته ، وهو الاستغاثة بالاموات ، وقصاري الآية حينئذ جواز التوسل بالخلق وسؤال الله بهم ، وهذا خطبه يسير ، واضداده لايأبهون به كثيرا ، والذي يأبهون به كثيراً ويشددون في النكير على فاعليه ، هو دعوة الاموات

(الآية الثالثة)

قوله تعالى : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم

من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون * يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لايضيع أجر المؤمنين) ومثلها (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل احياء ولكن لاتشعرون)

واستخراج دليله من الآية أن يقال: سؤال الاحياء جائز بالاتفاق، والاموات احياء ، فينتج منه جواز طلبهم والاستغاثة بهم، والجواب من وجوه :

(الوجه الاول) — انها مؤولة ومحولة عن ظاهرها لامور :

(١) الآيات والاحاديث المفيدة وقوع الموت بكل أحد كقوله تعالى (كل نفس ذائقة الموت) ـ (كل من عليها فان) ـ (كل شيء هالك إلا وجهه) ـ (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون) (ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون) ـ(انك ميت وانهم ميتون) (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم) وقال عن يحيى عليه السلام (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا) وقال عن عيسى عليه السلام (والسلام عليّ يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا) وقال عن ابراهيم عليه السلام (والذي يميتني ثم يحيين)

وفي البخاري أن عمر لما مات الرسول ﷺ قال « من قال ان محمداً قد مات ضربت عنقه بالسيف » فجاء ابو بكر الصديق ـ وكان غائباً ـ فصعد المنبر ثم تلا (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) الآية . ثم قال « من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لايموت » قال عمر « فوالله لكأن الآية ماأنزلت إلا الساعة » نسيها دهشاً وانفجاعا !! ـ . قال أنس : « لما مات الرسول ﷺ ارتدت العرب» وقالت عائشة : « مات رسول الله ﷺ بين سحري ونحري » وقالت قال رسول الله ﷺ « ما مات نبي إلا بعد أن يخيره الله » . وقال أنس : « ماته

الرسول ودرعه مرهونة عند يهودي » والاخبار كلها في البخاري ومسلم، ومثلها كثير

(٢) الحامل على تأويلها قوله (قتلوا) ، فان القتل هو الاماتة . قال صاحب القاموس: قتله وبه ـ عن ثعلب ـ قتلا وتقتالا، أماته كقتله. فلولم نؤول للزم التناقض والتهافت . لان قتلوا معناه حل عليهم الموت ، وقولنا : ليسوا أمواتا أي لم يحل عليهم الموت ، وهو التناقض ، كقولك : ضرب زيد ، وليس مضروبا، وقتل ، وليس مقتولا ، وألبس ، وليس لابساً ، وأخرج ، وليس خارجاً، يجب التأويل في ذلك كقوله تعالى (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى)

(٣) الداعي لتحويلها عن ظاهرها المشاهدة والضرورة . وكم من آية وحديث أوّلا المشاهدة والضرورة ، وهما أولى ماتؤول له الاخبار السمعية ، وعليه فيكون معنى الحياة المثبتة لهم على نحو مافي قولهم : فلان حي وما مات ، إذا كان له ذكر ومدحة شائعة ، وان كان تحت الثرى من آلاف السنين . وهذا المعنى شائع جداً

قال المتنبي :

ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته ماقاته ، وفضول العيش إشغال

وقال :

كفل الثناء له برد حياته لما انطوى، فكأنه منشور

وقال :

وأشرف من عيشهم موته وأنفع من وجدهم عدمه

وقال قطرب :

ردت صنائعـه اليه حياته فكأنه من نشرها منشور

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :

تعلم العـلم لا تطلب له بدلا فالناس موتى وأهل العـلم أحياء

وقال آخر :

أخو العلم حي خالد بعـد موته   وأوصاله تحت التراب رميم

وقال آخر :

وإذا الـكريم مضى وولى عمره   كفل الثناء له بعمر ثان

ولآخر :

وما مات من زان المحافل مدحه   وغنى بذكراه المقيمون والسفْر

وقال صاحب القاموس في خطبته: راموا تخليد الذكر بالانعام على الاعلام، وأرادوا أن يعيشوا بعمر ثان بعد مشارفة الحمام

ولعل منه قوله تعـالى (الذي جمع مالا وعدده يحسب أن ماله أخلده) (وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون) والحديث الصحيح « من أحب أن يزاد له في رزقه وينسأ في أجله فليصل رحمه »

لـكن قد يقال لايناسب هذا التأويل النهي عن أن يقال انهم أموات ، ولا يتفق مع قوله (ولكن لاتشعرون) فان هذا المعنى كل يشعر به ،

فيقال عن الاول : نهى عن القول انهم أموات اكباراً لقدرهم وحضاً على الجهـاد في سبيله والتفاني في مرضاته . وعن الثاني : ان الحياة التي لايشعرون بها ، هي الذكر الخالد ، والمدحة المستمرة ، واللسان الصادق ، مما لم يكن الناس يعلمون أن الشهداء ينالونه . أو ان الثناء الذي لايشعرون به هو ثناء الملائكة ، أو ثناء الاله ، أو ثناء جند من جنوده (وما يعـلم جنود ربك إلا هو) أو يكون المراد من الحياة اجراء الاجر والثواب للاعمال التي كانوا يعملونها قبل الموت ، وغيرهم ينقطع ثواب عمله بموته، وربما فسره قوله(والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم * سيهديهم ويصلح بالهم * ويدخلهم الجنة عرّفها لهم) . وما رواه مسلم في الصحيح عن سلمان الفارسي قال: قال رسول الله ﷺ « من قتل في سبيل الله أمن عذاب القبر وأجري عليه عمله الذي كان يعمل في الدنيا حتى يبعث »

وربما فسر (أحياء) بأنهم سيحيون ، كقوله (إنك ميت وانهم ميتون) وقوله (كل من عليها فان) ، (كل شيء هالك إلا وجهه) أي سيكون ذلك وقوله (ان المجرمين في ضلال وسُعُر) وقال (إن المتقين في جنات ونَهر * في مقعد صدق عند مليك مقتدر)

فان قيل: على هذين التأويلين، كيف يصح قوله (أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) إلى آخر الآية . فان هذه أفعال مضارعة وهي لا تكون إلا للاحياء ؟ ؟

وقد يقال عن هذا الاشكال: يحتمل أن (يرزقون) ومابعده للاستقبال، أي سيكون ذلك، والفعل المضارع فيه خلاف، هل هو للحال فقط ؟ او للاستقبال فقط ؟ أو لهما معاً ؟ كما يقال : ان الله يبعث الخلائق إذا شاء ، وان رسولنا يقوم المقام المحمود ، ويكون (فرحين) حالا من ضمير (يرزقون) وهي حال مقدرة، والعامل فيها (يرزقون)

وربما قيل في دفع الاشكال إن معنى (يرزقون) إنه يجري لهم الثواب والثناء العاطر، ولقائل أن يقول: ان قوله أحياء عند ربهم، كقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح « لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» وان كان في الظاهر ليس كذلك

***

(الوجه الثانى) ـ غاية ما في الآية حكمها بالحياة للشهداء . واثبات الحياة للشيء لا يدل على جواز دعائه والتوسل به، فقد جاء اثبات الحياة للارض ولم يدل على جواز دعوتها والتوسل بها . قال الله (وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج) وقال (ويحيي الارض بعد موتها) فاذا كان كل من ثبتت له الحياة يدعى ويستغاث به ؟ فعليك أن تدعو الارض والبهائم والشياطين من كل ماثبتت له الحياة

(الوجه الثالث) ـ لو كان اثبات الحياة للانسان يقتضي إلحاق شئون الحياة

الاولى كلها وعوارضها بالحيـاة الاخرى لاقتضى ذلك جواز دعوة الكافرين الاموات. فقد جاء في الشرع إثبات الحياة لهم، وبالاجماع يصح سؤالهم مايقدرون عليه في الحياة الدنيا وهم أحياء في بعض الحالات المباحة شرعا، فينتج منه جواز التوسل والاستغاثة بابي جهل وأبي بن خلف، وغيرهما من رؤوس الطغيان، وما استلزم ذلك استحق ألا يلتفت اليه .

(الوجه الرابع) ـ يقال : إما أن تريد بالحياة مطلق الحياة، من غير أن تحكم عليها بأنها كحياتنا مستلزمة لجواز دعوة صاحبها، واما أن تريد حيـاة كحياتنا أو أبلغ، مستلزمة لذلك .

إن أردت الاول، فمن أين حكمت أن مثل هذه الحياة تستلزم ذلك ؟ وان أردت الثاني فباطل بالمشاهدة، وبما تقدم من القرآن والحديث . ولو فرضنا انه لادليل معنا على التفرقة بين الحياتين لكان المسوي بينهما هو المطالب بالدليل، فلا يلزم من الحكم على الامرين بالامر استواؤهما فيه

(الوجه الخامس) ـ هبنا سوينا بين الحياتين، وأن الاموات أحياء كحياتنا ـ ولكن من أين لكم انهم يدعون ويتوسل بهم ؟ أمن اثبات الحياة ؟ أم من أمر آخر ؟ فان كان من الاول لزم أن يدعى البعيد الحي ويستغاث به ويطلب منه مايطلب من القريب، فيقول من في المغرب لمن في المشرق، إذا وقع عليه مخوف، كأن عدا عليه أسد، أو هاجمه لص ـ : أغثني وادركني، وهذا لايقوله أجهل الجاهلين، ولا يرضاه ذو عقل ودين . ولو ناديت أبي أو أخي اوصديقي، في جزيرة العرب، وأنا في مصر — وكان من أصلح الصالحين وأفضل المتقين — لعدني من سمعني مجنوناً او سكران

وروى مسلم في صحيحه عن مسروق قال: سألنا عبدالله عن هذه الآية (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) قال: أما إنا

قد سألنا رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح في الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع اليهم ربهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي، ونحن نسرح في الجنة حيث شئنا؟ ففعل بهم ذلك ثلاث مرات، فلما رأوا انهم لن يتركوا من أن سألوا قالوا: يارب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا» وقد جاء في النسائي «إن أرواح الشهداء تطير على أغصان أشجار الجنة حيث شاءت» فاذا كانت هذه حياتهم، وبعدهم عنا في عالم آخر، فأنى يصح لنا دعوتهم؟ وأنى يسمعون لو دعوناهم؟ وان دعوة الحور العين اللاتي في الجنة لهي أقرب من دعوة الشهداء!! وهل يدعو عاقل الحور ويتوسل بهم؟!

﴿ الآية الرابعة ﴾

قوله تعالى في قصة موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) والجواب من وجوه:

الاول — الآية بريئة من محل النزاع، فانها استغاثة حي بحي، وهذا يجوزه خصومه، ولا خلاف فيه. وكأن الشيخ يرضى من الادلة بمطلق الموافقة في اللفظ على أي معنى كان!!

الثاني — ما الدليل أن فعل الرجل الاسرائيلي حجة؟! أمن انه طلب من موسى ولم ينكر عليه؟ فنقول: لعله أنكره ولم ينقل إلينا، أو لم ينكره إذ هو في حالة رهيبة، أو لان الاسرائيلي مشرك، فلم ينكر عليه لانه لا يسمع كلام موسى حتى يؤمن به، ويجوز أن موسى لم يسمع استغاثة الاسرائيلي، والتعقيب بالفاء لا يدل على السماع، والفاء تكون للتعقيب من غير سببية

الثالث — سلمنا بطلان ماقلنا. لكن ذلك كان قبل أن يوحى اليه، وسكوت الانبياء قبل بعثهم لا يدل على جواز المسكوت عنه.

الرابع — سلمنا ذلك لكن ليس هو في شريعتنا ، و كون شريعة غيرنا شريعة لنا فيه خلاف بين الاصوليين

الخامس ـ سلمنا ذلك . لكن ليس على اطلاقه، بل بشرط أن لا يأتي في شريعتنا ما يبطله ، فاذا جاء فليس شريعة لنا بالاتفاق . روى الطبراني أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال « انه لا يستغاث بي وانما يستغاث بالله » وقال تعالى (فلا تدع مع الله أحدا)، (قل اني لا أملك لكم ضراً ولا رشدا * قل اني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا)

السادس — سلمنا عدم ذلك ، لكن الآية مخصصة ومقصورة على الحياة فحسب ، والدليل أنه لم يثبت عن الرسول ، ولا عن أحد من أصحابه ولا التابعين، ولا الائمة الراشدين ، انهم توسلوا بميت. ومستحيل أن يكون ذلك جائزاً أوسنة أو واجباً ويتفقوا على تركه أو أن يكونوا فعلوه ـ أو كثير منهم ـ ولم ينقل الينا، كبطلان قول من يقول: ان الصلاة أزيد من خمس ! ، والحج واجب في العمر اكثر من مرة ! وأنصبة الزكاة فوق ما قدر الشارع مما نعرفه، وسائر الفروض كذلك!، أو يجوز ذلك ولكنه لم ينقل الينا ! ! .

﴿ الآية الخامسة ﴾

قوله تعالى: (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما)

والجواب من وجوه :

الاول — أن يقال: بين هذه الآية وبين الدلالة على دعواه ما بين المشرق والمغرب ، فغايتها تعليق غفران ذنوبهم على مجيئهم اليه ﷺ ، واستغفارهم الله، واستغفار الرسول لهم، وانهم ـ ليموا على ترك ذلك، وليس فيها أنهم طلبوه ولا أمروا أن يطلبوه ، ولا غرابة أن يكون ذلك حاصلا لهم بذهابهم اليه فقط ،وانه ﷺ

يطلب لهم ، بدون طلب منهم ، وكأن الشيخ فهم أن الاستغفار لا يكون إلا بسؤالهم من النبي ! . وهو غير صحيح

الثاني — نهايتها ترتيب وجدانهم الله توابا رحيما على مجيئهم اليه ، وطلبهم المغفرة من الله وطلبه عليه الصلاة والسلام المغفرة لهم ، وهو لا يقتضي حصول المرتب عليه وهو الشرط ، إذ قد يعلق الشيء على مالا يمكن وقوعه ، وعلى مالا يجوز ، كما اذا قال الشارع : اذا زنى المحصن فارجموه ، واذا زنى البكر فاجلدوه ، واذا سرق السارق ربع دينار فاقطعوا يده . وكقوله (لئن أشركت ليحبطن عملك) وقوله (قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) كما يقال : لو أقدرني الله لعلوت السماء ولنجوت من الموت ، وهذه كلها معلقة على غير جائز ، وعلى غير مباح . فعلى المستدل هنا أن يبين ان الشرط جائز وممكن .

الثالث — الآية معلقة ذلك على اتيانه ، واتيانه غير متأت بعد موته ، إذ لا يمكن إلا اتيان قبره ، ومن أتى القبر لا يقال انه أتى صاحب القبر . إلا على سبيل التسامح والتجوز ، كما ان من ذهب إلى صديق له فوقف على داره ولم يدخل اليه ولم يخرج الصديق اليه لا يقال انه أتاه ، وانما يقال أتى داره . وأما قول العامة : أتيت الامام الشافعي مثلا والسيد الحسين وأمثالهما فهو تساهل في العبارة ، ألا تراهم يقولون صليت في السيد الحسين وفي الامام الشافعي ، وانما مقصدهم في مسجديهما وحوالبهما إذ لا يمكن الصلاة في نفس الامام ، وأيضاً اتيانه حقيقة لذاته مع روحه وبعد الموت روحه قد فارقته وهي في الجنة ، والمعترض يقول : الانسان انسان بالروح فالانسان الذي هو الروح غير متأت اتيانه إذ هو في الرفيق الاعلى - ويقال :

(رابعاً) هي واقعة معينة لا تفيد العموم بمعناها ولا لفظها ، وقعت في حياته ﷺ ، فمن أين أخذت التعميم في الحياة والممات ؟ مع أن لفظها لا يفيده ، ومعناها لا يريده . وأما كون الوقائع المعينة تكون عامة لغير صاحب الواقعة ، فمن أدلة أخرى دلت عليه ، ومن الاتحاد في العلة - ويقال :

(خامسا) هبها دالة على العموم في الحياة والممات، لكنها مخصصة ومقصورة على الحياة . ودليل التخصيص الاخبار الشرعية الدالة ان الاموات لايسمعون ولا يجيبون قال تعالى (ان الله يسمع من يشاء وماأنت بمسمع من في القبور) وقال (انك لاتسمع الموتى) وفي الحديث « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الخ » ولان الصحابة ومن بعدهم مافهموا شمولها لحال الموت، ولذا لم يدعوه ﷺ ولم يأت الينا انهم دعوه بعد الموت، كما قد أتى الينا انهم سألوه الدعاء في حياته. ولان المفسرين لم يفهموا منها شمولها حال الموت . والمشاهدة أننا مهما دعونا وسألنا لانجاب (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون)

ويقال (سادسا) لو تركنا كل ما أنف لم تدل الآية على طلب الاستغفار منه والتشفع به إلا اذا ذهبنا عنده . أما اذا كنا نائين فالآية لاتفيد ذا . ويقال :

(سابعاً) على فرض التسليم فان بعض العلماء يرون ان الانبياء أحياء دون غيرهم، ويمكن أن يقال هذا خاص بالانبياء لانهم أحياء فلا يدخل معهم غيرهم

﴿ الآية السادسة ﴾

قوله تعالى (وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر)

لقد كادت تستك آذاننا، وتنصدع أفئدتنا من هذه الاستدلالات الزمنة. لاأدري كيف يتجلجل الشيخ ويسف في ادراكه وشعوره؟ ولست أفهم، هل الشيخ يفكر برأسه أم برجله؟ وهل يستنبط بعقله أم بمكازه؟ فانه لو اضطر ممرور في حياته كلها فاستعمل قواه وتفكيره على أن يستخرج من هذه الآية دليلا على مشروعية دعوة الاموات والالتجاء اليهم وسؤالهم لما استطاع الى ذلك سبيلا

ان كل انسان يفهم انها لاتفيد ذلك ولاتشير اليه، اللهم إلا من تكلف تكلف الشيخ، وأوتي ما أوتي الشيخ من ذوق تنبوعنه أذواق جميع العلماء المسلمين في فهم آيات الكتاب الحكيم، ويكون مع هذا عود الفهم المكوس، حتى عادعقله معكوساً كمين

الاحول يرى الواحد اثنين ، والمستقيم أعوج ، والاعوج مستقيماً، وأنف المزكوم الذي لا يشم للطيب طيباً، فيا لله للعقول، ويا للعلماء للابسي لباسهم والمتسمين بسماتهم

فنسألكم بالله الذي وهب العقل لمن شاء، ومنح الرشاد من أراد- أن تسألوا فضيلة الشيخ كيف أدرك هذا الفهم وعلم ذلك العلم ؟ أهو يظن أن المخاطبين أموات حتى فهم دلالتها على سؤال الاموات ، أم هو قد مات ولا يشعر انه قد مات ؟

وانا نرى ان القارىء قد فهم بطلان دلالة الشيخ مما سلف من كلامنا على أدلته - أستغفر الله- بل فهم قبل أن يسمع ، وعلم قبل أن يعلم ، ويظهر ان هذا بناء من الشيخ على التسوية بين الحي والميت كما هو قوله، وسيأتي بطلانه وان كان باطلا عند كل أحد ، ولكن الاعمى يدلل له على طلوع الشمس وان كانت فوق رأسه

هذه أدلته من القرآن قد خرج منها صفر اليدين ، لم يرجع ولا بخفي حنين

الباب الثانى

(فى نقض ما ادعاه من الادلة الحديثية)

وهي أضعف وأبعد من الادلة القرآنية ، كما ستراه

﴿ الحديث الاول ﴾ عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ انه قال «من خرج من بيته إلى الصلاة وقال: اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك ، وبحق ممشاي هذا ، فاني لم أخرج اشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة ، وخرجت اتقاء سخطك ، وابتغاء مرضاتك ، فأسألك أن تعيذني من النار ، وأن تغفر لي ذنوبي ، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت - أقبل الله عليه بوجهه، واستغفر له سبعون الف ملك » رواه ابن ماجه . والجواب من وجوه

(الاول) أن الحديث ضعيف - قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد : هذا إسناد مسلسل بالضعفاء عطية- وهو العوفي - والفضيل بن مرزوق، والفضل بن

الموفق . كلهم ضعفاء: لكن رواه ابن خزيمة في صحيحه من طريق فضيل بن مرزوق فهو صحيح عنده. هذا آخر كلام مجمع الزوائد . وفضيل بن مرزوق هذا الذي رواه من طريقه ابن خزيمة اختلف فيه علماء الحديث. فضعفه ابن حبان وابو حاتم الرازي والنسائي وآخرون، ووثقه الشافعي وابن معين وآخرون. وقد روى له مسلم، وقد قال ابن حبان فيه: يروى عن عطية العوفي الموضوعات وهو في هذا الحديث عن عطية العوفي . قال الحاكم: ليس من شرط الصحيح . وقد عيب على مسلم اخراجه حديث الفضيل ، وما كان كذلك لايكون حديثه حجة . وفي صناعة المحدثين ان الجرح مقدم على التعديل

(الجواب الثاني) سلمنا صحته، لكنه لاتوسل فيه ألبتة، والباء في قوله « بحق السائلين وبحق ممشاي » هي للتعدية ، فسأل متعد بنفسه وبالباء ، والمعنى أسألك حق السائلين وحق ممشاي وفي القاموس: سأله كذا وعن كذا وبكذا ـ بمعنى ـ سؤالا وسآلة ومسئلة وتسآلا وسألة ، ويحتمل ان الباء للتبعيض كقوله (عيناً يشرب بها عباد الله) وكما قال الشافعي وبعض العلماء ـ في قوله تعالى في آية الوضوء (وامسحوا برؤوسكم) والمعنى على هذا : أسألك من حق السائلين

(الجواب الثالث) لانسلم ان حق السائلين مخلوق ، إذ حقهم هو اجابة الله واعطاؤه سؤلهم، وهما صفتان له تعالى، فحق الخلق قد يكون صفة من صفات الله . قال تعالى (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) وقال (وإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان) ففيها ان اجابة الدعاء حق للسائل على الله

وفي الصحيح قال معاذ بن جبل رضي الله عنه : كنت رديف رسول الله ﷺ فقال «يامعاذ »قلت : لبيك وسعديك يارسول الله ـ ثلاث مرات ـ قال « أتدري ماحق الله على العباد ، وحق العباد على الله ؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذبهم

إذافعلوا ذلك،وحقهم عليه انه لايعذبهم بل يثيبهم ويدخلهم الجنة» والاثابة وادخال الجنة ليس مخلوقا ـ وهو أجلى من تفسيره بالثواب المخلوق الذي يعطاه العباد لوجوه :

(الاول) ان السؤال بصفات الله متفق عليه ، والسؤال بالخلق مختلف فيه والحمل على المتفق عليه أقرب إلى الصواب وأطيب في الالباب

(الثاني) التوسل بغير المخلوق افضل وأدعى للاجابة منه بالخلق ، والحمل على الافضل افضل

(الثالث) المعهود في الكتاب والسنة وكلام الأئمة : سؤال الله بأسمائه الحسنى وبصفاته وبذاته كما سلف ، والحمل على المعهود هو المعهود

(الرابع) لو حملناه على التوسل بالمعطَى والموهوب دخل فيه التوسل بالنساء والاولاد والحيوانات والجمادات ، وكل شيء وُهبه السائل ، فيشمل المرأة المشركة والكلاب والقرود فهي مما يوهبه السائل ، وما حمل على هذا كان قبيحاً

(الخامس) لو كان توسلا بالخلق لكان توسلا بنفس السائل ، لان السائل أفضل من حقه المخلوق

(الجواب الرابع) على الحديث : إذا ثبت انه توسل بالخلق لم يؤخذ منه إلا السؤال ، بالخلق لاسؤال الخلق ، وبقية أنواع التوسل

﴿ الحديث الثاني ﴾

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لما اقترف آدم الخطيئة قال : يارب أسألك بحق محمد لما غفرت لي ، فقال الله : يا آدم ، وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال : يارب لانك لما خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي ، فرأيت على قوائم العرش مكتوبا : لااله إلا الله محمد رسول الله ، فعلمت انك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق اليك ، فقال الله : صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي ـ ادعني بحقه ـ فقد غفرت لك ، ولولا محمد ماخلقتك » رواه الحاكم في

المستدرك وقال: صحيح الاسناد. وقد أخطأ وأحال. عليه أجوبة.

(الجواب الاول) ان الحديث ليس ثابتاً بل هو كذب. قال الامام الذهبي في تعليقه على مستدرك الحاكم في الجزء الثاني صفحة ٦١٥ طبع حيدرأباد: انه حديث موضوع، ولقد نعى على الحاكم كثير من تصحيحه الموضوعات والضعيف والمنكر، حتى اتهم بسوء العقيدة، ورمي بالجهل المركب، وقد قم وقعات وزل زلات لايطار غبارها، حتى انه صحح أحاديث يعلم كل انسان ببديهة العقل وان لم يطلع على شيء من الحديث ولا العلم انها لم تخرج من في نبي ولا عاقل. قال الحافظ أبو بكر أحمد بن ثابت الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٥ : ٤٧٤ طبع السعادة) في ترجمة الحاكم أبي عبدالله رقم (٣٠٢٤) نقلا عن ابي اسحاق ابراهيم بن محمد الارموي النيسابوري قال: جمع الحاكم ابو عبدالله أحاديث زعم انها صحاح على شرط البخاري ومسلم يلزمهما اخراجها في صحيحهما فانكر عليه أصحاب الحديث ذلك ولم يلتفتوا فيه الى قوله. ولا صوبوه في فعله اه.

وقد قال فضيلة الشيخ الدجوي ـ محدث القطر المصري وعالم آخر الزمان ـ في رده على جهلة الوهابيين: ان الذهبي أقر تصحيح الحاكم للحديث، فانظر إلى جهل الشيخ وتجهيله وضلاله وتضليله، ونصرته الكذب بالكذب، وترويجه الباطل بالباطل، وكذلك المذاهب الباطلة مطاياها الكذب، ودعائمها الغش، أنا لا اقول انه مغالط، بل غالط، ولست أبرئه من المغالطة ولكنني أبرئها منه، فالمغالطة عن علم، ولا علم عند الشيخ. أحار أنا وغيري في الحكم على هذا الرجل وتدليه في هاويات الباطل، كيف يضل في مثل ذلك وهو مكتوب با كبر حرف واوضح خط؟ وأنى زاغ بصره؟ ولكن لا لوم عليه فهو فاقد البصر عادم النظر (ليس على الاعمى حرج) ولكن كان الواجب عليه ـ هداه الله ـ أن يستبصر إذا لم يبصر، ويستعلم إذا لم يعلم، فانما شفاء الجهل السؤال، وقائد الاعمى البصير، وخليق به ان يسمع قوله تعالى

﴿ فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ﴾

وبعد فانا نقول لمولانا الشيخ أي الفريقين احق باللوم وأقعد في الجهل واجدر؟ ما أنشدت فيه متبججاً متمايداً من الزهو تمايل من مادت برأسه الخندريس :

جهلت وما تدري بانك جاهل … فمن لي بان تدري بانك لاتدري

يا ارسطو زمانه ، احشفاوسوء كيل ؟ أأعور وذا ناب؟ الؤم ولوم؟ وأعجب العجب أن تكتب بعده بالعنوان الكبير « التوسل وجهلة الوهابيين » وتشفعه بقولك : انهم يقولون مايعقل ولا يعقل، وتثلثه بأنشادك :

فرقة تدعي الحديث ولكن … لا يكادون يفقهون حديثا

حقاً انهم لا يفهمون الحديث إن قرنوا معك وأريدوا أن يباروك فيه :

وابن اللبون إذا ما لز في قرن … لم يستطع صولة البزل القناعيس

أنى لهم أن يباروك ويجاروك في تصحيح الموضوعات؟ والتقول على رجال الحديث؟ فان كنت لم تخجل من الناس وتخف من النقاد ألم ترهب الله وتخش عقابه ؟ وعقاب سيدنا الحسين والسيدة زينب ـ على زعمك ـ ؟ !!

والله ان الملحدين والمارقين من الاديان كافة ، والفضائل جمعاء ، يتحرون في نقلهم أكثر مما تحرى ، ويجتهدون في تأليفهم فوق ما تجتهد ، حذار الانتقاد ، واتقاء سهام الحساد ونبال الاضداد ، ولكن يظهر أن الجلد قد شثن أديمه واحترق لحمه ، حتى أصبح لايألم بمؤلم ولا يؤذى بمحرق

من يهن يسهل الهوان عليه … ما لجرح بميت إيلام

ونحسب ان الذي جعله يقدم هذا الاقدام ويصول هذا الصيال في المواطن التي لايرومها أمثاله ولا يراها أنداده ـ ماتوهم من خلو الجو ، وذهاب الفرسان من حواليه وما غره من بسمات بعض الوجوه في وجهه وصدح مفضوضي الإفواه بمدحه ونور عمش العيون اليه ـ ألم يعلم ان الخلاء يأتي من الخلوء وان الفارس يذهب

ايعود ويكمن ليبرز ، ويفر ليكر ، ويبعد ليقرب وان من الضحك بكاء

وماذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكاء

إذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظنن أن الليث يبتسم

والسحاب يضحك ليغرق، والسيف يبسم ليفلق ، والعيون ترنو حدقا وعجبا وتنظر دهشاً وغضبا . ومن المدح ماهو هجاء ومن الثناء خدع وبلاء

وجاهل مده في جهله ضحكي حتى أتتـه يد فراسة وفم

ولعلك سمعت الحكمة المشهورة والنصيحة المأثورة فالتزمت عجزها وصدرها

خلا لك الجو فبيضي واصفري ونقري ما شئت أن تنقري

(ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الالباب)

ومن ظن ممن يلاقي الحرو ب بأن لا يصاب فقد ظن عجزا

***

(الجواب الثاني والثالث والرابع) ماتقدم في حديث أبي سعيد وهو أن يراد سؤال الحق لا بالحق، أو المراد بالحق نصرة الله رسوله واعلاؤه على أعدائه، وهو صفة من صفاته . والرابع غايته سؤال الله بالخلق، لا سؤال الخلق

﴿ الحديث الثالث ﴾

عن أنس ان عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال «اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا : فيسقون» رواه البخاري في صحيحه . ووجه الاستدلال به من وجهين :

(الاول) قوله: انا كنا نتوسل بنبينا

(والثاني) قوله :وانا نتوسل اليك بعم نبينا . ففهم الشيخ وحزبه ان عمر توسل بالذات ،أي اقسم على الله بذوات المخلوقين

والجواب على الاول وهو التوسل بالنبي ﷺ أن يقال انه توسل بدعائه: في حال حياته والدليل عليه أمور

(الاول) ماثبت في الاحاديث حين كان حياً انهم كانوا يأتون اليه في الجدب فيذكرون له ذلك ويسألونه ،فيدعو الله لهم ويقول « اللهم أغثنا » في أحاديث كثيرة ، وما ورد قط انهم توسلوا واستسقوا بذاته حيا . وهو موجود في صلاة الاستسقاء من كتب السنة

(الثاني) لو كان توسلا بالذات لـكان في الحياة والممات سواء وما كانوا يعدلون عن ذاته إلى غيرها

(الثالث) لو كان ذلك بالذات لورد ذلك عنه ﷺ بنبي من الانبياء ، او بالكعبة مثلا او بالعرش او بالسماء او بالجنة ، ولجاز ذلك لنا . وهذا معروف بطلانه بالاضطرار من الدين

(الرابع) أن يقال: مامعنى سؤال الله بالمخلوق ، وما فائدته، وما وجه اقتضائه لان يجاب الدعاء ؟ وهل معناه انه إذا قال: أسألك بفلان،أي بخلقك له وإيجاده وتصويره التصوير البديع ؟ فان كان ذلك ، فهو توسل بغير الخلق ، واماأن يكون معناه أسألك به ، أي بسببه، يعني انه هو الذي حملني على أن أسأله ، وشرع لي ذلك،أوبه أي بسببه،والمراد أن تسأل له. وهذه المعاني، كلها ليست صحيحة. ويقال:

(ثانيا) المعروف في لغة العرب إذا قيل : توسلت بفلان ، او تشفعت به لا يفهم أحد إلا انك أخذته لك شفيعاً وطالباً . هذا المعروف في لغة العرب ، فيجب تنزيل الاخبار الشرعية عليها ، إذ قد جاءت الشريعة بلغة العرب ، لا بلغة الشيخ واخوانه من العامة والعجم

وأي انسان يفهم من قول القائل: توسلت بالوزير مثلا إلى الملك أو اتخذته لي وسيلة، إلا انك اتخذته لك شافعاً وطالباً ماتريد من الملك مثلا ؟ وكما إذا قال القائل : توسلت بالسيف إلى ادانة خصمي، وقهر الظالم فلا يفهم أحد إلا انك توسلت بعمله ،ولا يفهم أبداً انك طلبت بذاته ـ ويقال :

(ثالثاً) نهاية هذا الحديث انهم توسلوا بالنبي حياً، وهو دائر بين أن يكونوا توسلوا بذاته او بدعائه، فاذا كان محتملا، فلا تثبت للشيخ منه الحجة حتى يقيم الدليل على انه توسل بذاته .

بقي على الشيخ أن يقول : ان ظاهر اللفظ السؤال بالذات ، فلا يعدل عن الظاهر إلا بدليل ظاهر

فنقول : لا نسلم انه الظاهر ، وبأي دليل علمنا ان قول القائل: توسلت بفلان أي بذاته ؟ هذا يحتاج إلى اثبات من اللغة ، وأنى يصح ذلك مع ماقدمنا ؟ ومع أنه إذا قيل : أعجبني زيد ورأيت زيداً وضربت زيداً ، وزيد حسن لا يفهم أحد ما انه المراد انه أعجبه ورآه وضربه من كل وجه؟ هذا معروف .

ويقال أيضاً : سلمنا انه كان سؤالا بالذات لكن أكان في حياة الذات إذ كانت متلبسة بالروح، أم بعد تجردها منها ؟ إن كان الاول فلا يدل على التوسل بالاموات ، إذ يصح أن يقال : يصح التوسل بالذات حية ولا يصح بها ميتة ، لانه اجتماعها بالروح يجعلها صالحة بخلاف مفارقة الروح لها، فانه يجعلها غير صالحة لان يسأل بها. اولانها في الحياة لا يخشى ضرر من السؤال بها، وبعدها يخشى، أو لان الدين فرق ، وهما مستويان ، وكم فرق الدين بين الاشياء المتماثلة خشية افتتان العباد

واما ان كان الثاني وهو انه سؤال بالذات بعد مماتها فلا نسلمه ولا يدل عليه الخبر ولا يفيده النظر . وأما قياس مماتها على حياتها فقياس غير حي ولا مرضي .

وأما اللفظ الثاني وهو «انا نتوسل اليك بعم نبينا » فيمكن نقل اجوبة اللفظ الآخر اليه ، وانه كان توسل بدعائه ، ويدل عليه ان عمر كان إذا استسقى بالعباس وقال « وانا نتوسل اليك بعم نبينا » قال قم ياعباس فادع ، كما ذكر ذلك العلامة ابن حجر في فتح الباري بشرح البخاري

ويقال في اللفظين: يحتمل ان الباء فيهما للمصاحبة، كما يقال: اشتريت الارض

بما فيها وعلمت الشعر بشواذه ، وبعت الدار بطريقها . والمعنى علمت،وبعت هذا مع هذا . فعليه يكون معنى قوله « كنا نتوسل بنبيك ، وانا نتوسل بعم نبيك » أي معهما أي نتوسل ويتوسلون ، وهو التقرب اليه والسؤال بالرغبة ، وكون الباء للمصاحبة لاينكر ، فانه مذكور في كتب النحو

ويقال بعد هذا كله : أقصى ما في هذا الحديث سؤال الله بالخلق لازيادة عليه فأين دعاء الاموات الذي يجوزه المعترض ؟

***

قال المعترض: بعد أن ذكر الحديث ، أما توسل عمر بالعباس دون الرسول فلكون ذلك سنة الاستسقاء ، ولكون العباس من ذوي الحاجة، او لكون عمر أراد أن يبين للناس انه يجوز التوسل بغيره عليه الصلاة والسلام لفضله او قرابته، أو خوفه على ضعفاء المسلمين وعوامهم إذا تأخر المطر بعد التوسل، او ليدلهم على ان التوسل بالمفضول جائز مع وجود الفاضل ، وإلا فعليٌّ أفضل من العباس ، وكذا عمر اهـ

وهذه وجوه يجب صفعها ولطمها ، وهي ليست من مبدعاته ، بل قلد فيها غيره وحكى ماهذى به سواه، وامامه فيها وفي أكثر ماقال ـ الشيخ حسن خزبك فانه ينقل عباراته حرفياً ، وبقية ماجاء به ـ مما ليس في كلام خزبك ـ مسروق من أمثال الشطي الدمشقي والشيخ السبكي ، مع خلط في النقل وقلة فهم للقصد ، فهو كثيراً ماينقل العبارات بلفظها ، فان جاءت مغايرة فهي غلط قطعاً فهو لاينفرد إلا بالخطأ !! فيقال رداً على هذه الوجوه:

(أما الوجه الاول) وهو قولك: لانه سنة الاستسقاء، وانها لاتكون إلا بالاحياء فهل أخذته من فعل عمر والصحابة أم من دليل آخر ؟ فان كان الثاني فابرزه ـ وما أبعده ـ وكيف يشرع لنا الشارع أن نتوسل بالمفضول وندع الفاضل؟ ويختار لنا المرجوح دون الراجح ، في حالة الكرب والشدة ، وهي حالة الاستسقاء ؟

وان كان الاول فيقال : الاشكال باق ، وكيف اختار الصحابة التوسل بالمفضول؟وما دفعت اشكالا ولا أسمعت جوابا ، فانا نقول: ماقصر عمر التوسل في صلاة الاستسقاء على الاحياء إلا لعلمه انه لايجوز بالاموات . ويقال ثانيا : أين مافي الشريعة أن يكون في الاستسقاء شيء سنة فيه وليس سنة في غيره ولاجائزاً ؟ ويقال ثالثا : لاي سبب اختير في صلاة الاستسقاء التوسل بالمرجوح ؟

(واما الوجه الثاني) وهو ان العباس من ذوي الحاجة إلى المطر فوجه أسود مظلم، وما دخل ذلك في العدول عن الرسول ﷺ كأن الشيخ يرى ان الجاه والمقام لايكون إلا للمحتاجين الجائعين، او ان الوسيلة لاتؤثر إلا إذا كانت فقيرة ، اوان الرسول لاينصح لامته ، ويجتهد في دعوته لها لانه غير محتاج ولاجائع كجوعهم .

(وأما الوجه الثالث) وهو ان عمر أراد أن يبين للناس جواز التوسل بغير الرسول . فيقال له : ياشيخ ياعلامة ، هل كانت الصحابة او غيرهم سواء ـ العالم والجاهل والعاقل من غيرهم والمجنون يشك في جواز طلب الدعوة من الحي او التوسل بالذات المفضولة إذا جاز في الفاضلة، انه حكم بلاتصور ؟ إن كان أصحاب رسول الله يحتاجون أن يدلل لهم عمر على جواز ذلك فانك حكمت بانهم أجهل الخلق . وكيف يستقيم لك هذا مع قولك ان جواز التوسل مركوز في الفطر كلها حتى فطر الكفار؟؟ وقولك ان الكتاب والسنة فائضتان بتلك المسئلة ؟ هل ترى أن الاصحاب لم يعلموا الكثير المتواتر وانك علمت أكثر منهم ؟

ويقال أيضاً : لو كان الغرض ماذكرتكم به عمر تكلما وجاء به أبين وأخصر وأيضاً لو صح ما قيل لفعله مرة واحدة فكانت كافية ، وأيضاً لو استقام ذلك لقاله مع الفعل ليظهر تمام الظهور ، وأيضاً لفعلوه بغير العباس حينا

(وأما الوجه الرابع) وهو ان عمر خاف على ضعيف الاسلام الافتتان ان لم يجابوا بسرعة إنزال المطر فيقال :

(أولا) هذا جرح بأشرف القرون وأفضلها الذين قال فيهم الرسول ﷺ في الحديث الصحيح « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم - إلى آخره »

(وثانياً) لو ساغ ماقيل لكنا أولى وأحرى ألا نتوسل بالرسول ونستشفع به خيفة ما خاف منه عمر، وما يخاف على من كان في زمن عمر من خيار الامة ومتقيها وعلمائها ، فأولى ثم أولى ان يخاف على الناس اليوم وفيهم الفسوق الكثير والجهل الكثير ، والجرأة الكثيرة على قول الباطل ، واتباع الهوى وعمى القلوب والبصائر ما لم يكن شيء منه عند أولئك السادة الذين يزعم الشيخ ان عمر خاف عليهم

(وثالثاً) لو أن ماذكرتم يصح لجاز لنا — او وجب — أن نترك دعوة الله وسؤاله إذا خفنا ألا يجيب

(ورابعاً) كيف يظن عمر انه إذا توسل بالنبي عليه الصلاة والسلام لا يجابون مع انه رآهم يتوسلون بالعباس فيجابون، وقد وقع متكرراً

(خامساً) لوجاز هذا لجاء انهم كانوا يتركون التوسل به حياً حذار ماقلتم

(وأما الوجه الخامس) وهو انه أراد أن يدلل على صحة التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل، فهو بعيد جداً، كيف يشكون في ذلك ويجهلونه وهو لا يخفى على انسان؟ وايضاً : كان يقوله قولا ، او يقوله ويفعله ولو مرة واحدة. ولو ذهبنا إلى مثل هذه التجويزات والتوهمات لا نتقض الدين كله

﴿ الحديث الرابع ﴾

عن سهل بن حنيف ان رجلا ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال : ادعو الله أن يعافيني، فقال « إن شئت أخرت وهو خير لك ، وان شئت دعوت » فقال ادعه ، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ، ويصلي ركعتين ، ويدعو بهذا الدعاء « اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بمحمد نبي الرحمة ، يامحمد اني قد توجهت بك إلى

ربي في حاجتي هذه لتقضى. اللهم فشفعه في » رواه ابن ماجه والترمذي والنسائي وغيرهم ، وصححه الترمذي وابو اسحاق وابن تيمية وآخرون.

وهذا ـ الحديث أحدّ سهم ـ لعمر الله ـ معه بل هو كل مامعه ، ولهذا جعله فاصلا بينه وبين خصومه إذا تركوا التعسف ولزموا الانصاف.

والاستدلال به لمدعاهم من ثلاثة أوجه :

(الاول) قوله : أسألك واتوجه اليك بمحمد، قالوا هذا سؤال بالذات

(الثاني) قوله : يامحمد ، قالوا هذا دعاء له غائبا

(الثالث) قوله: أتوجه بك إلى ربي، قالوا هذا كالاول توجه بالذات

(ونقول في الجواب: عن الاول والثالث) أن يقال : جائز ان الباء سببية والمعنى أسألك واتوجه اليك بسبب محمد ، كما تقول جئت بامرك ولامرك وبسبب امرك ، والباء تكون سببية اتفاقا ـ حقيقة فيها لا مجازاً ـ كقوله تعالى (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) (ذلك جزيناهم بما كفروا) والمراد على هذا: اني أسأل الله سؤالا كان رسول الله هو السبب فيه والدال عليه ، كما تقول: دخلت الجنة بمحمد رسول الله ﷺ واهتديت به ، أي بسببه، وليس هو اقساما به ولا سؤالا به ، فلا يكون في الحديث دلالة على مايقول الشيخ

(ويقال ثانياً) يصح جعل الباء للمصاحبة ، كما هو شأنها كما ذكره النحويون كقوله تعالى(اهبط بسلام) اي مصاحباً السلام. وقوله (ادخلوها بسلام آمنين) أي مصاحبين سلاما . وقول الناس : اشتريت الدار بما فيها ، والسيف بقرابه وعلمت العلم بشواذه ونواده ، وقليت الشر بمشتهاه ومكروهه . وأمثاله كثير

وان قال هذا خلاف الظاهر المتبادر (قلنا) إذا كان صالحاً في اللسان واضحاً فيه وضوحا لا غبار عليه، فوضوح هذا وخفاء ذاك لديك ناتج من اعتقادك ذا ورفضك غيره. وللاعتقاد تأثير في النفوس قوي، بل غالب إبطال الحقائق وردها ناشيء

من ألفة ضدها . ولهذا يقول الله تعالى حكاية عن خصوم النبي ﷺ (وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين) فان ماغلب على نفوسهم من الاعتقاد الخبيث في الرسول ﷺ جعل على قلوبهم وبصائرهم غشاوة ، وعلى أسماعهم ختما ، فهم غير راجعين عن ضلالهم ، ولا مقلعين عن كفرهم ، حتى يرتفع هذا الختم وتزول هذه الغشاوة ليروا بعد ذلك الحق على وجهه الصحيح فيظهر لهم نوره

والمعنى حينئذ أسألك مع محمد وأتوجه اليك مع محمد أي كلانا سائل ومتوجه كما تقول: صليت مع محمد وصمت معه

(ويقال ثالثا) هو سؤال بالدعاء . والدليل عليه قوله في آخر الحديث «اللهم شفعه في» وفي أوله: ادع الله لي ، قال «ان شئت دعوت» وقد شاء ، لقوله: ادعه والشفاعة لاتكون إلا بالقول .

فان قيل : لو دعا لنقل الينا . فيقال : لعله دعا سراً ، إذ هو أفضل قال الله عن زكريا (إذ نادى ربه نداء خفيا) وقال عن المؤمنين (ادعو ربكم تضرعا وخفية انه لايحب المعتدين)

وقال رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح — لما سمع أصحابه يجهرون بالدعاء — « اربعوا على أنفسكم ، فانكم لاتدعون أصم ولا غائبا ، وانما تدعون سميعاً بصيراً أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته »

ولعله ﷺ قد دعا وجهر ولكن أصحابه لم يسمعوه لاشتغالهم ، أو لخروجهم ، أو لخروج الرسول ، او لحصول جلبة ، او سمعوه ونسيوه ، او تركوا نقله اكتفاء بفهم السامع

(ويقال رابعاً) : المفهوم من قول العرب: سألت بكذا ، وأعطيت بفلان ، وتوسلت بالامير او الوزير ـ مثلا ـ السؤال والتشفع بكلامه لابذاته . والنصوص يذهب بها حيث تذهب اللغة . وأي عربي يفهم من قول القائل: نلت حاجتي من

الملك بوزيره الا ان المغنى : بكلامه مع الملك وشفاعته

(ويقال خامساً): نحن وان سلمنا جواز التوسل بالذات حين تكون حية فلا نسلمه بها ميتة ، ولا تلازم بينهما ، فقد يكون التوسل بالذات لما كانت متلبسة بتكاليفها من صلاة وصيام وإيمان واسلام ـ فإن لها حينئذ حكم يخالف حكمها إذا تجردت من ذلك وغادرتها روحها

وأما اللفظ الثالث وهو قوله « يامحمد » وانه دعاه غائبا

فيقال اولا : ما الدليل المفيد انه دعاه غائبا؟ لامانع ان يكون دعاه حاضراً، ولعله كان قريبا منه حيث يسمعه .

وأما قوله « اذهب فتوضأ وصل ركعتين إلى آخره » فليس فيه دليل انه لدعوه غائبا ، إذ جائز ان قوله « اذهب » أي اذهب للوضوء فقط

فان قلت انه لم يقل له : تعال، والاطلاق يدل انه أطلق له أن يدعوه قريبا او بعيداً. فنقول لعله علم منه انه سيأتي بعد وضوئه او بعد وضوئه وصلاته ، لعلمه انه لايدعوه غائباء او كان الرسول عليه الصلاة والسلام يريد أن يقترب منه بحيث يسمعه، او كانت الميضأة والمصلى الذي سيصلي فيه ويدعو قريبان منه، ولعله كان في المسجد وهم فيه

واماقول سهل بن حنيف : فما تفرقنا حتى دخل علينا وليس به بأس ، فلا يفيد ان الرسول ماكان خرج عنهم وقرب منه .ويحتمل أن قوله دخل علينا أنه كان خارجا عن مكانهم وان كانوا وكان الرسول يسمعون كلامه، كما انني أسمع كلام جاري ومن عند بابي وان لم يكن داخلا ، ويحتمل انه عليه الصلاة والسلام عطي إذ ذاك من قوة السمع مايسمع به ما نأى

ويقال أيضاً: وقع ذلك في وقت الحياة ولايصح قياس الممات على الحياة إذ بينهما تمايز وبون شاسع (ولايستوي الاحياء ولا الاموات إن الله يسمع من يشاء، وماأنت

يسمع من في القبور) إذ الرسول ﷺ هو في الحياة قادر أن يدعو ويَسمع ويُسمع ، وأما ميتاً فلا

وأيضاً ، وإن لم يكن بينهما فرق ـ كما يزعم صاحبنا ـ لكن دعوة الميت يخشى ضررها وافسادها للعقيدة كما نشاهد ونسمع بخلاف الحي ، وأيضاً ـ وان لم يثبت الضرر ولا خوفه ـ إلا انه جائز أن يقال فرق الشارع بين الأمرين المتفقين فجعل هذا حلالا وهذا حراما، وكم فرق بين المتفقات ؟

***

وأما الرواية : التي في آخرها « فان كانت لك حاجة فمثل ذلك فافعل » فهي عند ابن أبي خيثمة ، وليست في الترمذي ولا في السنن. وقد غلط صاحبنا ـ وما أكثر غلطه ـ فعزاها الى الترمذي. ونحن ندع الاستغراب والانكار عليه في غلطه وخطأه إذ هي سنته وعادته

وأسرع مفعول فعلت تغيراً تكلف شيء في طباعك ضده

ولا ينكر على الاعمى اذا عثر ، وقد قال الازهر : ـ الذي هو جُذَيْمه المحكك وعذيقه المرجّب ـ ماجاء على أصله لا يسأل عنه

والجواب عن هذه الرواية التي عند ابن ابي خيثمة من وجوه :

(الاول) المطالبة بصحتها ، وما كل ماروي ونسب الى الرسول حجة ، حتى يحكم المحدثون او بعضهم بصحته ، أو يخرج في الكتب الملتزمة الصحة ، فكيف وهو في ابعد كتاب وهو مسند ابن أبي خيثمة، الذي قل ما يجري على اللسان ويخطر في الجنان للشيخ واخوانه فضلا عن أن يراه ويعرف ما فيه. ولو ادعى رؤيته فليذكر في أي مكتبة هو او عند أي انسان وفي أي بلد رآه ؟ وفي اي مكان من هـذا المسند رأى فيه هذه الرواية ؟

(الثاني) الرواية معلولة باعراض اهل السنن عن تخريجها ؛ مع اخراج اصل

الحديث ومعلولة بان فيها راويا تكلموا فيه وضعف، وبان بعض المحدثين قال: الظاهر انها مدرجة من بعض الرواة، ولانها ضد ما قال عليه السلام أولا، إذ أنه في الاول اختار له ترك الدعوة، وانه خير له، فكيف بعد ذلك بلحظة يقول له: في كل حاجة صغرت أو كبرت ادعني أدع الله لك؟ أتراه نسخ الاول أو نسيه؟ ولانها فقيرة الى التأويل، إذ ظاهر قوله «فمثل ذلك فافعل» أن يقول: يارب أتوسل اليك وأسألك بمحمد نبي الرحمة ليشفي بصري وبزول ضري، وإن كانت الحاجة التي يطلبها غير البصر، كأن يطلبه داراً أو ديناراً أو موتا أو حياة، وهذا خلف من القول، ولانه ما كان المعهود من الرسول ولا من الرسل أن يقولوا للناس: اسألونا نسأل الله لكم كشف عاهاتكم بل كان عليه السلام يغضب من كثرة السؤال، ويرغب في الصبر من جاء من أهل الاعتلال يسأله كشف دائه وينصح له أن يحتسب مرضه.

في صحيح البخاري: ان امرأة كانت تصرع فتتكشف، فأتته تسأله يدعو الله لشفائها، فنصح لها بالبقاء على حالها، فقالت إذاً ادع الله ألا أتكشف فدعالها. ولو كان يختار الدعوة لارباب الاسقام لم يبق مريض أو بقي ولكن قليل لانهم إما أن يطلبوا ابراء سقمهم أو لا يطلبوه. الثاني لايعقل، إذ كل ذي عاهة ساع كل السعي لابرائها، والاول ـ وهو ما اذا طلبوه ـ فاما أن يجاب في كل دعوته أو في أكثرها أو أقلها، أو لا يجاب في شيء. وعلى الاول لايبقى زمن يذكر، وعلى الثاني والثالث مع ذلك يؤديان الى ضرر كبير. وأما الرابع فانه تنفير للناس عن رسولهم وتصغير لشأنه واذهاب لعظمته وهيبته من النفوس، وهو قبيح

ونقول بعد هذا: ألايكفي ضعفا للرواية انها لم ترد في كتاب مشهور لا من الصحاح ولا المسانيد ولا السنن ولا المستدركات ؟؟

(الوجه الثالث) وان صحت الرواية فلاتشمل بعد الموت حتى نعلم انه عليه السلام ماعلم ان الرجل يموت قبله، او لاتكون له حاجة في حياته، إذ يمكن علمه ان الرجل

مائت في حياته عليه السلام او لاتحدث له حاجة ،فلا يكون شاملاما بعدالموت معنا

(الوجه الرابع) يمكن ارادة المماثلة في بعض الوجوه كما يقال كف الامير كالبحر ومثل الغمام ، وشبه الحمام ـ وكما تقول صاحب الفضيلة الشيخ يوسف الدجوي المراد على جهلة الوهابية ـ خابط عشواء ومثل حاطب الليل ، او إذا أردنا أن نعطيه منزلته في الحديث قلنا مثل ابن سعيد المصلوب ، وفي الفلسفة مثل الرئيس ابن سينا ، (ولا تراد المشابهة من كل وجه) وكما قال رجال الازهر في بلاغتهم : زيد كالاسد

(الوجه الخامس) وان بطل الآنف كله، لكن يجب تخصيصها بحال الحياة لامور:

(الاول) عدم فعل الصحابة والتابعين والائمة مع توفر الداعي، وكل ماورد في ذلك فهو صحيح غير صريح او صريح غير صحيح

(الثاني) الاخبار المفيدة موته ﷺ والاموات لايدعون ولا يَدعون ولا يسمعون ولايجيبون كما سلف

(الثالث) مهما دعوناه وسألناه لايجيب دعوتنا ولا سؤلنا ، ولو كان يدعو لاجاب كما في الحياة

(الرابع) روحه في الملأ الاعلى وهو حين أن كان موجوداً بين اظهرنا لايدعى غائباً نائبا ، فأنى يدعى بعد الموت؟

(الخامس) في سؤاله ميتا فساد كبير مشاهد ومنقول

(السادس) لم ينقل عن الرسول ولا أحد من المسلمين العلماء كالصحابة والتابعين والأئمة انهم توسلوا بنبي من الانبياء الاولين ولا بصالح بعد موته

***

وأما الرواية الثالثة : وهي ماروى البيهقي والحاكم في المستدرك عن ابي امامة سهل بن حنيف أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان في حاجة له ، وكان عثمان لايلتفت اليه ولا ينظر في حاجته ، فلقي الرجل سهل بن حنيف فشكى اليه ذلك

فقال له سهل بن حنيف: ائت الميضأة فتوضأ ، ثم ائت المسجد وصل ركعتين ثم قل: اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبينا محمد نبي الرحمة، يا محمد اني أتوجه بك إلى ربي ليقضي لي حاجتي، ثم اذكر حاجتك ، ثم رَوّح حتى أروح معك . قال فانطلق الرجل فصنع ذلك، ثم أتى بعد عثمان بن عفان، فجاء البواب فأخذ بيده ، فأدخله على عثمان، فأجلسه معه على الطنفسة وقال: انظر ما كانت لك حاجة ، فذكر حاجته فقضاها له . ثم ان الرجل خرج من عنده فلقي سهل بن حنيف، فقال له جزاك الله خيراً، ما كان ينظر حاجتي ولا يلتفت إلي حتى كلمته فيّ . فقال عثمان: ما كلمته ولكن سمعت رسول الله يقول ـ وجاءه رجل ضرير فشكا اليه ذهاب بصره — «أو تصبر ؟» فقال: يارسول الله ليس لي قائد وقد شق علي . فقال « ائت الميضأة فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل : اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يامحمد إني أتوجه بك إلى ربي فيجلي لي عن بصري، اللهم فشفعه في وشفعني في نفسي» قال ابن حنيف فوالله ماتفرقنا ولا طال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأن لم يكن به ضر قط

قال كاتبنا ومحدثنا المعترض: رواها الترمذي بسند صحيح . وهل أقول انه أخطأ وغلط ، وقد أكثرت من هذه المقالة، فاخشى أن لا يصدقني أحد، ويتهموني بالتزوير عليه ، ولكن جاء الحديث الصحيح « قل الحق ولو كان مراً » فأقول انه غلط وجهل

سجية تلك فيهم غير محدثة ... ان الخلائق ـ فاعلم ـ شرها البدع

والجواب على هذه الرواية من وجوه :

(الاول) المطالبة بالصحة

(الثاني) فيها العلل السابقة في الرواية قبلها، وقد عرفتها ان كنت رأيتها وحذقتها

(الثالث) هذا فهم صحابي والحجة في روايته لا في فهمه. فان قلت: كيف

يستقيم لكم ذلك وأنتم ترون دعوة الاموات شركا ،وهل ترون سهلا أشرك ؟

فيقال (اولا) انا في مقام إبطال التوسل ونفي أدلة الكاتب، أعم من كون المبطل شركا وكفراً أو بدعة محدثة هي على كل حال من شر الامور

(ويقال ثانيا) يمكن انه رأي رآه ورجع عنه حالا، ولا منع أن يرى المسلم الرأي المؤدى إلى الكفر ثم يعود عنه . في الترمذي ومسند احمد ان معاذ بن جبل سجد للرسول عليه السلام ونهاه عنه

ومعلوم عند المسلمين كافة أن السجود المخلوق شرك وكفر . وروى الترمذي وصححه ان الرسول وأصحابه مروا على قوم من المشركين لهم شجرة سدر دعوها ذات أنواط يتبركون بها ويعلقون بها أسلحتهم فقالوا : يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فغضب عليهم وقال « الله أكبر انها السنن قلتم والذي نفس محمد بيده كما قالت بنو إسرائيل: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة» ولاشك ان طلب جعل اله غير الله شرك، إذ لا يكون الا بعد اعتقاد جوازه وحسنه

وفي الصحيح أن حاطب بن أبي بلتعة تجسس على الرسول للمشركين في غزوة الفتح وأرسل لهم خطابا يخبرهم بحاله وينصح لهم، ومثل هذا كفر صراح . وقد قال عمر رضي الله عنه عند هذا : دعني أضرب عنق هذا المنافق ،فقال رسول الله ﷺ « وما يدريك ان الله اطلع على أهل بدر فقال اصنعوا ماشئتم فقد غفرت لكم » وقد جاء ان عمر بن الخطاب ماشك في اسلامه قط إلا في صلح الحديبية ، وقال : لقد عملت لذلك اعمالا ، وقال لما قبض النبي (ص) من قال ان محمداً مات ضربت عنقه بالسيف . ومن قال اليوم هذه المقالة يضرب عنقه بسيف عمر

وورد عن بعض الصحابة انهم كانوا يرون ان الخمر حلال ويحتجون بقوله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين) أوليس يكفر من قال هذا اليوم ؟

ويقال رابعاً : يمكن ان سهلا يرى ان ذلك خاص بالرسول، وانه كان يراه حياً دون غيره ، كما هو قول طائفة من العلماء ، فلا يكون عاما، ولو لم يكن على هذا الحديث من الاجوبة ما سبق لوجب تأويله ، وإن لم نعرف تعيين تأويله أو رده للادلة العقلية والنقلية — ان الميت لا ينفع ولا يضر ولا يدعى ولا يلجأ اليه ، ولا غرو أن يتعصب كاتبنا لهذا الحديث، إذ هو فيه ظنين متهم يرجو به أن يزال عماه ، وان الظنين ترد شهادته لكن مالي لا أراه رغب عن عماه؟ أو قد رغب عنه ولكن عماه أبى أن يرغب عنه . والله أعلم بذلك .

﴿ الحديث الخامس ﴾

عن بكر بن عبدالله المزني التابعي أن رسول الله ﷺ قال «تحدثون ويحدث لكم تعرض عليّ أعمالكم، فان وجدت خيراً حمدت الله، وإن وجدت شراً استغفرت لكم » رواه القاضي اسماعيل بن اسحق في فضل الصلاة على الرسول ﷺ، وقال كاتبنا الحديث صحيح .

والجواب ان الحديث مرسل ليس صحيحاً ولا ثابتاً، إذ المرسل عند جمهور أهل التحقيق ليس حجة وما اخال محدثنا يعرف شيئا من ذلك. وقد ضعف بعض المتأخرين هذا الخبر بطريق آخر، فقال انه معارض لما هو أصح منه وأثبت باتفاق اهل العلم والحديث وهو مارواه البخاري ومسلم وغيرهما ان الرسول عليه السلام قال « ليذادن أقوام عن حوضي يوم القيامة، فأقول يارب أصحابي، فيقال انك ماتدري ما أحدثوا بعدك ، انهم مازالوا مرتدين على أعقابهم. فأقول بعداً لهم وسحقا ، وأقول كما قال العبد الصالح (وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد) » فقال: هذا الحديث يفيد انه لايعلم أعمال امته وذاك يفيد علمه، ويمكن أن يقوى هذا الاخير ـ فوق اتفاق الشيخين على صحته ـ بقوله تعالى (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم؟ قالوا لا علم لنا انك

أنت علام الغيوب) وعندي ان هذا التضعيف ضعيف باربعة امور :

(الاول) انه لاتعارض ألبتة، إذ حديث عرض الاعمال فيه انه يعلم نفس الاعمال وانها خير او شر وانها منسوبة إلى أمته، ولا يلزم أن يعرف أصحاب العمل الصالح بالتعيين والفاسد كذلك . وحديث «لاتدري ماأحدثوا بعدك» فيه انه يجهلهم أمن الصالحين او الطالحين ؟ ولا ينافي انه لايعلم ان أمته جاءت بعمل صالح او طالح

(الثاني) وقت الحادثتين مختلف، او يمكن أن يكون مختلفا؛ وحينئذ لا يتحقق التعارض، إذ يجوز انها تعرض عليه الاعمال في البرزخ قبل النشور . ويوم القيامة يوم الفزع الاكبر يذهل عنها (يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) . وقال بعض المفسرين في آية المائدة (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم ؟ قالوا لاعلم لنا انك أنت علام الغيوب) انهم ينسون ما كانوا يعلمون من تفاقم الهول

(الثالث) أن يقال: حديث «لاتدري» خاص ما احدثوا بعدك وحديث عرض الاعمال عام والخاص مع العام ليس تعارضا، وطريق الجمع بينهما معلوم

(الرابع) يمكن أن يقال: خبر العرض على الاجمال وخبر «لاتدري» على سبيل التفصيل، فهو يعلم إجمالا ولا يعلم تفصيلا، ونحن نعلم حال اهل الاسلام بالجملة ولا نعلمها بالتفصيل .

وأخذهم التوسل من هذا الحديث من عرض الاعمال عليه واستغفاره وحمده الله، لانهم قالوا هذه من صفات الاحياء والاحياء يدعون

﴿ الجواب الثاني ﴾ قولكم لاتعرض الاعمال إلا على الحي ولا يستغفر ويحمد إلا الاحياء قول باطل . قال الله تعالى (إنا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها) وقال (وان من شيء الا

يسبح بحمده) وقال (النجم والشجر يسجدان)وقال (وله أسلم من في السموات والارض) وهو كثير

فن قال : ألتزم ان الاشياء المذكورة حية . قيل- مع احالته-وهل تلتزم أن يستغاث بها ويتوسل اولا ؟ فان التزمت كابرت ، وان لم تلتزم ناقضت وقيل : ليكن حكم الموتى كذلك ، قل انهم أحياء وأجرهم مجرى الاشياء المذكورة

ويقال ثانيا: من نبأك انه لاتعرض الاعمال إلا على الاحياء ؟ ولا يحمد ويستغفر غير الاحياء ؟ لامانع أن يكون ذلك من الاموات. فالله على كل شيء قدير

ويقال ثالثا : سلمنا انها لاتعرض إلا على الاحياء ولا يستغفر ولا يحمد إلا هم لكن الاحياء في كل وقت، ام في وقت دون وقت؟ الاول باطل . والثاني لايغني نقيراً ،فيحتمل انهم يحيون في وقت يقسنى منهم ماسلف

ويقال رابعا: قولكم لاتعرض الاعمال الا على الاحياء مقصدكم حياة تصح معها دعوة صاحبها او حياة أعم منها ؟ الاول مردود والثاني لايكفي

ويقال خامسا: ليس كل حي يدعى ويسأل. فالارض حية بنص الكتاب . ولا تجوز دعوتها . والكفار الاموات أحياء في قبورهم بنص الكتاب والحديث الصحيح ولا تجوز دعوتهم، ولا تجوز دعوة الاحياء الغائبين ولا دعوة الملائكة . قاله صاحبنا: تصح دعوة الملائكة والاستعانة بهم وهو في أقصى مراتب البطلان لامور:

(الاول) انه لم يفعله الرسول ولا أصحابه ولا احد من العلماء المقتدى بهم ولا رسول من الرسل ، ومحال كل الاحالة أن يكون جائزاً حسنا ويتركه هؤلاء.

أما دليل انهم لم يفعلوه فلأنه لم ينقل في الكتاب العزيز ، ولا في الحديث الشريف مع مافيهما من الادعية التي كان يدعو بها الانبياء والاولياء ولا أمرا بذلك

لا يصح أن يقال: لعلهم فعلوه ولم ينقل ، اذ هذا تشكيك في الضروريات وجلب ريب في الشرائع الدينية . إذ لقائل أن يقول - جريا على هذه القاعدة -

لعل الصلوات الخمس زيد فيها او هي ازيد من خمس، والصوم أكثر من شهر او هو في غير رمضان، والحج اهله إلى المسجد الاقصى، او لعل هذه الامور نسخت كلها، فاذا قيل له هذا مستحيل. قال: أعقلا ؟ فلا بد أن نقول لا . واذا قيل مستحيل عادة ؟ قال وما وجه احالته؟ سنقول له: لانه لم ينقل الينا مع توفر الدواعي على نقله. فسيقول لنا عدم النقل لا يستلزم عدم الوجود فلا بد من الحصر والبكم، وان قيل له أجمع المسلمون على خلافه . قال (اولا) كون الاجماع حجة ظني وبعضهم لا يجعله حجة

ويقول ثانيا: احتمال وجود الخلاف وان لم ينقل واقع، فلعلهم اختلفوا، ولم نعلم إذ غاية معرفة الاجماع أن نرى أقوال العلماء الكثيرين ولا نرى مخالفا، او نرى من يحكي الاجماع وهو لا يفيد عدم الوجود

ويقول ثالثا : معرفتنا اجماع المسلمين في ترك دعوة الملائكة والتوسل بهم لا بين من كل اجماع

ويقول رابعا : لعل الادلة على حجية الاجماع نسخت

والنهاية ان مثل هذا القول مفسد للاخبار والاديان

(الامر الثاني) الدال على بطلان دعوة الملائكة انك لا تعلم هل يسمعون دعوتك، واذا سمعوا هل يجيبون طلبتك ؟ هذا لا تعلمه (ولا تقف ما ليس لك به علم) وهو طاعة للشيطان الذي (يأمركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله ما لا تعلمون)

(الثالث) قال الله (وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا) والنهي الواقع على النكرة عام . فعلى المجوز دعوة الملائكة اثبات تخصيص دعوتهم من هذا العموم

(الرابع) من قواعد صاحبنا الجبرية: ان الفعل كله لله، وليس لاحد فعل ما ولا ينفع ولا يضر إلا الله والله يقول (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك إذا من الظالمين) (قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد اذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الارض

حيران) ودعوة غير الفاعل غير معقولة ،ولا نخالف العقل إلا بدليل سمعي

(الخامس) كما أخبر الله ان الملائكة لاتنفع ولا تضر سواء أدعوناهم ام لم ندعهم فدعوتنا إذن عبث

(السادس) هم في السماء وبيننا وبينها مسافة خمسمائة عام، فانى يسمعوننا ؟ لم يعهد مثله إلا في الخالق سبحانه

(السابع) مهما دعوناهم لايجيبون ولا يفعلون ألا يكفي دليلا على انهم لا يسئلون

(الثامن) لو ساغت دعوتهم لساغت دعوة الجان والحور العين في الجنان وليس بعيداً أن يجوزه صاحبنا فاذا وصل الى هذا الحد خوطب مخاطبة أخرى

﴿ الحديث السادس ﴾

عن أنس بن مالك (رض) قال لما ماتت فاطمة بنت اسد بن هاشم ـ أم علي ابن أبي طالب ـ وكانت قد ربت النبي عليه السلام دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها ثم قال « رحمك الله يا أمي بعد أمي » فذكر ثناءه عليها ، ثم كفنها ببردته وأمر بحفر قبرها. قال: فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله بيده وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ ، فاضطجع فيه ، ثم قال « الله الذي يحيي ويميت، وهو حي لايموت، اغفر لأمي فاطمة بنت أسد، ووسع لها مدخلها ـ بحق نبيك والانبياء الذين من قبلك، فانك أرحم الراحمين» قال صاحبنا رواه الطبراني في الكبير والاوسط وابن حبان والحاكم بسند صحيح . وروى ابن أبي شيبة مثله عن جابر ، وروى مثله ابن عبد البر عن ابن عباس. ورواه أبو نعيم في الحلية عن أنس وعلى هذا اجوبة :

(الاول) المطالبة بالصحة إما بالطرق العلمية على نهج أهل الحديث أو بالنقل عن محدث انه صححه . وأما قوله انه صحيح فليس مقبولا ولان الشيخ يعلم نفسه ـ كما يعلمه الناس ـ ليس من اهل التصحيح او التضعيف ولا من أرباب هذا الشأن ولا من ذاكريه ، وهل يعرف ترجمة رجل واحد من مشاهير رواة الحديث فضلا عن

أغلبهم ، فضلا عن معرفة انقطاع السند واتصاله ونكارته وشذوذه وغرابته وما لعله يكون فيه من علة خفية . حتى يكون ذا رأي في التصحيح والتضعيف ؟

فالحديث لايكون صحيحاً إلا إذا كان رجاله أثباتا من أول السند الى آخره وبأن يحدث التاريخ بانهم تلاقوا ، أو على الاقل تعاصروا ، وأن يسلم من الشذوذ والعلة الجلية والخفية ، كالنكارة والغرابة وهذه أمور فيها غموض وخفاء على حذاق المحدثين فكيف بمن لايكادون يفقهون حديثا ؟

(الثاني) الحديث غير صحيح فان فيه روح بن صالح المصري وهو ضعيف.

(الثالث) على فرض تسليم صحته فالذي في هذا الحديث السؤال بحق الانبياء وهو محتمل كما قدمنا أن يكون غير مخلوق ، وانه صفة من صفاته تعالى وهو نصرته الانبياء وارضاؤهم واعلاؤهم على اعدائهم أو حقهم هو الكتب المنزلة . والسؤال بهذه الامور موضع اتفاق

(الرابع) لايؤخذ منه غير سؤال الخالق بالمخلوق ، ويبقى دعوة المخلوق وسائر أنواع التوسل لا دليل عليها من بصير ولا أعمى

(الخامس) يحتمل ان قوله : بحق وما بعده متعلق بحال محذوفة من قوله : مدخلها ، والمراد بحق الانبياء منزلتهم ومسكنهم. والمعنى وسع مدخلها حال كونه بمساكن الرسل ، ويحتمل انه متعلق بوسع ، وهو متضمن معنى اجعل

ثم نقول ــ بعد هذا : ان الفقهاء صرحوا بحرمة سؤال الله بحق احد من خلقه . قال الشيخ ابو الحسن القدوري: الشيخ لايسأل الله بحق أحد من خلقه فان الله هو صاحب الحق على عباده

﴿ الحديث السابع ﴾

عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ان رسول الله وقف على قليب بدر فقال «هل وجدتم ماوعدكم ربكم حقا؟» ثم قال « انهم الآن ليسمعون

ماأقول» رواه البخاري ومسلم وغيرهما . وعن أبي طلحة : ان الرسول ﷺ يوم بدر أمر بأربعة وعشرين صنديداً من صناديد قريش، فقذفوا في طوى من اطواء بدر ، وقام على الطوى فجعل يناديهم باسمائهم و أسماء آبائهم « أيسركم انكم أطعتم الله ورسوله ؟ فانا وجدنا ماوعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ماوعد ربكم حقا؟» قال فقال عمر بن الخطاب: ما تكلم من اجساد لا ارواح لها ؟ فقال رسول الله «والذي نفسي بيده ماأنتم بأسمع لما أقول منهم » رواه البخاري ومسلم أيضاً وغيرهما .

قال المعترض : انه نادى الاموات وسمعوه وهم كفار . فأجدر بالمسلمين بأن يدعوا ويسمعوا . والجواب على هذا من وجوه :

(الاول) جواب عائشة رضي الله عنها لما حدثت بهذا الحديث أنكرته وقالت: وهل ابن عمر، انما قال رسول الله « انهم ليعلمون الآن ان ماأقول لهم حق» ثم تلت قوله تعالى (انك لاتسمع الموتى) رواه عنها البخاري ومسلم وغيرهما

(الثاني) جواب قتادة قد رواه عنه البخاري انه قال: احياهم الله حتى اسمعهم قوله ، توبيخاً وتصغيراً ونقمة ، وحسرة وندما. وبه قال كثير من العلماء

(الثالث) أن يقال لعل هذا من خرق العادة أو هو من خرق العادة لرسوله ﷺ معجزة له حيث أسمع من لا يسمعون ، ونادى من لا ينادون ، ولا يصح أن يقال خرق العادة خلاف الاصل لامرين :

(الاول) لانسلم ان خرقها في عصر النبوة لنبيه خلاف الاصل، بل هو الاصل فشأن الرسول كله خوارق ، ومن ذا يقول ان المألوف المعهود أن لايحصل لنبيه خارقة؟

(الامر الثاني) قول عمر : كيف تكلم اجساداً لا ارواح بها فاقره الرسول ﷺ على قوله لاارواح لها وعلى انكاره ، ولا يعقل الشيء ولايسمع إلا اذا كان له روح إلا ان بخرق العادة إلا ان يقال فهم الشيء وسماعه وخطابه ليس متوقفا على الروح . فاذا قيل هذه المقالة قيل إذاً يجوز لديك ان الجمادات تسمع منا وتفقه

فقد جاء ان النبي ﷺ خاطب بعضها وكلمه فجاء قوله « ان ذراع هذه الشاة يخبرني انه مسموم » لما دعته امرأة يهودية في غزوة خيبر وقدمت له شاة مسمومة . والحديث في البخاري وروى مسلم قوله « اني لاعرف حجراً في مكة كان يسلم عليَّ قبل البعثة »

وفي البخاري ومسلم انه عليه السلام كان يخطب على جذع نخلة فلما صنع له المنبر وصعد عليه وترك الجذع جعل الجذع يحن حنينا شديداً كحنين الطفل فنزل اليـه الرسول وضمه إلى صدره وهدأه حتى سكت ، وورد في البخاري ومسلم وغيرهما انه عليه السلام وقف على جبل أحد ـ هو وابو بكر وعمر وعثمان ـ فاهتز بهم أحد ، فضربه برجله قال « اثبت أحد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان » وفي النسائي ـ وأصله في مسلم ـ انه عليه السلام أتاه رجل فقال ادع هذه الشجرة فان جاءت اليك آمنت بك ، فناداها فجاءت حتى وقفت أمامه ثم قال « ارجعي مكانك » فرجعت

فاذا قال القائل : الاشياء المذكورة تسمع منا ويصح نداؤها وصل إلى حالة لا يخاطب معها إلا خطاب المجانين . ونحن صائرون لا محالة إلى أحد الاجوبة السابقة في الحديث لامور :

(الاول) الآيات الدالة ان الاموات لايسمعون كقوله (انك لاتسمع الموتى وما أنت بمسمع من في القبور) وقوله (إن تدعوهم لايسمعوا دعاءكم ولو سمعوا مااستجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبؤك مثل خبير)

ووقتئذ إما أن نؤول الآيات وإما أن نؤول الحديث أو نتركهما متناقضين ، وتأويل الحديث أولى لوجوه :

(الاول) الآيات أقوى وأثبت ، وهي قطعيـة اللفظ ، بخلاف الحديث . والخروج عن ظاهر ماليس قطعياً أولى منه عن ظاهر ماهو قطعي

(الثاني) الآيات أكثر عـدداً من الاحاديث ، وتأويل القليل أرجح من تأويل الكثير

(الثالث) القرآن أفصح، وهو معجز، بخلاف الحديث، وأخذ ظاهر الاقوى أقوى

(الرابع) الحديث طعنت فيه عائشة بخلاف الآيات

(الخامس) ان الحديث لاعموم له فيمكن قصره على الواقعة المعينة ، وأما الآيات فعامة . فاذا ذهبنا ذلك المذهب سلمنا من ارتكاب المجاز وإزالة الالفاظ عن ظواهرها . وقد أجمع أهل البلاغة انه لايصار إلى المجاز إلا اذا امتنعت الحقيقة

(السادس) الآية موافقة للمشاهدة والاستقراء من ان الاموات لايجيبون مناديهم ولا يعطون سائلهم

(السابع) اذا قصرنا الحديث على الحادثة الخاصة كان فيه كرامة لرسوله واذا عممنا زالت تلك الكرامة، وصار هو وغيره في الامر شرعاً واحداً، وما فيه إكرام رسوله فالمصير اليه أكرم

(الامر الثاني) الملجيء إلى أحد التأويلات قوله في الحديث الصحيح المروي في البخاري ومسلم انه عليه السلام قال « يبلى ابن آدم كله إلا عجب الذنب ومنه يركب الخلق »

(الثالث) قوله في الحديث الذي رواه مسلم «اذا مات الانسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له، أوعلم ينتفع به» والسماع عمل .

(الرابع) إعراض المسلمين عن مناداة الاموات من مسلمين وكفار ، فهو يدل على التخصيص .

وههنا تركنا اعتراضاتنا كلها، لكن من أين أخذت جواز التوسل والاستغاثة بالمقبورين ، أمن المناداة وسماعهم إياها ؟ لايصح ذلك . وهل كل سامع يستغاث ويتوسل به؟ لايمكن أن تقال هذه المقالة. إذ المقصود من الاستغاثة الاجابة والاستفادة، ومن أين لنا ان كل سامع يجيب ويغيث ؟

ويقال أيضاً: من أين فهمت ان كل ميت يسمع ويفهم مايقال له؟ أمن منطوق

هذا الحديث أم من مفهومه أو من دليل آخر ، من قياس او غيره ؟

أما الحديث فلا يفيد العموم لامنطوقا ولا مفهوما ، إذ هو حكاية حال وهي لاعموم لها . ولا دليل آخر على العموم فان كان فالحجة فيه

وأما إن كان من القياس فلا تقبله الاكياس ، إذ للقياس شروط كثيرة وموانع وأحكام عويصة ، فهل جمع تلك الامور ؟ وان مما يشترط في القياس معرفة العلة إما بالنص أو الاستنباط ، فهل عرفت العلة ؟ كيف ذلك والقياس ينكره جم من العلماء اذا لم يخالف نصاً ؟ فإن كان فكل الناس من القياس قد بان

ويقال أيضاً : لو أخذت الحديث على ظاهره لجوزت دعوة الاموات الكفار والاستنجاد بهم .

فان قلت : ان الحديث قال انهم لايجيبون ، قلنا وهل قال في المؤمنين انهم يجيبون ؟ فعلى كل تقدير لايمكن أن يأخذ من هذا الحديث عدو الوهابية شيئاً ، لا بل قد ياخذ منه الوهابية حجراً يلقمونه الشيخ لو كان من الذين يفقهون القول على وجهه

﴿ الحديث الثامن ﴾

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « مامن أحد يسلم عليّ إلا رد الله عليّ روحي حتى أرد عليه السلام » رواه أحمد وابو داود ، وقال شيخ الاسلام ابن تيميـة اسناده جيـد . وقال الشيخ تقي الدين السبكي صحيح . وقال ابن عبد الهادي المقدسي ، قال بعض العلماء على شرط مسلم

قال المعترض : هذا الحديث يفيد انه حي إذ الحي من فيه الروح والحي تصح دعوته

فيقال الجواب عليه من وجوه :

(الاول) ان الحديث فيه مقال من جهة السند فان فيه حميد بن زياد مولى بني هاشم ، روى عنه مسلم بن الحجاج وابو داود والنسائي والترمذي ، قال في خلاصة التذهيب للشيخ الخزرجي : قال احمد وابن معين — في رواية — ليس به

بأس ،وضعفه ابن معين في رواية أخرى،وضعفه النسائي ،وقال الذهبي في ميزان الاعتدال: قال احمد ليس به بأس، وقال ابن معين ضعيف.وفي روايةليس به بأس، وقال ابن عدي هو عندي صالح الحديث ، وانما أنكر عليه حديثان . ثم ان ابن عدي ذكره في موضع آخر فضعفه ، وقال ابن عبد الهادي : في اسناده مقال ، وفي حميد بن زياد مولى بني هاشم هذا اختلاف.ثم ذكر الاختلاف فيه وقال بعده: ومثل هذا لا يصل إلى درجة الصحيح . وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني : أكثر أحاديث الزيارة موضوعة

وأما تصحيح السبكي له فقد عرف من تعصبه وتصحيحه الموضوعات مايدل ان بضاعته في هـذا الفن كانت مزجاة فلا اعتماد على قوله . وأما ما نقـله ابن عبد الهادى عن بعض المحدثين انه على شرط مسلم فقد جاء به ابن عبد الهادى على انه غير مرتضى عنده ، وأما قول ابن تيمية ان اسناده جيد ، فلفظ جيد في اصطلاح المحدثين ليست تصحيحا بل قد يطلقونه على الحسن وعلى الضعيف الذي لم يكن ضعفه شديداً ، اولعل ابن تيميةلمارأى اباداودقد سكت عليهظنه صالحا، وكم في ابي داود ممـا لايصلح ، او لما رأى احمد بن حنبل احتج به ظن انه يصح الاحتجاج به ، وكم احتج احمد بمالايصح به الاحتجاج او وهم ، كيف والجرح مقدم على التعديل ؟ أنى ومعنى الحديث فيه اشتباه من جهة رد الروح اليه ، إذ يقتضي انه يموت بعدد التسليمات ، ويحيي كذلك ، وهذا لا يقوله إلا متجرد من عقله متكلف تكلف النصارى في الاقانيم الثلاثة . ثم يقتضي ان الروح ترد عند كل تسليمة ، وقد تكون التسليمات متصلة فلا يتأتى الرد إلا برده

(الثاني) على تسليم ثبوته فليس هو في محل النزاع إذ ليس فيه توسل ولا استغاثة ولا مناداة بل فيه التسليم عليه، وطلب السلامة يتأتى ولو لمـا لايعقل ، وفيه رد السلام على المسلم ولا ينكره خصومه ولا يلزم من رد السلام والتسليم دعوة المسلَّم

عليه ، ومن زعم ذلك طواب بالدليل

(الثالث) يفيد الخبر انه عليه السلام ميت فارقته روحه ،وانها لاترجع اليه إلا للسلام فقط ، فاذا قال المعارض :آخذ منه انه حي ترد له روحه والحي لاشك في دعوته . قيل له أتريد انه ترد له روحه عند السلام فقط ويقدر على الرد فقط، أم تريد انه ترد اليه روحه مطلقا،وانها عند كل سؤال تكون موجودة ام تريد ان الروح لا تفارقه أبداً ؟

إن أردت الاول فلا يفيد شيئاً ،وان أردت الثاني فمطلوب منك الدليل مع ان تقييد الرد بالسلام يبطله . وان أردت الثالث كان الخبر يكذبه لان قوله :ترد اليه روحه يعلم أنها عنه ذاهبة وان لم يبطله الحديث لم يثبته ، وصار الامر محتملا. والقائل باحد الامرين مطلوب منه الدليل

(الرابع) كون الروح لا تفارقه لايقتضي انه يسمع منا ، وانه لو سمع فهم ولو فهم أجاب ، ولو أجاب صح انا طلبه إذ لايلزم من ثبوت الاجابة صحة طلب المجاب اليه ،ولو أفاد انه حي لم يفد جواز دعوته كما قدمنا ،فان من قال كل حي يدعى مردود قوله حتى يقيم عليه الدليل ،وقد تقدم الكلام المبطل له

﴿ الحديث التاسع ﴾

حديث الزيارة للمقابر الثابت في صحيح مسلم وغيره،عن ابي هريرة وعائشة وغيرهما انه عليه السلام كان يقول عند زيارة الاموات ويعلّم أن يقال « السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين ، وانا إن شاء الله بكم لاحقون ،نسأل الله لنا ولكم العافية » ومثله قول المصلين في التشهد «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته»

قال الشيخ : هذا دعاء ومخاطبة للاموات ، فيصح دعاؤهم ،

وأنا لاأدري كيف استفاد منه جواز دعاء الاموات وسؤالهم والتوسل بهم أمن ضمير الخطاب ؟ فاذاً يفهم من قول امريء القيس :

ألا ايها الليل الطويل الا انجلي بصبح وما الاصباح منك بامثل

وقوله يخاطب الديار :

الاعم صباحا أيها الطلل البالي وهل يعمن من كان في العصر الخالي

وهذا وأمثاله مما لا يحصي من أقوال الشعراء والخطباء والعلماء والجهلاء في مخاطبة الطلول والديار مما هو أشهر من يستشهد له ، فهل يفهم أستاذنا الاديب الاريب الصائب بكل غريب وعجيب ، خليفة سيبويه على النحو ، ونائب امريء القيس في الشعر ، وقلب ابن المقفع في النثر ، وجلد ابن منظور في اللغة ، وروح افلاطون في الحكمة ، وفؤاد ارسطو في المنطق ـ هل يفهم ان هؤلاء الشعراء يتوسلون ويستغيثون بالاحجار والاشجار والآثار والديار ويعتقدون انها تفهم منهم الحوار ، وتقضي لهم الاوطار ؟ هل يفهم ان الجمادات في غابر الزمان لها فهم وجنان ، ولسان ويدان ؟ او يعتقد ان هؤلاء الشعراء لا يعقلون ولا يدرون ، وانهم يرون مالا يفهم فاهما ، والجماد الذى لا يعي عالما ؟ ليس بدعا من استاذنا أن يراه ، ولكن ماذا يقول وكيف يحتال في قول شعراء هذا العصر ، السالكين مسلك الاولين في مخاطبة الربوع والكواكب والافلاك ؟ كما قال أمير الشعراء شوقي بك مخاطباً الشمس :

قفي ياأخت يوشع حدثينا أحاديث القرون الغابرين

وقصي من مصارعهم علينا ومن دولاتهم ما تعلمينا

ثم قال :

زمان الغزو يافرعون ولى ودالت دولة المتجبرينا

أتراه يعتقد أن الشمس تسمع منه وتفهم وانها تجيبه ؟ ليس بعيداً عليه ان يعتقد انهم قلدوا الشعراء الاوائل من غير تفكير . كما ان الشيخ يوجب ان يقلد كل ما ينسب الى الشافعي وابن حنبل ومالك وابو حنيفة من غير تصور ولا تدبر وهل هو صواب أو خطأ .

يا أيها الشيخ، ان اللغة لا تمنع ان يخاطب غير الفاهم، فهي تخاطب من لا يفهم، ولا يسمع، وتناديه لا على طريقة التوسل به والطلب منه والاستغاثة به، وذلك في كل لسان

فأنت ترى الذي لا يعتقد وجود الارواح وانه لا شيء غير هـذه الاشباح وان الروح عبارة عن عرض به يحصل الفهم والادراك، وهو يكفر بالآخرة وبالحياة الثانية ـ ترى من هذا دينه وعقيدته ، يكلم الميت ويخاطبه مخاطبـة الحاضر ، بل يخاطب غير العاقلين ولا يقصدون من الخطاب ما تقصده

فما لك أنت أخـذت دون العالمين من التسليم على الرسول والاموات واحضارهم في التسليم انهم يسمعون ويفهمون واستدللت به على جواز التوسل بهم؟

وقد ورد في آخر حديث التشهد مايفيد ذلك فروى البخاري في آخر حديث ابن مسعود الذي في التشهد — بعد ان ذكر التشهد المعروف — قال وهو بين ظهرانينا . فلما قبض قلنا السلام يعني على النبي ﷺ هذا لفظ البخاري

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرح البخاري وأخرجه ابو عوانة في صحيحه والسراج والجوزقي وابو نعيم الاصبهاني والبيهقي من طرق متعددة إلى ابي نعيم ، شيخ البخاري فيه بلفظ فلما قبض قلنا السلام على النبي ـ بحذف لفظ يعني ، وكذا رواه ابو بكر بن ابي شيبة عن ابي نعيم

قال السبكي في شرح المنهاج ـ بعد ان ذكر هذه الرواية عن ابي عوانة وحده: فان صح هـذا عن الصحابة دل على ان الخطاب في السلام بعد النبي غير واجب. فيقال السلام على النبي . قال الحافظ ابن حجر قد صح ذلك بلا ريب وقد وجدت له متابعاً قويا . قال عبد الرزاق اخبرنا ابن جريج اخبرنا عطاء ان الصحابة كانوا يقولون والنبي حي : السلام عليك أيهـا النبي ، فلمـا مات قالوا : السلام على النبي وهذا اسناد صحيح

وروى سعيد بن منصور في سننه من طريق ابي عبيدة بن عبدالله بن مسعود

عن أبيه ان النبي علمهم التشهد فذكره فقال ابن عباس انما كنا نقول السلام عليك أيها النبي إذ كان حياً . قال ابن مسعود هكذا علمنا وهكذا علمنا . قال ابن حجر اسناد هذا ضعيف . فهذا كله يدل ان الصحابة يفهمون انه لا يسمع بعد الموت . ولهذا غيروا الخطاب إلى الغيبة وإن كانوا ما غيروه فعلا فيؤخذ انهم يعلمون ذلك لكن لم يغيروا ، إبقاء للامور الواردة على حالها

ويقال أيضاً : من اي طريق أفاد هذا الخبر الوسيلة؟ امن طلب السلام للاموات ، ام من لفظ الخطاب ؟ ام من الامرين؟ ام من امر آخر ؟

اما الاول فلا يمكن إذ قول القائل السلام على هذا ، معناه يا الله سلمه وألق عليه السلامة والنجاة من الآفات والشرور ، وهذا لا يستلزم أن يسمع او يدري المدعو له بالاتفاق ، كما تقول يارب احفظ بيتي من السراق . وإما من لفظ الخطاب ليس أيضاً صوابا لامور ٠

(الاول) غاية ذلك اقامة البعيد مقام القريب واحلال ضمير مكان ضمير آخر لازيادة عليه

(الثاني) لانسلم انا اقمنا ضميراً بدل ضمير وأوقعنا كلمة مكان أخرى ، بل كل ذلك في موضعه وعلى حاله ، أما في زيارة القبور وخطابها فهي حاضرة قريبة لا اشكال فيه . وأما كونها تسمع او لا تسمع فاللفظ لم يتعرض له ، وأما خطاب الرسول في الصلاة ، اما إذ كان حياً حاضراً فلا لبس فيه . وأما بعد أن ذهب وانتقل إلى الرفيق الأعلى فانا أبقينا اللفظ على حاله حذر الاختلاف والاضطراب . والالفاظ ينظر اليها من جهة وضعها الاول ، أو نقول ان الصحابة رجعوا عن الخطاب كما سلف إلى الغيبة . وإذاً بطل الاستشهاد بالخبر

(الثالث) ضمير الخطاب اما أن يكون في اللغة حقيقة في الغائب مجازاً في الحاضر ، او بالعكس ، او مجازاً فيهما ، او حقيقة فيهما . وعلى هذه التقاسيم كلها لا ينفع

الخصم شيئاً . أما على القسم الاول فظاهر ، واما على الثاني فقصاراه انا تجوزنا ووضعنا لفظا مكان آخر ، والقرينة على التجوز غيبته عنا قطعاء إلا أن نقول انه في كل مكان كما يقول الحلولية في الاله : فحينئذ يجب صفع قائله على قفاه

وأما الثالث فغايته التزامنا التجوز فيهما معا

وأما الرابع ، وهو أن يكون حقيقة فيهما فكالاول لا اشكال فيه ،

وبعد هذا كله نسائل من زعم جواز الوسيلة استناداً إلى هذا الخبر ، كيف أخذها ؟ وبأي سبيل استنبطها ؟ ليقم الدليل، والا فلا سمع ولا طاعة ، وأضحى لدى كل عاقل مزجى البضاعة، مخطئاً في الصناعة واما انه يهذي ويرسل الالفاظ ارسالا ، ويترك الادلة إهمالا ، ويقول بعده هذا كاف دليلا ، شاف عليلا ، وهو يسكت اضدادنا ويجهز على أعدائنا فهي جادة غير مرضية ولا راضية

﴿ الحديث العاشر ﴾

حديث الشفاعة الطويل الثابت في الكتب الصحيحة: البخاري ومسلم وجميع السنن، وقد قال بعض علماء الحديث : انه متواتر ، وفيه: أن الناس يذهبون إلى الانبياء واحداً بعد واحد ويطلبون منهم الشفاعة لدى ربهم أن يريحهم من موقفهم الشديد ومقامهم الضنك ، وان الانبياء يمتنعون من الشفاعة ، وكل يحيل على غيره ويقول لست لها اذهبوا للآخر حتى يصلوا إلى خاتمهم رسول الله ﷺ فيقول «أنا لها أنا لها» فيتقدم إلى ربه ويسجد ويثني عليه بمحامد وثناء يلهمه إياها لا يعرفها قبل تلك الساعة . ثم يقول له الله · ارفع رأسك واسأل تعطه ، واشفع تشفع ـ إلى آخر الحديث .

قد فرغ عجبي ونزفه خلط الشيخ السابق .

والجواب عليه :

(الاول) ان هـذا في حال الحياة بعد قيام العباد من موتهم (الثاني) ونحن

لانناز ع في جواز التشفع بالاحياء سواء في الحياة الاولى والاخرى فهو بعيدعن موضع النزاع كل البعد ، اتراه يرى ان الحياة الاخرى موت او ان حكمها حكم الموت؟

(الثاني) يقال هذا في الآخرة ولا يصح أن تلحق شؤون الآخرة بالاولى فان لكل أحكاما تغاير أحكام الاخرى ، فالاعمال كالايمان والتوبة في الاخرى لاتقبل ولا تنفع صاحبها بل لاتستطاع لبعض الناس . قال تعالى (يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون* خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون) وفي البخاري وغيره «ان المنافق إذا أراد أن يسجد صار ظهره طبقا واحداً فلا يقدر على السجود» وقياس الآخرة على الاولى من افسد الاقيسة

(الثالث) مافي هذا الحديث سوى الشفاعة والاستشفاع ، وهل معنى الشفاعة هو معنى الوسيلة تماما ؟ ان بينهما لفرقا

(الرابع) أن يقال : أثبت انهم يوم القيامة مكلفون بالاحكام فلا يمكن أن تستدل بفعلهم حتى تعلم تكليفهم ، ويقال : لعلهم زالت عقولهم من اغتلام الهول (وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) والجواب الاول وهو المعتمد

﴿ الحديث الحادي عشر ﴾

قال الشيخ أخرج البيهقي في دلائل النبوة عن مالك الدار خازن عمر قال : اصاب الناس جدب في زمان عمر (رض) فجاء رجل قبر النبي ﷺ فقال: يارسول الله استسق لأمتك فانهم قد هلكوا ، فأتاه رسول الله في المنام فقال : ائت عمر فاقرئه السلام و خبره انهم مسقون ،وقل له عليك الكيس الكيس. فأتى الرجل عمر فأخبره ، فبكى عمر ثم قال : يارب ما آلو إلا ماعجزت عنه .اه ثم قال الشيخ أو محدثنا : إسناده صحيح. والجواب عليه من وجوه

(الجواب الاول) المطالبة بالصحة ،وقوله انه صحيح ليس مقبولا وقدسبرنا عليه الغلط ان لم نقل الكذب في الاشياء الظاهرة في عزو الاخبار .والمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ـ هذا للحيات ـ وأما صاحبنا فلا يلدغنا ولا مرة، ولا يهم بلدغنا، وإن هم فقد همّ بمهلك

كناطح صخرة يوما ليوهنها به   فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

(الثاني) على فرض صحته لا دليل فيه ألبتة .أما استسقاء الرجل فليس حجة، ولعله اخطأ .وما ندري ، أهو صحابي أم تابعي ،ولا نلتزم ان التابعين معصومون من الخطأ ولا من الشرك .وأما إتيان الرسول هذا الرجل في المنام فلا نسلم انه جاءه ، ومن لنا انه ليس شيطانا تمثل بصورة غير صورته الحقيقية ،وقال له أنا الرسول تضليلا وإن قلنا انه الرسول وانه جاءه في النوم حقا فلا نسلم ان الرؤيا حكم شرعي ،وإن سلمنا فليس فيها انه قال توسلوا بي ولا بغيري

ومجيئه الرجل المستسقي فلا يفيد انه مصيب ولا انه جاءه لعمله . وأما إخباره ،عمر فلا نسلم انه اخبره باستسقائه بالرسول، ولعله أخبره بالرؤيا فقط ،أو ببعضها وهو قوله « قل له عليك الكيس الكيس » والفعل الماضي في الاثبات بلسان العرب بمنزلة النكرة في الاثبات. فكما لا يعم قولنا جحصل منا إخبار كذلك لا يعم قولنا اخبرنا ،ولئن سلمنا اخباره عمر بالواقعة كلها فلا نسلم أن عمر أقره ،إذ يحتمل أنه أنكره ولم ينقل ، وعدم العلم ليس علما بالعدم . ولعل بكاء عمر من انكاره ، ولئن سلمنا عدم إنكار عمر فلا نسلم تصويب عمر إذ يجوز انه أخذته الدهشة والفزع مما قال له ومن تذكره الرسول ، ويجوز انه نهاه من قبل فلم يجد فتركه في الواقعة التي نحن فيها .

﴿ الحديث الثاني عشر ﴾

أحاديث عذاب القبر ونعيمه وذهاب الارواح ومجيئها وفهمها خطاب الملائكة وخطاب الله وسائر ماجاء من شؤون البرزخ

فيقال: غاية هذه الاخبار أن الارواح تشعر وتألم وتنعم من أشياء يلقيها الله عليها، وملائكته . وما اللازمة بين هذا و بين دعائها فيجوز أن يسمعوا من الله وملائكته ويفهمون ويألمون وينعمون وليس الامر كذلك من غيرهم ، ويجوز أن يعوا منا ويفقهوا ويسمعوا وانهم لا يجيبون ، وهل كل سامع وفهم يجيب؟ فان السقيم والمقعد والعاجز يسمعون كذلك وقد لا يجيبون ، وهل كل مجيب تصح دعوته ؟ لا

ويقال أيضاً : أفادت النصوص أن الكفار كذلك ، فهل أخذ منه صحة الاستغاثة بهم؟ فان التزمته فقد قلت ما يعلم فساده كل أحد ومالا تجد لك عليه موافقا. وإن قلت لا أجوز دعوة الكافر الميت، قيل ما السبب في منعه؟ أمن كونهم غير قادرين على الاجابة ؟ فان قلت هو كذلك قلنا وكذا قل في المؤمنين وان قلت السبب فيه هو كفرهم، قلنا لو كان ذلك هو السبب لما جاز دعاؤهم أحياء إذ العلة المانعة موجودة في الحالين.

ويقال أيضاً على هذا يصح أن يكون هناك أسباب لا نعلمها في منع دعوة موات المؤمنين مع وجود المقتضى

وإن قلت السبب في منع دعاء الكفار إرادة إهانتهم ، قيل لو كان ذلك هو المقتضى لم تجز دعوتهم احياء . وان قلت السبب انه لم يؤذن فيه ، قلنا وهل أذن فيها للمؤمنين؟ وإن قلت لم ينقل الينا دعوة أموات الكفار عن أحد من المسلمين، قلنا ولم تنقل الينا دعوة أحد من موتى المسلمين .

ويقال أيضاً : ما الذي أفهمك من هذه الاخبار جواز التوسل ، أكونهم أحياء أم لأمر آخر ؟ فان كان للحياة فلندع إذن الكفار الاموات ، فهم أحياء بظاهر النصوص . وإن كان السبب غير الحياة قلنا : هو ثبوت أعمالهم إن كان ذلك أخذ منه التوسل ، والسؤال لكفار الاموات .

وان قلت السبب هو الصلاح والايمان قلنا : أولا بطل استدلالك بالحديث الذي معنا ، لانك استشهدت بدليل آخر

ويقال ثانيا : ماوجه اقتضاء الصلاح للتوسل بصاحبه ؟ إن قلت هو فعل المسلمين واجماع الامة على التوسل بهذا وترك ذاك ، قلنا : لا نسلم الاجماع ، بل لانسلم أن أحداً من الصحابة أو التابعين أو عقلاء المسلمين وعلمائهم فعله . وإن قلت السبب أمر آخر، قيل : هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين . والذى يدل على ان هذه الاخبار لا تفيد التوسل انه لم يفهمه أحد من المسلمين المحققين مع قرائتهم هذه الاحاديث وفهمهم لمعناها

﴿ الحديث الثالث عشر ﴾

الاحاديث الواردة ان الصحابة كانوا يتبركون بآثاره عليه السلام وأثوابه وماباشره.

فيقال : ذلك تبرك، وهذا توسل، وعظيم مابينهما من الفرقان ، إذ التوسل العامي كما سبق تحته أنواع ، من ذلك دعوة الاموات، وسؤالهم ، والاقسام على الله بهم، والحلف بهم، ونذر النذور، وتقريب القرابين، وشد الرحال ، وقراءة الاوراد ، والقرآن لارواح الموتى، والصلاة الى القبور، والتوجه اليها في حين العبادة، والصلاة واعتقاد قبول الدعوة لديها أكثر . فهل التبرك يؤدي هذه المعاني ؟

(الثاني) لو كان هناك تلازم بين التبرك والوسيلة لصح أن يدعى ما كانوا يتبركون به ، فيدعون مثلا نعله وثوبه وعصاه وبصاقه ووضوءه والتراب الذي مس بدنه ، إذ كل هذه الاشياء كانوا يتبركون بها ، فيقال مثلا يانعل اشفعني ، ويارداء اغثني واشفع لي عند ربك . ويصح عليه أن تقرب الذبائح والقرب والنسك للجمادات التي مسها عليه السلام ، وتصور مثل هذا يكفي في بطلانه . ووالله ان القلم ليعاصى في كتابة هذا الكلام، ولكن الضرورات تحل المحظورات

(الثالث) التبرك هو طلب الكثرة ، فمعنى تبرك بهذا الشيء طلب الزيادة والنمو، كما يقال تبرك ببيت كذا وبتجارة كيت، أي طلب أن يحصل له زيادة خير .

ويقال تبرك بالزوج فلانة وبالصديق فلان ـ وإن كانا مشركين ـ فما لهذا والتوسل؟

ويقال تبرك به ويراد انه استشفى به واستعفى كما يستشفى بالمستشفى وبالطبيب فيراد ان الله جعل به شفاء كما جعله في العقاقير ، فان كان يلزم من الاستشفاء بالرسول وباثوابه وأدواته التوسل والدعوة لزم من الاستشفاء بالطبيب النصراني والنطاسي اليهودي والآسي المجوسي أن يتوسل بهم ، وكذا أيضاً الاستشفاء بالادوية . ووالله ما أفسد دين الانبياء ومناهج الرسل إلا مثل هذه الترهات،

ثم لعل تبركهم بأدوات الرسول وأمتعته كان على سبيل الحب والاخلاص ، أليس نهاية مافيه انهم كانوا يضعونه على اجسادهم، أليس الحبيب يصنع بمحبه ذلك من حيوان وجماد ، وإن كان لا يقصد منه غير الوداد ، وإظهار الحب وشفاء علة النفس ، فما لهذه الاشياء والاستغاثة لو كانوا يعقلون ؟

ثم بعد هذا كله فانا نقول : ان هذا كان خاصا بالرسول ﷺ

﴿ الحديث الرابع عشر ﴾

عن ابن عمر ان الرسول قال « من حج فزار قبري فكأنما زارني في حياتي» وفي رواية «من زار قبري وجبت له شفاعتي » رواه الدارقطني

(الجواب) مطالبته الاثبات، فانه لم يثبت ان محدثا ولا غيره صححه واخراج الدارقطني له لا يدل على ثبوته . يعرف ذلك من له أدنى نظر في علم الحديث فالدارقطني يروي الموضوعات باتفاق أهل الصنعة، وهو لم يشترط الصحة كما هي طريقة أغلب أهل الحديث، والقليل من المحدثين الذي اشترطها كالبخاري ومسلم، ولهذا ترى الدارقطني تارة يحكم على الحديث الذي رواه بالوضع، وطوراً بالضعف، وحيناً بالصحة ، ومرة بالحسن ، ووقتا يسكت ، ولو كان ماأخرجه كله صحيحا لما توقف الناس في الاخذ باحاديثه على النظر في سنده ، وأيضاً لما كان يحتاج إلى الحكم على الحديث بصحة او ضعف، وكان يكفيه روايته، هذا لا يحتاج الى اطناب، ولكن

الناس في الارشاد مراتب ولهم مخاطبات

(الثاني) لايخفى ان هذا الخبر كذب لم يقله رسول الله ولا ابن عمر ، فهو فاسد السند والمعنى ، وقد ضعفه ابو الحسن بن القطان والنووي ، وقال البيهقي منكر ، قال الحافظ ابو جعفر العقيلي ليس صحيحا ، قال ابن خزيمة في النفس منه شيء وتوقف فيه ، وقال العقيلي لايصح في الباب شيء ، وضعفه الضياء المقدسي وابن تيمية ، وقد صححه ـ على مايقول الشوكاني ـ عبد الحق وعابه عليه ابن القطان ، وصححه ابن السكن وتقي الدين السبكي نقل هذا عنهم الشوكاني . وفي سند الحديث رجلان ضعيفان ، وهما موسى بن هلال العبدي وعبد الله بن عمر العمري ، وهيهات أن يصح حديث يقول زيارته ميتاً كزيارته حيا

ومن ذا يسلم ان الوقوف على القبر بلا رؤية له ولا سماع لكلامه كالوقوف عليه في حياته وسماع كلامه الهادي ؟ سبحانك هـذا بهتان عظيم . وكيف يثبت خبر يقول : زائر القبر نائل الشفاعة على علاته

(الثالث) الحديث ليس في محل النزاع ، إذ هو في اثبات الزيارة ، ونحن لانخالف في جوازها ، وإن اختلف في جوازها وكونها سنة ، وكأن الشيخ لايدري أن هناك زيارة بغير وسيلة ، فنحن نقول الزيارة سنة ولكن لا نقول بالوسيلة على المعنى المعهود ، فأين الخبر الذي نحن بصدده مما ننفيه ويثبته ؟ اللهم متعنا باسماعنا وابصارنا .

هذا آخر أدلته الحديثية وهي كما رأيت لم يفم منها ولا حديثا واحداً لا صحيحه ولا ضعيفا ولا موضوعا .

الباب الثالث

فى محو أدلته العقلية

وهي ـ والحق يقال ـ كافية له آية ، لو ادعى النبوة ، وفاقت آيات الانبياء ولو اطلع عليها الرئيس ابن سينا والمعلم الثاني الفارابي ـ بعد ان ألفا ماألفاه من كتب الفلسفة والحكمة ـ لأتيا على ما ألفا حرقا وإبادة خجلا ، واستعاضاها عن كل ماقيل ومايقال، ولكن حيل بينهما وبين مايشتهيان، وخصّ الله بها أهل هذا العصر المبصر ، إذ لايليق به إلا مبصر مثله

طفق الشيخ يسردها على العالم ، ولسان حاله يقول ـ وحق له ـ أن يقول:

ولو ان ماعندي من العلم والفضل　　يفرق في الآفاق ما كان من جهل

ويثنّيه شامخ الانف ، وخليق به أن يشمخ

واني وإن كنت الاخير زمانه　　لآت بما لم تستطعه الاوائل

ويثلث بقوله ـ رافع الرأس ـ وأخلق به ان يرفع

إن أكن معجبا فعجب عجيب　　لم يجد فوق نفسه من مزيد

ولكن على رغم ذلك كله فما فهمت ولا أظن أحداً فهم مما جاء به إلا الخلف والسخف والبراءة من العقل والظرف . فاسمع حينئذ الي مايزيح غمة هذا الهذيان ويفضح ماتحت بهرجه وزيفه من زور وبهتان

قال (الدليل الاول) ثبتت الاستغاثة بالاحياء ولا فرق بين الاحياء والاموات وما ثبت لاحد المثلين ثبت للآخر فنتج منه جواز التوسل بالاموات اه

سبحانك ياحكيم ، سبحان من اختص من شاء بما شاء ، قسم العقول والذكاء حكمة وصلت إلى التسوية بين الحي والميت ، عجيب وألف عجيب ، لا فليس

هناك عجيب منذ خرج هذا الحكيم ! وبناء على هذه الحكمة فالضار للميت بنوع من الضرر، كأن يقطع رجله او يده، او يفقأ عينه أو يقلع سنه يقتص له من الفاعل إذ من صنع بالحي ذلك اقتص منه ولا فرق بينهما عند الاستاذ

ومما أجمع عليه الناس من الخطأ دفنهم موتاهم في التراب إذ هم كالاحياء والاحياء لايجوز دفنهم، وتزوجهم امرأة الميت وتوريثهم ماله إذ هو مثل الاحياء . إني لو وقفت على ميت أمامي فوق ظهر الارض قبل بطنها وسألته قضاء حاجة لعدني كل راء مجنونا إلا ان يكون هو مجنونا ، ولو قلت ذلك لحي قادر لما أنكره منكر ، ولو قلت لانسان عاقل كان أو معتوها ، عالما أو جهولا : ياشبيه الميت أو باميت لامتلأ غضبا . وانا نرى الميت يهان ويوطأ وهو لا يتحرك ولا يدفع عن نفسه ، أتراه رضي لها الهوان ، أليس الله يأمر كل انسان أن يسعى الى الخير، ويبعد عن الشر، فهل الموتى ضيعوا أمر الله؟ واذا كان الموتى مكلفون باحكام الشريعة ، فما لنا لانراهم يعملون ؟ أما سمعنا الله يقول (وما يستوي الاحياء ولا الاموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور) ويقول (انك لاتسمع الموتى) أما الاحياء فقال (واذا سمعوا ماأنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع)

إن هذه المقالة مصادمة للقرآن صريحا ، فالقرآن يقول (لايستويان) وهي تقول هما سواء . كل انسان يعلم علما ضروريا ان الميت لايساوي الحي

والله اني لاربأ بنفسي وبوقتي ان أشغلهما بابطال هذه الحجة ، وأحاشي القارىء عن أن أخاله يفتقر إلى تبياني، فهي من الاشياء الضرورية الاولية ، ولو احتاج الفرق بين الحي والميت إلى دليل لكان نفس الدليل أعظم احتياجا، وعليه لايثبت أمر ويقول الحديث الصحيح « اذا مات ابن آدم انقطع عمله » هل الحي كذلك ؟

فبالله هل رأيتم ـ وما أكثر مارأيتم ـ انسانا قال هذه المقالة ؟ وكأنما أنزل الله (وما يستوي الاحياء ولا الاموات) دحضاً لها . وإن لم يكن في عصر إنزال القرآن أحد يقول مثلها ، فيالها من هوة سقط الشيخ فيها ، وما أعظمها عثرة ، ولو كان غيره سقط فيها لمات أسفا على مافرط في جنب العلم

(الدليل الثاني) قال متع الله اخوانه بعلمه الباهر ـ الفعل كله لله والعبد لا فعل له ألبتة ، سواء في ذلك الحي والميت ، فاذاً الطلب من الاحياء والاموات على وتيرة واحدة فأنت في الحالتين سألت العبد مالا يقدر عليه . اه

(وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها) هذه هي الحكمة الاولى الا أن الشيخ للباقته ومهارته كساها ثوبا أخفاها عن الاعين حتى ظننتها جديدة ، وما هي إلا القديمة العقيمة. قرر ان الله هو الذي يوجد الايمان والصلاح، كالصلاة والصيام والحج والزكاة وسائر أعمال الطاعة ، ويجزي عليها ، ويوجد الكفر والزيغ، والزنا والسرقة وسائر أعمال العصيان ، ويعاقب عليها ، وانه تعالى طالب عباده أن يفعلوا فعله ، ويعملوا عمله ، وفيه من الطعن على الاله ونسبة الظلم اليه ، وابطال الاوامر والنواهي والشرع مالا يخفى ، وبمثله يستطيع الطاعنون على الاديان أن يطعنوا ، وبأمثال هذه الآراء خرج الناس من دين الله أفواجا ، وانها لهادمة جميع الاديان السماوية والقوانين الوضعية

والجواب عليها من وجوه :

(الاول) قوله إن العبد ليس فاعلا، إما أن يكون دل عليه العقل، او القرآن او الحديث ، او الاجماع ، او المشاهدة، او الضرورة، او شيء غيرها ؟ ولا شيء. اما العقل فانه لا يفهم ان العبد ليس فاعلا ، وانه كالريشة تقلبها الارواح أنى صابت، بل العقل يعلم انه لا يحسن عقاب العبد ولا ثوابه ولا أمره ولا نهيه ولا شكره إلا إذا كان فاعلا قادراً على الفعل والترك ، ولهذا لا يلوم الحجر الهاوي من أعلى إلى

أسفل إذا ضر ، ولا يشكره إذا نفع ، ولا يذم الريشة إذا ذهبت مع الزوابع ، ولا المرتعش على ارتعاشه ، ولا الملقى من محل عال على هويه، ولكن يلوم الحي الذي ليس مضطراً ويذمه ويصحح عليه العقاب والثواب وعليه عقول النـاس كافة ومعاملتهم ، والعقل يرى ان العقاب على ترك مالا يقـدر عليه عين السفه والظلم، وهو يحسن عقاب العاصي والظالم ، ويحكم بان من يأمر العاجز من أجهل الجهلاء ، فكيف نتوهم انه يرى ان لا فعل للعبد ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم .

واما القرآن فلعمر الاله انه من اوله إلى آخره لينادي بهدم هـذه المقالة ، فهو ينسب الافعال إلى العبـاد نسبة لا تحتمل التأويل ، ويحكم انهم الفاعلون (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) (أولما اصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير) (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) و (من يعمل مثقال ذرة خـيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) (وقل اعملوا فسيرى الله عملـكم ورسوله) (يعمـلون له مايشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات) (والله عليم بما يصنعون) (لها ما كسبت وعليهـا ما اكتسبت) (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً الا أن يشاء الله) وهو في القرآن كثير

وأما الحديث فكالقرآن يقول « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » « أطيب ما أكلتم من كسبكم » « أطيب ما أكل الرجل من عمل يده وان داود كان يأكل من عمل يده » « اكلفوا من العمل ما تطيقون ان الله لا يمل حتى تملوا »

وأما الاجماع فما أبعده ، فالسلف قاطبة يرون العبد فاعلا حقيقة لا يشذ منهم واحد، وهذا مذكور في كتاب خلق أفعال العباد للبخاري وغيره ، وكيف يدعي الاجماع في هذا الباب مع قول المعتزلة . العبد خالق أفعال نفسه

واما المشاهدة فشاهدة بضده واما الضرورة فقد ادعاها المعتزلة في قولهم: ان العبد خالق لافعاله، وأي ضرورة تقول العبد لافعل له ؟

واما ان كان شيئا آخر فعليه أن يكشفه لنا لننظره، أنقبله أم نرده، مع علمنا ان لاشيء

(الثاني) قولك العبد ليس فاعلا، مخالف لظاهر القرآن، والحديث، واطلاقات المسلمين والكافرين. فهي ناطقة باسناد الفعل والعمل والصنع والكسب الى العباد بل وباسناد الخلق قال تعالى (وتخلقون افكا) (اني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير) وقال (تبارك الله أحسن الخالقين) فاثبت خالقين غيره، وأما إطلاق الناس ونسبتهم ذلك إلى العباد فلا ينكر، حتى المعترض يسلم به بل ويطلقه، فاذا ثبت ذلك فمخالفته لهذا الاطلاق والنسبة اما أن تكون لدليل او لا لدليل

الدليل اما أن يكون من القرآن اوالحديث اوالاجماع اوالمشاهدة اوالضرورة أما لغير دليل فمردود. واما الدليل فان الاشياء المذكورة قد سلف انها لاتفيده شيئا فعاد كلامه مخالفا لظاهر القرآن والحديث والاجماع لغير مقتض، وخالف كلام أشياخه أيضا، والكتب التي تدرس في الازهر، فلا ندري كيف نمشي كلامه؟

قال في العقائد النسفية: وللعباد أفعال اختيارية يثابون بها ويعاقبون عليها. قال في حواشيها: اعلم ان المؤثر في فعل العبد اما قدرة الله فقط بلا قدرة من العبد أصلا وهو مذهب الجبرية، أو بلا تاثير لقدرته وهو مذهب الاشعرية، او قدرة العبد فقط بلا إيجاب واضطرار وهو مذهب المعتزلة، او بالايجاب وامتناع التخلف وهو مذهب الفلاسفة ــ والمروي عن امام الحرمين ــ او مجموع القدرتين على أن يؤثر في أصل الفعل، وهو مذهب الاستاذ، او على أن تؤثر قدرة العبد في وصفه بان تجعله موصوفا بمثل كونه طاعة او معصية، وهو مذهب القاضي ابي بكر الباقلاني ثم قال في الحاشية: المقصود ان للعبد فعلا ينسب إلى قدرته سواء كان جزء المؤثر

ـكما هو مذهب الاستاذ ـ أو مداراً محضاً ، كما هو مذهب الاشعري ، ويجب أن يعلم ان جميع أفعال الحيوانات على هذا التفصيل من المذاهب، إلا أن بعض الادلة لايجري إلا في المكلف، فلذلك خصوا العباد بالذكر اهـ باللفظ

وقال في كتاب المسايرةـ المقرر تدريسه في الازهر : الاصل الاول العلم بانه تعالى لا خالق سواه لكل حادث جوهر او عرض ، كحركة كل شعرة وكل قدرة، وفعل اضطراري ، كحركة المرتعش والنبض ، او اختياري، كافعال الحيوانات المقصودة لهم ـ ثم قال ـ اعلم انا لما ذكرنا ان ما اوردوه من العقليات التي ظنوا احالتها استناد شيء من الافعال الاختيارية إلى العباد لم تسلم لم يبق عندنا في حكم الفعل مانع عقلي من ذلك ، فانه لو عرف الله العاقل افعال الخير والشر ، ثم خلق له قدرة أمكنه من الفعل بها والترك ، ثم كلفه باتيان الخير ووعده على الاتيان به الثواب ، وترك الشر وأوعده عليه بناء على ذلك الاقدار، لم يوجب ذلك نقصاً في الالوهية ، إذ غاية مافيه انه أقدره على بعض مقدوراته ، كما اعلمنا بعض معلوماته تفضلا منه واحسانا ، وان كان قد يرى، فرق بين الخلق والعلم لكن لايقدح كما ذكرنا ، إذ كان سبحانه غير ملجأ إلى ذلك ولا مقهور عليه، بل فعله سبحانه باختياره في قليل لانسبة له بمقدوراته ، لحكمة صحة التكليف واتجاه الامر والنهي، مع انه لاتنقص نسبته اليه بالايجاد، لان إيجاد المكلف لها انما هو بتمكين الله إياه منها ، واقداره عليها، غير أن السمع ورد بما يقتضي نسبة الكل اليه بالايجاد وقطعها عن العباد ، فنفي الجبر المحض وتصحيح التكليف، ووجب التخصيص وهو لايتوقف على نسبة جميع أفعال العباد اليهم بالايجاد ، بل يكفي لنفيه أن يقال: جميع مايتوقف عليه أفعال الجوارح من الحركات وكذا التروك التي هي أفعال النفس من الميل والداعية والاختيار بخلق الله تعالى لاتأثير لقدرة العبد فيه . وانما محل قدرته عزمه عقيب خلق الله هذه الامور في باطنه عزما مصمما بلا تردد ، وتوجهه توجهاً

صادقا للفعل طالباً إياه ، فاذا أوجد العبد ذلك العزم خلق الله له الفعل، فيكون منسوبا اليه من حيث هو حركة، لانه تعالى المنفرد بترتيب المسببات على أسبابها، والى العبد من حيث هو زنى ونحوه ، وانما يخلق الله هذه الامور في القلب ليظهر من المكلف ماسبق في علمه بظهوره منه من مخالفة أو طاعة. وليس للعلم خاصية التأثير ليكون مجبوراً لما عساه يتضح من بعـد ، ولا خلق هـذه الاشياء يوجب اضطراره الى الفعل، لانه أقدره فيما يختاره ويميل اليه عن داعية على العزم، مثل فعله وتركه ، إذ من المستمر ترك الانسان لما يحبه ويختاره ، وفعل شيء وهو يكرهه لخوف من ذلك العزم الكائن بقدرة العبد المخلوقة لله ـ صح تكليفه وثوابه وعقابه وذمه ومدحه وانتفى بطلان التكليف والجبر المحض، وكفى بالتخصيص لتصحيح التكليف هذا الأمر الواحد ، وأعني به العزم المصمم. وما سواه مما لا يحصى من الافعال الجزئية والتروك كلها مخلوقة له تعالى، متأثرة عن قدرته ابتداء بلا واسطة القدرة الحادثة المتأثرة عن قدرته وإن اعلن . ومع ذلك فقلما يكون حسن هـذا العزم بلا توفيق من الله تعالى ، بل لايقع إلا بتوفيق منه تفضلا ، فان الشيطان مع الشهوة الغالبة وهوى النفس موانع كشبه القواسر لقوة استيلائها فلا يغلب إلا بمعونة التوفيق. وليس لأحد على الله ان يوفقه ـ الى آخر ما قال صاحب المسايرة ، وكلام الشارح كذلك .

وقال في العقائد العضدية : ولا خالق سواه . قال شارحه الشيخ الجـلال الدواني : جوهراً كان أو عرضاً للادلة العقلية والنقلية، كقوله (لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه) ، (هل من خالق غير الله)

قال : قال امام الحرمين في الارشاد : اتفق أئمة السلف ـ قبل ظهور البدع والاهواء ـ على ان الخالق هو الله وحده ولا خالق سواه، وان الخوالق كلها حادثة بقدرة الله من غير فرق بين ماتتعلق به قدرة العبـد وما لم تتعلق به . وقال حجة

الاسلام الغزالي : لما بطل الجبر المحض بالضرورة فان بداهة العقل حاكمة بالفرق بين حركة المرتعش وحركة المختار ، وبطل كون العبد خالقا لافعال نفسه بالادلة السمعيةالتي ذكرناهاوالعقلية المذكورةفي الكتب المبسوطةالكلاميةووجب أن نعتقد انها مقدرة بقدرة الله اختراعا ، وبقدرة العبد على وجه آخر من التعلق يعبر عنه بالاكتساب ، فحركة العبـد باعتبار نسبتها إلى قدرته تسمى كسباً له ونسبتها إلى قدرة الله خلقا فهي خلق الرب ، ووصف العبد وكسبه وقدرته خلق الرب ووصف العبد ، وليست كسباً له ، وأكثر المعتزلة على أنهـا حاصلة بقدرة العبد وحدها .

وقال الاستاذ ابو اسحاق : على انها واقعة بمجموع القدرتين على ان تعلقهما جميعا باصل الفعل ، والقاضي أيضاً على انها بمجموع القدرتين لكن قدرة الله تتعلق باصل الفعل ، وقدرة العبد بكونها معصية أو طاعة

وقال الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ـ عند قول الغزالي : وأكثر المعتزلة على انها حاصلة بقدرة العبد وحدها ـ أقول: هذا الذي ذكره حجة الاسلام هو قول الاشعري ورأي كثير من أصحابنا

فهذا الكلام الطويل عن علماء أهل السنة عند الشيخ يعرفنا ان الشيخ خالف من كلام أهل السنة الذين دائما يدندن باتباعهم ، وتضليل من خالف شيئا من آرائهم ، فكل هؤلاء قرر ـ كما سمعت ـ ان للعبد فعلا وقدرة

(الثالث) ان يقال: هب ان العبد لافعل له ولكن لانسلم انه ليس له كسب كما تقوله الاشعرية والماتريدية وبهذا الكسب يخالف الميت

(الرابع) سلمنا ان لا كسب للانسان لكن له صلاة وصيام وحج ، وقيام وقعود ، وذهاب ومجيء ، وأخذ وعطاء ، وسمع وفهم واجابة ، وغيره مما نشاهده وبه خالف الحي الميت

(الخامس) سلمنا فقدان تلك الاشياء ولكن نقول : انهـا واقعة بذاته ، وبه فارق الميت .

(السادس) سلمنا انها لم تقع فيـه ولم تحدث بذاته ، ولكن لايلزم من هذا عدم التفرقة بين الحي والميت ، وما المانع من أن تكون هناك فوارق ، وعدم علمها لايدل على عدمها

(السابع) سلمنا انه لافرق بين الحي والميت، ولكن لايلزم من ذلك جواز ان يعامل معاملة الحي ولا مانع أن يفرق بين المتماثلات، فكم فرّق الشرع بينها ولا سيما عند الذين لايقولون بالحسن والقبح العقليين ، والقياس لايصلح هنا،لان العلة ليست معروفة فان سؤال العباد وطلبهم الاشياء التي لايقدرون عليها وليست فعلا لهم ـ لاتعرف علته بل هو محض تكليف

(الثامن) سلمنا صحة القياس ولكنه معارض بالادلة النقليـة كقوله تعالى (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذاً من الظالمين) وقوله (وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً)

(التاسع) هب انه لادليـل يمنعه من القرآن، لكن ما حصل وشاهدناه من دعوة الناس الموتى نجم منه اضرار كثيرة ، وفواحش شنيعة ، فانا اذا جوزنا للعامة وأشباه العامة أن يدعوا الاموات ويسألوهم ـ وهم لايشاهدونهم ـ اعتقدوا ان لهم تأثيراً في الكون ، كما هو حاصل اليوم عند أغلبهم، وان كانوا لايشعرون، او يشعرون ويكابرون وهذا بخلاف الاحياء

(العاشر) سلمنا نفي وقوع الضرر لكن يجوز أن يكون هناك ضرر ينجم اذا أجزنا دعوة الاموات

(الحادي عشر) هبنا نفينا ماسبق، لكن غاية ما في ذلك ان الميت كالحي البعيد فمن يجوز دعوة البعيد؟

﴿ الدليل الثالث ﴾

من أدلة الشيخ،قول الناس: أرواني الشراب وأشبعني الطعام وأمثاله . وكأن الشيخ حين ظفر بهذا الاحتجاج الركيك قد ظفر بحكمة لقمان، ولولا الاحتياج إلى نقله لمـا نقلناه ابقاء على العلماء ، ولكن

يقضى على المرء في أيام محنته حتى يرى حسنا ماليس بالحسن

والجواب عليه أن يقال :

هذا خارج عن محل النزاع ، إذ هو اخبار ، والذي معنا انشاء وهو طلب الفعل من الموتى،فهل هو لايفرق بين البابين ؟ إن كان كذلك جاز أن يطلب من الماء والغذاء ، فيقول يانيل أرواني ، وياحم أشبعني ـ بخضوع وضراعة أمامه

(الثاني) قولك أرواني الشراب الخ . إما ان يكون صدقا او ليس كذلك ، فان كان الاول بطل هذا الكلام جملة،لان خصومه يرون ان الاموات لايفعلون مايطلب منهم،وهو السر في جعلهم دعاءهم شركا ،والشيخ لم يقم دليلا انهم يقدرون، بل هو يقول الاحياء لايقدرون فضلا عن الاموات .

وإن كان الثاني ، وان الشرب والأكل لم يفعلا ذلك فهذا الاسناد اليه والنسبة له إما ان تكون كذبا محضاً او ليس كذلك، بل مجازاً نصبت له القرينة المانعة ،إن كان الاول كان احتجاجا على الباطل بالباطل وهو باطل ، وإن كان الثاني ـ أي انه مجاز جعلت له قرينة مانعة وأضيف الفعل اليه على سبيل التسبب ـ فيقال إما أن يكون المجاز مطرداً في كل ماوجدت فيه القرينة والعلاقة،أو ليس كذلك، إن كان الاول لزم افساد الشرائع والنظم والاحكام وصح بناء على هذا أننا لو سمعنا مسلما يسب الله تعالى لم نكفره ولم ننكر عليه ووجب أن نعتقد انه مجاز بالحذف وانه يعني بسبه سب عباده الاشرار مثلا . وكذا لو قال:عيسى ابن الله ،اعتقدنا انه يقصد انه ابن أمته أو هو رءوف به كرأفة الاب بابنه ، وكذا لو كفر بالله وأنبيائه

وأفعاله أو قال انه غير موجود ، ولا عادل، ولا كريم. لأولنا له في ذلك كله وذهبنا بكلامه إلى المجاز الملعون . وكذلك من قذف المحصنات المؤمنات قلنا انه مجاز

فان قال الشيخ نجازيه ونعاقبه دفعا للاختلال وحفظا للنظام، قلنا كذلك في مسئلتنا ، وإن قال : المجاز جائز إلا في موهم الكفر والشرك . قيل قد سلمت ورجعت إلى قولنا ، وإن كان الثاني وان المجاز سماعي كان الاحتجاج ساقطا لافائدة فيه، فعلى كل تقدير الاستدلال بالطعام والماء ليس له طعم ولا عليه ماء

(الثالث) ينكر بعض علماء العربية المجاز مرة، ويجعل هذه الامور حقيقة، فعليه يكون الماء والطعام مرويا ومشبعا حقيقة ، ويكون الاستدلال به حينئذ لامعنى له حتى يثبت ان الاموات فاعلون مايطلب منهم حقيقة

(الرابع) إن سلمنا ثبوت المجاز لانسلم ان الاسناد في الامثلة المذكورة مجاز، بل هو حقيقة

(الخامس) إن سلمنا ان المجاز قياس حتى في العقائد وان الامثلة المذكورة مجاز لانسلم صحة التجوز في دعوة الاموات لامور:

(اولا) انه لا علاقة فيها ولا ارتباط

(ثانيا) إن كان فيها علاقة إلا انها ملغاة غير منظور اليها ، ولهذا منع التجوز بها، والذين قالوا بالمجاز شرطوا فيه أن لا يمنع منه مانع لغوي أو شرعي. والمانع اللغوي هو أن تكون العرب حجرته وتركت استعماله وإلا فهي لا تقول هذا ممنوع مثلا عندنا وذلك ليس ممنوعا. والذي معنا منعت العرب التجوز فيه لانها لم تستعمله ، وكذلك منعه الشرع فانه لم يستعمله بل نهى عنه كل النهي وقال : ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) وقال (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * واذا حشر الناس كانوا لهم أعداءً وكانوا بعبادتهم كافرين)

ومعلوم ان الميت لايستجيب لداعيه. وقد جعل الله داعيه أضل الخلق وقال

(قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا)
وقال(والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير *إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا مااستجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشركم ولا ينبؤك مثل خبير) والضمير في الآية للعقلاء ،فلا يصح أن يقال انه يقصد الحجارة والجماد فقط ، إذ هذا لا يصح لامرين :

(الاول) ان الضمائر التي هنا كلها للعقلاء،وزاده توضيحا بقوله (يكفرون بشركم)

(الثاني) ان لفظ « الذين » من أدوات العموم فلا يصح التخصيص

(السادس) إن التجوز في دعاء الاموات يحدث عقائد فاسدة ويضل الخلق وليس كذلك نسبة الارواء والاشباع للطعام والشراب، فما علمنا ان قوماً عبدوا الماء والأكل أو اعتقدوا لها التأثير والربوبية. وأما في الانسان فقل فيه ماشئت فمنهم من اعتقد فيه انه الرب الأعلى والآله الاكبر كفرعون ، ومنهم من قيل انه ابن الله كعزير والمسيح ، ومنهم من عبد وسجد له كاللات وود، ويغوث ويعوق ونسر، فانهم رجال صالحون كما قاله ابن عباس وهو مروي عنه في البخاري، فالتسوية بين هذين من اقبح التسوية .

(السابع)بعد كل تنازل عما سبق كله نقول : إن نسبة الافعال الى الامور الآنفة إما أن تكون قد دل الدليل على جوازها أولم يدل . فان كان الثاني صار كلام الشيخ لغواً ، فانه احتجاج بما لم يكن . وإن كان الاول فاما أن يكون هناك دليل على صحة دعاء الاموات أو لا دليل ، فان كان الاول صارت الحجة بالدليل وصار هذا الكلام حشواً . وإن لم يدل الدليل فمن أين ألحقت هذا بهذا ؟ ليس عندك إلا القياس وهو فاسد هنا كل الفساد

فصل

ثم ان الشيخ استجمع جهده وعصر فكره حتى جاء بما ظنه قاضيا على كل خصم ، وهو كما سترى لا يصح أن يكتب ، فضلا عن أن يعجب ، وعن أن يظن انه يقهر خصما .

قال ـ رحمه الله ـ بعد حشو وسب وهجو لا حاجة الى ذكره خوفا من تقزز السامع ـ هؤلاء إن كانوا يمنعون التوسل والاستغاثة ويجعلونهما شركا من حيث انهما توسل واستغاثة . فاستغاثة المظلوم بمن يرفع ظلمه إذن شرك ، واستغاثة الرجل بمن يعينه في بعض شؤونه شرك ، واستغاثة الملك بالجيش لدى الحروب شرك ، واستغاثة الجيش بالملك فيما يصلح أمره شرك ، بل نقول يلزمهم على هذا الفرض ان طلب المعونة من ارباب الحرف والصنائع التي لا غنى للناس عنها شرك ، وطلب المريض للطبيب شرك . بل يلزم بنـاء على تلك الكليات التي تقتضيها الحيثيات ان استغاثة الرجل الاسرائيلي بسيدنا موسى عليه السلام وإجابته إياه كما قال (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه) شرك ، الى غير ذلك مما لا يقول به عاقل فضلا عن فاضل . اه

هـذا قسم من أقسامه وفرض من فروضه ، التي ألزم بها أعداءه وزعم انه لا انفكاك لهم منها إلا أن يأتوه طائعين ، وهي فروض كلها باطلة وتقسيمات زمنة يستطيع إبطالها الصغير منا فضلا عن الكبير ، فضـلا عن العالم النحرير . فانظر كيف يذهب هذا القسم وتتلاشى هذه الخزعبلات والسفاسف كأن لم تكن .

فأقول: نعم نختار هذا القسم ونقول: جعلنا التوسل والاستغاثة حراما وشركا من انهما استغاثة بغير الله الذي لا يغيث على الاطلاق الا هو ، وبيده الغوث والغياث والمستغاث به والمستغيث، والذي يقول الشيخ انه لا فاعل غيره ، وانما الخلق محل

للافعال، أجل نقول التوسل والاستغاثة شرك إذا كانا بغير الخالق لكل شيء، الضار النافع الذي لا يصدر أمر إلا باذنه ومشيئته وخلقه وإيجاده وتسبيبه، إذ الشرك معناه التشريك، وهو جمع اثنين فأكثر في أمر من الامور كتشريك اثنين بعبادة، كالو سجد للصنم أو لاي مخلوق ولله تعالى أو لغيره كان شركا، ولا فرق في العقل بين أن يدعى مخلوق غير قادر على مايطلب منه مع الذل والخضوع، وبين أن يسجد له ويركع، ويصام ويذبح، لا فرق بينهما ألبتة، فان العبادة في اللغـة هي الذل والخضوع والطاعة، ولهذا تقول العرب: طريق معبد وناقة معبدة. أي مذلل ومذللة، ومن ذلك سمى المملوك عبداً لهذا المعنى، والعاشق عبداً لمشوقه أى مذللا. ولهذا ترى العشاق كثيراً مايقولون لمشوقيهم: أنا عبدك، وياسيدى، ويامولاى، ويامالك أمرى، وتسمى الطاعة عبادة. وفي كتب اللغة: كل مذلل يقال له معبد، وأطلقوا على الوتد انه معبد أى مذلل

وروى الترمذي - وصححه - واحمد بن حنبل أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال «الدعاء هو العبادة» وفي رواية «الدعاء مخ العبادة» ثم تلا قوله (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم، إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين)

قال العلماء: العبادة اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الاقوال والافعال، فمن دعا الله أو استغاث به، أو صلى أو حج أو صـام، أو ذبح، أو نذر، أو خضع لله - فقد عبد الله. هذا مما لاريب فيه

وأجمع المسلمون أن العبادة لاتكون إلا لله، فمن أدخل معه غيره في شيء من العبادة فقد بطل عمله وأشرك (وقضى ربك ألا تعبدوا الا إياه) (أمر ألا تعبدوا إلا إياه * ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون) (فاعبد الله مخلصاً له الدين، ألا لله الدين الخالص، والذين اتخذوا من دونه اولياء مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا) (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين

حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمه)

ولفظ الدين قريب في المؤدى من العبادة ، في القاموس: الذل والخضوع والطاعة والقهر والغلب والاستعلاء والسلطان والملك يقال لهذا كله دين، والتوحيد وكل مايعبد الله به دين ، وكذا الاكراه والحكم والمعصية والورع والمطر والملة والحال والقضاء ، ويقال دنته خدمته واحسنت اليه وملكته ، والعبد يسمى مدينا لانه مذلل ، والديان القاضي ، ومنه سمي الدين دينا ، اذ به يذل صاحبه ويهون ، ومنه قالت العرب، كما تدين تدان . قال الفند الزماني:

ولم يبق سوى العدو ان دناهم كما دانوا

وقال الآخر:

ودان له شرق البلاد وغربها ودان له سهل الرقاب وصعبها

ولا شك ان الاستغاثة بالمخلوق والالتجاء داخلان في مادة عبد ، ودان ، وهما مقصوران على الله . وقال تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا الها واحداً لا إله الا هو سبحانه عما يشركون) وسمع عدي بن حاتم الطائي رسول الله يقرأ الآية ، وكان عدي قد تنصر في الجاهلية ، فقال يارسول الله انا لم نتخذهم أربابا من دون الله ، ولم نعبدهم قال رسول الله ﷺ « أليس يحلون لكم ماحرم الله فتحلونه ؟ ويحرمون عليكم ماأحل الله فتحرمونه» قال قلت بلى قال « تلك عبادتهم » رواه احمد والترمذي وكثير من المفسرين

فجعل الطاعة في التحليل والتحريم عبادة لانه متضمن للذل والخضوع ، ويفيد ان العبادة والشرك يكونان فيما دون اعتقاد الشركة في الخلق والايجاد . قال تعالى (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون) نزلت لما حرم الاسلام أكل

الميتة ، وكان أهل الجاهلية يأكلون الميتة . فقال المشركون للمسلمين : أتأكلون ماذبح محمد وأصحابه ولا تأكلون ماذبح الله ، وكان هذه الشبه الشيطانية حلت من قلوب الضعفاء من المسلمين محلا ، فنزلت تهديداً وانهم ان أطاعوهم فقد أشركوا ، وان لم يعتقدوا مع الله خالقا . وقال (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) وقال (فلا ، وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) وقال (ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون) وقال أيضاً (فأولئك هم الظالمون) (فأولئك هم الفاسقون) وقال (ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين * وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون * وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين * أفي قلوبهم مرض ؟ ام ارتابوا ام يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله ؟ بل اولئك هم الظالمون * انما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا واولئك هم المفلحون)

فاذا جعل الله عصيان الرسول وعدم الرضا بما حكم به شركا وكفراً ، وان لم يعتقد العاصي لله شريكا فأجدر بأن تكون الضراعة والاستغاثة بالموتى شركا لاغرابة فيه لا من العقل ولا من النقل . وإذا كان بعض الفقهاء يقولون في كتاب الردة : ان المسلم يكفر بالامر الحقير حتى قال بعضهم ان تصغير المسجد والمصحف بان يقول مسيجد ومصيحف ، وتصغير كل شعيرة دينية كفر ، والفاعل مرتد . فكيف يستبعد ان يكون الاستنجاد بالخلق المستلزم الذل والاستكانة لهم مع الله كفرا ؟ وفي الحديث الذي رواه النسائي ان رجلا قال لرسول الله : ما شاء الله وشئت فقال له « أجعلتني لله نداً ؟ قل ماشاء الله ثم شئت »

وفي الحديث الذي رواه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه انه عليه السلام قال

« من حلف بغير الله فقد أشرك » وفي البخاري ومسلم انه عليه السلام قال « من حلف باللات فليقل لا إله إلا الله » قال بعض العلماء انه كفر ، ولا إله الا الله ترجعه إلى الايمان ، والحديث الذي قبله يدل عليه

وروى مسلم انه عليه السلام قال « اثنتان في الناس هما شرك : الطعن في الانساب ، والنياحة على الميت » وروى الحاكم وصححه والامام احمد انه عليه السلام قال « من جاء كاهنا او عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد » وفي مسلم « من أتى عرافا لم تقبل له صلاة أربعين يوما » وفي البخارى ومسلم قال عليه السلام « لا ترغبوا عن آبائكم فان الرغبة عن الآباء كفر ، أو من رغب فقد كفر » وفي صحيح مسلم قال عليه الصلاة والسلام « اذا أبق العبد من مواليه لم تقبل له صلاة — وفي رواية فقد أشرك » . وفي البخاري انه عليه السلام صلى بالناس الفجر ثم التفت اليهم فقال « هل تدرون ماذا قال ربكم البارحة ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم . قال « قال أصبح من عبادى كافر بي مؤمن بالكوكب ، ومؤمن بي كافر بالكوكب ، من قال مطرنا بنوء كذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب. ومن قال مطرنا برحمة الله فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب » . وفي الحديث الذي رواه الترمذى ان الرسول ﷺ قال « ان الرقى والتمائم والتولة شرك » وفي الحديث قال ﷺ « الشرك في أمتي أخفى من دبيب النملة السوداء ، على الصخرة الصماء ، في الليلة الظلماء »

وجاء في تفسير قوله تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله) عن بعض السلف ـ ان من ذلك أن يقول ماشاء الله وشئت ، وقولك لولا فلان لهلكت ، ولولاه لحييت ، ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص

وفي البخارى ومسلم قال ﷺ « سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر » وقال « لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » وهـذا كله يفيد ان

الـكفر أنواع كثيرة، غير اعتقاد الخالقية لغير الله ، وان الشيء القليل قد يخرج العبد من الاسلام من حيث لا يدرى، فلا يهول اذا قيل ان الاستغاثة بالخلق شرك

وقد أجمع المسلمون ان الاستغاثة بالله وسؤاله عبادة ، وحقيقة الشيء لا تتغير باختلاف النسبة فاذا صرفت لغير الله كانت له عبادة كما هي لله عبادة اذا صرفت له

بقي علينا الاعتراض الذى أورده والالزام الذى خاله مسكتا معجزاً . والجواب عليه ان نقول:

(الاول) أن يقال هذه الصور والامثال التي أتيت بها وعارضت إما أن تكون دل الدليل على انها ليست شركا أو لم يدل ، فان كان الثاني فلا يصح أن تعترض بما لم يصح ، وان كان الاول بأن دل الدليل على جوازها وانها ليست شركا بل حسنة مطلوبة مجمع على حلها وحسنها ، فالمخرج لنا أن نقول: هذه الاشياء المذكورة ليست شركا وإن كان مثيلها شركا لان الشرك ما جعله الله شركا والايمان ماجعله الله ايمانا والعقل لا يحسن ولا يقبح . فلو أباح السجود لعبد من العباد لكان صحيحا مطلوبا ، كيف لا ومذهب أهل السنة الذين يمدحهم المعترض اهل الحق ـــ: ان القبيح ماقبحه الشرع والحسن ماحسنه الشرع ولا حكم للعقل مع الشرع مطلقا وهو خلاف قول المعتزلة. فالدين قال لنا لا تعبدوا إلا الله وأفادنا ان الدعاء والاستغاثة عبادة ، وقلنا كل استغاثة وعبادة يتحتم قصرها على الله . واستثنى لنا أموراً من ذلك هي في الحقيقة ليست من قبيل ما حرم الا بفرض المجادلين بالباطل — فقلنا (سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير)

ألا ترى كيف كان السجود جائزاً في شريعة يعقوب وأبنائه لغير الله كما سجد يعقوب وأبناؤه ليوسف وكما سجد الملائكة لآدم ، وقد جئنا الشيخ بما لم يحتسب ولم يخطر له على بال ، وكأني به قد أسقط في يده وعض على أرمه وسقط

على وجهه وفمه ولكن لا بأس (فربما صحت الاجساد بالعلل)

وربما كان مكروه النفوس الى محبوبهـا سبباً ما مثله سبب

ولعل الله ان يجعل ذلك سبباً لهداية الشيخ فيكون من المؤمنين الموحدين المفلحين و(من يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام . ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون)

*
* *

ننتقل الى تقسيمه الثاني ، قال بعد القسم الاول :

هـذا كله إن كانوا يقولون انها ممنوعة من حيث انها استغاثة بغـير الله كما فرضنا ، فان قالوا ان الاستغاثة والتوسل بالاموات شرك دون الاحياء ، قلنا لهم لا معنى لهذا بعد أن سلمتم ان الاستغاثة بغير الله من الاحياء ليست شركا وبعد ماورد في القرآن ووقع عليه الاجماع في كل زمان ومكان ، ولا معنى لكون طلب الفعل من غير الله شركا تارة وغير شرك تارة أخرى فان فيه نسبة الفعل لغير الله على كل حال اه

نعم نقول: الاستغاثة بالاموات شرك دون الاحياء اذا كانت الاستغاثة بالاحياء فيما يقدرون عليهم . كالأمثلة التي ساقها الشيخ ، مما جرت سنة الله تعالى به . أما الاستغاثة بهـم فيما لا يقدرون عليه ، وما لم تجر به العادة كان يكونوا بعيدين لا يسمعون ولا يباشرون المعونة بأنفسهم أو بسبب من الاسباب الظاهرة . فهي كالاستغاثة بالاموات شرك . وقد ثبت بطلان ذلك من الدين والعقل

وأما قوله : لا معنى لهذا بعد أن سلمتم انها في الاحياء ليست شركا . فقول عاطل من الدليل لا يقبله عاقل، وما برهانه على انه لا معنى له؟ أهو قوله لا معنى له؟ ما علمنا حتى الآن ان مثل هذا برهان . وكل احد قادر على مثل قوله ، فلو كانت الامور تبطل بمثله لم يبق حق ، بل كان قوله هذا باطلا - قبل كل باطل . لانه

يمكنني ان أقول كما قال: لا معنى لهذا ولا وجه له فيكون قوله باطلا

وما مقالته هذه إلا كمقالة من رأى من يدعو كافراً ميتاً ويستغيث به فقال له كيف تستغيث به وهو ميت؟ فقال المستغيث: أليس قد كان وقت حياته تجوز الاستغاثة به؟ فقال الناهي نعم، فقال المستغيث: لا معنى لكلامك إذاً ونهيك بعد أن جوزت الاستغاثة به حياً. فهذا المثال كقول المعترض تماما (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون)

وكمن قال لخادم له ـ قد مات: ناولني غذائي مثلا، فقال سامعه: أتطلبه ميتاً؟ فقال أليس حينما كان حياً كنت اطلبه؟ فقال نعم. فقال لا معنى إذاً لانكارك؟

هذا مؤدى كلامك أيها الشيخ العقلي الكبير، ونسألك سؤالا علك تفيق من غفلتك، وتثوب إلى رشدك ـ هل يجوز أن تذهب إلى شيخ الازهر الحي القائم عليه الآن وتقول له: طالب الحكومة باقامة كذا من امور الدين وبابطال كيت من الفواحش؟ لاشك أنك قائل بجوازه، وأقول بعده: هل يجوز مثله أن تذهب إلى شيخ الازهر السالف المتوفى، كالشيخ أبي الفضل الجيزاوي، أو الشيخ حسونة النواوي أو الشرقاوي مثلا وتقول له كما قلت للشيخ الحي: أن يطالب الحكومة باقامة الدين وإفساد الكفر؟

فان قلت يجوز ذلك مع الشيخ المتوفى، فقد ساعدت على نفسك خصمك، وقلت مالا يقال، وان قلت لا يجوز، قلت لا معنى لقولك بعد ماجوزت ذلك مع الحي

*
* *

وأما قولك: وبعد ماورد في القرآن ـ فقول من أبطل الباطلات وأفسدها، فأية آية قالت: استغيثوا بالاموات واستنجدوا بالهالكين؟ أهي قوله تعالى (وما انت بمسمع من في القبور) أم قوله (انك لاتسمع الموتى) أم قوله (وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) ام قوله (ان الذين تدعون من دون الله عباد

أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين *ألهم أرجل يمشون بها ؟ ام لهم أيد يبطشون بها؟ ام لهم اعين يبصرون بها ؟ ام لهم آذان يسمعون بها ؟) ام قوله (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك إذاً من الظالمين) أم آية نسخت أو نسيت لم يعلم بها غير الاستاذ ؟ فالرجاء منه إثباتها ، أم عند الشيخ قرآن غير ماعند المسلمين فليظهره للناس لينتفعوا بما فيه ؟ أم هو التحريف والتبديل ، وتحميل الآية بالهوى والعصبية مالم يحملها الله ولم يعرفه السلف المتقون؟ أم هو على نحو ماقال الله تعالى (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) ام القلم طاش ونبا ، وضل الفكر وكبا. والهدى هدى الله

* * *

وأما قوله : وبعد ما وقع عليه الاجماع في كل زمان ومكان . فقول يعوذ منه كل زمان ومكان ويضحك منه كل زمان ومكان ، ويبطله كل زمان ومكان . ويا ليت شعر الشيخ أكان الصحابة يدعون الاموات في كل زمان ومكان ؟ وهل كان التابعون يدعون الاموات في كل زمان ومكان ؟ وهل كان الذين من بعدهم الى يومنا هذا يدعون الاموات في كل زمان ومكان؟ وحتى في بيت ومكان شيخ الاسلام ابن تيمية وابن عبدالهادي وفي بلاد الحجاز ونجد في كل زمان ومكان ؟

لا ندري كيف يكتب الشيخ وكيف يتشجع على الخطأ شجاعة لا يتشجعها عنترة في الهيجاء ، ويرسل الالفاظ ارسالا غير ناظر إلى أعقابها ولا صدورها ولا مبال بذريتها ونتاجها ، ولست أدري هل كان مسيلمة اليمامة وعنسى ثقيف يخاطران بالاقوال مخاطرة كاتبنا هذا ؟فنسأله بالله الذي عظم الصدق، وبجل الامانة، وحذر الكذب ، أن يأتينا بدليل ان عصراً من الأعصر البعيدة او القريبة اجمع على ذلك فضلا عن كل العصور ، وأيم الله أن الشيخ الدجوي يعلم ان إبصاره الشمس رأد

الضحى وشباب النهار ، ورؤيته الهلال في عنفوان تمه ، وكمال بدوره لأقرب اليه من إثبات ذلك ، وأنه لن يستطيع الى ذلك سبيلا

***

وأما قوله لامعنى لكون طلب الفعل من غير الله تارة شركا وتارة غير شرك فان فيه نسبة الفعل على كل حال لغير الله اهـ

(وبعد) فاسمع مايقول لك ابو الطيب :

وكم عائب قولا صحيحاً وآفته من الفهم السقيم
ولكن تأخذ الآذان منه على قدر القرائح والعلوم

فياحكيم الزمان ويا سواد بصر العرفان ، من قال قبلك هذه المقالة ؟ والحكم على الشيء تارة بالشرك وتارة بالايمان وأوانا بالحل وحينا بالحرمة ؟ وكيف لاتدرك أن الفعل يحسن حينا ويقبح آخر ، ويحمد في شخص ويذم في آخر ؟ ان هذه المقالة جارية على اغلب الاشياء ، وأي عقل عندك او نقل يبطلها ؟ واني اسألك اموراً والجواب عنها فأقول :

هل تعقل ان طلب الفعل من غير الله تارة يكون حراما وأخرى حلالا ؟ بل ويكون واجبا ، فان عقلت ذلك ، فمالك لم تعقل ان يكون تارة شركا وطوراً غير شرك ؟ وان لم تعقل ان الطلب من غير الله يحل ويحرم ، ويحسن ويقبح خالفت الاولين والآخرين ومذهبك وكتابك ، أليس طلب المال إن كان عند الانسان مايكفيه حراما ، وطلبه فقيراً مضطراً حيناً يجب وحينا يستحب ، وطلب العلوم لايكون حراما بل طلب العلوم حينا يكون حراما وحينا مستحبا او واجبا ، وطلب المرء من اهله قضاء الحاجة جائز ، وقد يستحب ويجب ومن غيرهم حرام ، وسؤال الرسول عليه السلام لو كان حيا ان يخدمك كأن يسقيك مثلا او يقدم لك الغذاء منكر بل قد يكون كفراً ، وسؤالك ذلك ممن هو اصغر منك لاباس به اذا لم يكن

كارها ، بل سؤالك تلك الاشياء اذا كنت قادراً على الاتيان بها بنفسك حرام ، وجائز اذا كنت مريضا عاجزاً . وطلب العون من الكفار عند كثير من العلماء حرام لقوله في الحديث الصحيح « إنا لا نستعين بمشرك » وهو بالمسلم جائز او واجب. واستشارة الاعداء في غير الحروب حرام لانصح ، وهي من المسلم جائزة او واجبة ، وأن طلب عدوك ان يتولى رآسة دينك والسيطرة عليه حرام قطعا، ولكنها من المؤمن مطلوبة وغير ذلك ،وهذا امر ظاهر لا يفتقر الى التمثيل ولكن لكل مقام مقال،ولكل انسان خطاب

واقول ايضا :ماذا ترى؟ هل يصح ان آتي الولي الصالح الحي اوالميت وأقول له : أعد ابي واخي الى الحياة بعد ان ماتا ، واقول له زدني في طولي او عرضي مثلا ، او صير زوجي لا تلد الا الذكور ؟ هل يجوز ذلك او يحرم او يستحب أم يكون شركا ومروقا من جميع الاديان والعقول ؟

فان قلت يجوز فلن تجد موافقا ، وان قلت انه كفر ومروق فقد بطل إنكارك ، وسقط مقالك ، وان قلت انه حرام قلنا : مامعنى ذلك وما سره ؟ كما قلت انت ان طلب بعض الافعال من الخلق حسن واجب حينا ، وكذالو قلت ذلك مكروه ، وهذه مخاطبة كمخاطبتك

ويقال ايضا: كيف ترى لو نادى مسلم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى وامثالهم من المعبودين ، فطلب بعض شؤونه وحاجاته منهم؟ فان قلت ذلك شرك او حرام بطل إنكارك ، وان قلت جائز ولا باس به خرجت من زمرة المسلمين والعقلاء ، وخوطبت مخاطبة الآخرين

***

وأما قوله لان في الكل نسبة الفعل إلى غير الله على كل حال. فهو تعليل عليل لايدفع وارداً ولا يورد مدفوعا،وهو مبني على مقدمات في أقصى السقوط. وعمدتها ان

الافعال نسبتها الى العباد واحدة واضافتها إلى الخلق متساوية ، وقد سبق فساده .

وان آخر الادوار مع الاستاذ ان نطالبه الدليل في ان نسبة الافعال الى غير الخالق تعالى سواء ، ولن يجد دليلا . اننا لو قلنا السماء من خلق رسول الله كنا ضالين كاذبين وهو ردة باجماع العلماء ، ولو قلنا هدانا رسول الله وأبان لنا الطريق الواضحة كنا صادقين مصدقين ، ولو قلنا نزل جبريل بالكتاب كنا صادقين، ولو قلنا خلق جبريل محمداً رسول الله ﷺ كنا ضالين باتفاق المسلمين بل كافرين ، بل مجانين . فانى يصح بعد ذلك تعليله بان في الامرين إضافة الفعل إلى العبيد ؟ وكيف يصلح ان يكون هذا دافعا للحكم على ان بعض الافعال نسبتها لغير الله شرك وبعضها ليس شركا، كما يكون بعضها حراما وبعضها حلالا؟؟!

ان نتائج كلام هذا الشيخ تقضي على الدين وعلى الدنيا مرة بل تقضي على العقول، وانا نوجه له سؤالا واعتراضا لايخلص منه مادام على مقدماته : ماحكمك على مسلم يسب الله ورسوله ؟ أتحكم عليه بالكفر اول ماتسمع، أم تتوقف حتى تسأله عن قصده ، ام لا تكفره مطلقا ؟ فان قلت أكفره حين أسمعه من غير توقف، بطل أصلك الذي جوزت لاجله الشرك وهو القرينة التي بها تصول وتجول وتسوغ للناس من اجلها ان يضيفوا أفعال الله الى العباد، حتى اذا قيل لك ذلك قلت متبجحا ثاني الجيد : هذا مسلم وكلامه هذا مجاز عطفيك على حد قولنا : أنبت الربيع البقل، وجرى الوادي ، لاأجرى الله وادي كلامك ولا أبقلت أرضه . وإن قلت أتوقف في الحكم عليه إلى ان أسأله عما يريده فقول باطل من وجوه :

(الاول) انه لايمكن ان تحكم عليه اذاً بالكفر والردة لانا اذا فرضنا انه قال عند سؤاله عن غرضه: أريد ظاهر العبارة ، جوزنا ان قوله اريد ظاهر العبارة أيضاً مجاز، وأنه لم يرد ظاهرها على قولك أنبت الربيع البقل ، وجرى الوادي ، وهكذا يتسلسل القول فلا يمكن معرفة مقصده

(الثاني) لو كان الامر كما ذكرت لكان من قذف المحصنات لايقام عليه الحد لوقال بعد قذفه لم أرد حقيقة الكلام ، بل انما أردت المجاز ، بل يلزم ألا يقام عليه حد القذف حتى تسأله عن مراده ، وكذا الشهود في كل شيء ، بل لو شهد الانسان على نفسه لانسان آخر بشيء كما لو أقر بمال او غيره لا يحكم به ، ولا يؤخذ بظاهر كلامه . ولايخفى مافيه

(الثالث) انه خلاف قول العلماء فانه لم يقل به أحد ، بل قالوا في باب الردة من قال كذا وكذا او كذا حكمنا عليه بالكفر من غير توقف ولا تجويز

(الرابع) هذا خلاف المعلوم من الاسلام والاديان والعقول بالضرورة

(الخامس) وهو خلاف ماتوارد عن المسلمين كافة ان من يسمع من ينطق بالكفر يحكم عليه بالكفر من غير تفصيل ولا تجويز مجاز ، وإن قلت لاأحكم على ذلك الرجل بشيء فقد عرف بطلانه بالضرورة .

نقول للشيخ بعد هذا : أظهر لفضيلة العلامة الفيلسوف ان هذا الحصن العقلي الذي كنت تتقي به وتعتصم ، وتدفع من ورائه في إعجاز القرآن وصدوره وتؤوي اليه معك المشركين السابين لله والمحقرين لرسوله وشرعه ، — مقام على الماء او الهواء لا يأوى اليه إلا من فقد الذكاء ؟ !

لا رحم الله ان مات ** على ما نعتقد و يعتقده الانبياء

ثم قال — رحمه الله — وإن قالوا انا لا نعتقد التأثير الذاتي من الاحياء الذين نطلب منهم المعونة ؟ قلنا يجب اذاً ان تجعلوا مناط المنع هو التأثير الذاتي لغير الله لافرق بين الاحياء والاموات ، فان وجد ذلك كان شركا وإلا فلا ، سواء كانت الدعوة لحي او ميت ، وإن كان مناط المنع هو تلك السببية الظاهرة التي تفهم من ظواهر الالفاظ وجب ان يكون ذلك كله شركا ، حتى طلب الرجل من أخيه ان يعينه في الحمل على دابته او بناء داره ، الى غير ذلك كما أوضحناه في الفرض الاول اه كلامه

أما قوله : وإن قالوا لا نعتقد التأثير الذاتي ـ فظاهره ان التأثير ينقسم إلى ذاتي وغير ذاتي ، وان الذي ينكره الشيخ هو التأثير الذاتي وما اظنه يدري الفرق بين التاثير الذاتي وغير الذاتي فهي عبارات تحتاج الى رسول من عند الله يفسرها له ولكنا نحمل كلامه على مذهبه ، وإن كان متناقضا ومتحاربا لا يمكن إيقاع السلم بين أوله وآخره وهو يرى ان العباد لا فعل لهم ألبتة والفعل لله وحده ، ويثبت لهم الكسب الذي يقوله الاشعري والشيخ يقوله ولا يدريه ، ومحال ان يقدر على معرفته واثباته إلا ان يقول العبد: ملجأ كالريشة في الريح ، او يقول بقول المعتزلة؟ فنقول مقصده بالذات هو مذهب المعتزلة ، وهو اعتقاد ان العبد خالق لافعاله ، مقابل مذهب الاشعري القائل بالكسب فقط ، وعبارته قد يفهمها من لم يقرأ كلامه ويسبر مرامه — انه يريد بالذاتي قول الفلاسفة وهو أن العبد مؤثر بالطبيعة ، والظاهر انه لا يريد هذا وهو قاصر الكلام ، مختل التقسيم لم يتكلم على ما اذا اعتقد أصحابه بالتاثير الذاتي المقصود له هنا والتاثير الذاتي على رأي الفلاسفة . ولم يات بدليل على ان اعتقاد الفلاسفة باطل ، ولو قال له أعداؤه الذين رد عليهم: نرى التاثير الذاتي ، هل يستطيع افساده؟ فكلامه غير نافع ولا كاف في الابطال حتى ولو أبطل الاقسام المذكورة كلها لان هنا قسما لم يبطله

وقوله : فاذاً يجب ان تجعلوا مناط المنع هو اعتقاد التاثير الذاتي ، فان وجد ذلك منع وكان شركا وإلا فلا ؟ سواء كان المطلوب حياً او ميتاً الخ . تفريع لا يعقل ، وإلزام لا يقبل ، إذ يقال سلمنا انه لا تاثير للعباد ذاتي ، فكيف يلزم منه ان نعتقد ان السبب المانع من التوسل والاستغاثة هو اعتقاد التاثير الذاتي؟ هذا منطق غريب ! فما المانع من قولنا لا تاثير ذاتي ، ولكن نمنع التوسل بالخلق والاستغاثة بهم لاسباب أخرى ؟ فهل لديك ما يبطل قولنا : العباد لا فعل لهم ولا عمل وهم مجبورون وإن شئت كاسبون ، ولكنا مع هذا نمنع التوسل ونبطله؟

إما لاجل العبارات الظاهرة الفساد والشرك المسموعة من المتوسل او من اتجاهه إلى المخلوق الاتجاه القلبي المدلول عليه باللسان ، فلاجل ذلك احكم هذا الحكم ،او نقول جعل الله ذلك شركا وهذا غير شرك فاتبعناه ، او نقول هنالك دواع أخرى دعت إلى المنع غير اعتقاد التاثير الذاتي

وأما قوله : سواء فيه الاحياء والاموات فقد سبق بطلانه

وقوله: فان وجدذلك الاعتقاد كان شركا وإلا فلا ؟ يفيد أمرين :

(الاول) ان اعتقاد التاثير لغير الله شرك وكفر ، فمن قال ان العبد يخلق أفعاله كان لدى الشيخ كافراً مشركا، فالمعتزلة عنده اذاً كفار لاحظ لهم في الاسلام وهي مقالة شنيعة أوجبت ان يكفر أغلب الامة الاسلامية وفحول العلماء من المعتزلة الذين لهم في نصرة الاسلام المواقف المشهورة ، والايادي المشكورة . بل كثير من أهل السنة يقول بخلق العباد أفعالهم كابي بكر الباقلاني وامام الحرمين وغيرهما كما سبق فهذا الشيخ الدجوي قد كفرهم وهو يشعر او لايشعر ، فالعياذ بالله من الجرأة والهجوم من غير تبين .

ثم هو مع ذلك لم يأت بدليل واحد على ابطال مذهب القائلين بذلك، ومع هذا وذاك أغلب أهل السنة المحققين لا يكفرون المعتزلة، ومنهم من لا يكفر أحداً من اهل القبلة كالشيخ فخر الدين الرازي وأبي الحسن الاشعري والغزالي وأمثالهم من الفحول

فصاحبنا هذا لا اهل السنة اتبع ولا الفلاسفة وافق ، بل صار اماما بنفسه مجتهداً إلا ان اجتهاده جاء بالجهد ، او على الاصح اجتهاد مقلوب

الامر الثاني ان يكون على هذا القول من لم يعتقد التأثير الذاتي لغير الله لا يكفر مطلقا ويكون في أمان من الشرك، ولو وطيء المصحف برجله او نسب الظلم إلى ربه، مادام لايعتقد التأثير لغير الله ، وكذا لو أنكر الصلوات الخمس والصيام والحج وجميع الشرائع مادام مفرداً الله بالخلق

ثم قال المعترض : وإن قالوا اننا ننسب تلك الافعال والتأثيرات إلى غير الله من الاحياء معتقدين ان الخلق والايجاد لا يكون إلا لله تعالى، وان الحق ان العبد ليس له إلا الكسب لا غير ، قلنا لهم كذلك من يطلب من الاموات او يتوسل بهم ، والقرينة فيهما واحدة ، وهو إيمانه بان الله بيده ملكوت السموات والارض واليه يرجع الامر كله ، وان ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وانه لاخالق غيره ، ولا موجد سواه . اه

الجواب: هبنا قلنا كما تقول: ان العباد الاحياء ليسوا فاعلين، والفعل كله لله، وليس لهم إلا الكسب الذي ليس له حاصل ، ولكن هذا لايفيد في جواز دعوة الاموات لامور :

(الاول) انا لانسلم أن للاموات كسبا، بل هم (أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون) و «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية ، او علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له »

(الثاني) جعل الله هذا شركا وحراما ، وهذا جائزاً وحلالا ، فجعل دعوة الاموات شركا ، ودعوة الاحياء جائزة وحسنة ، لايسأل عما يفعل وهم يسألون

(الثالث) دعوة المخلوق جميعها خلاف الاصل وخارجة عن المعقول لديك لان العباد لافعل لهم مطلقا ، وليست لهم قدرة ، ولا تقديم ولا تأخير ، والفعل كله لله ، ودعوة من هـذه حاله ليست معقولة إذا كان الامر كما ذكرت ، فلا نخرج عن المعقول إلا بدليل . أما الاحياء فالادلة على دعوتهم متفق عليها . وأما الاموات فنحن وأنت فيها مختلفون . فلا نوافق عليه إلا بدليل

(الرابع) إذا سلمنا التسوية بين الفريقين في الكسب ، وان كلا ليس له فعل، لا نسلم المساواة بينهم في الدعوة، لان في دعوة الاموات ضرراً وفساداً يدركه العقلاء، وان لم تدركه أنت بخلاف الاحياء ، فعليك اثبات نفي الضرر الدنيوي والديني

(الخامس) أن دعوة الميت فيها فساد وخطر على العقيدة دون الحي، ويفيد ذلك أمور:

(الاول) ان الناس إذا زاد اعتقادهم في الحي وغلوا فيه نهاهم الحي عن ذلك وزجرهم بخلاف الميت إذ لا يستطيع نهيهم، مثال ذلك ان معاذ بن جبل لما سجد للرسول عليه الصلاة والسلام حيا نهاه وقال «لا ينبغي السجود لغير الله، ولو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله لامرت المرأة أن تسجد لزوجها» ومنه ان جوار كن يغنين والرسول يسمع فقالت واحدة «وفينا نبي يعلم مافي غد» فقال لها عليه السلام «قولي كما كنت تقولين ولا تقولي هكذا» ومنها أن رجلا قال له عليه السلام: ماشاء الله وشئت، فقال «أجعلتني لله نداً؟» ومنه أن وفداً جاءوا اليه عليه السلام فقالوا: أنت سيدنا وابن سيدنا فقال «إنما أنا عبد الله ورسوله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله بها» وقال في رواية «قولوا بقولكم او بعض قولكم ولا يستهوينكم الشيطان» وجاءه رجل فقال: إنا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك، فأنكر عليه كل الانكار وقال «شأن الله أكبر من ذلك، انه لا يستشفع بالله على احد من خلقه» وكانوا يأتون الرسول عليه السلام ويسألونه عن الساعة ظنا انه يعلم الساعة فكان يرشدهم انه لا يعلمها إلا الله، انظر إلى النصارى هل عبدوا المسيح إلا بعد موته واعتقدوا فيه العقيدة الشنعاء؟ ولو كان حيا عندهم لنهاهم وزجرهم، وأظهر لهم ما يبطل اعتقادهم فيه، وكذلك اليهود في قولهم عزير ابن الله، وكذا قوم نوح ماعبدوا وداً ويغوث ويعوق ونسراً إلا بعد موتهم

ففي البخاري وغيره عن ابن عباس (رض) انهم رجال صالحون كانوا في قوم نوح فلما ماتوا صوروا صورهم، وعكفوا على قبورهم، ثم عبدوهم، وكذلك معبودو العرب كاللات وغيرها، ما عبدوا إلا بعد ان ماتوا، وبين أيدينا ووراءنا وعن شمائلنا وأيماننا من هذا الجنس كثير. وقد اشار اليه الحديث الصحيح «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» قالوا

يارسول الله اليهود والنصارى قال «فمن القوم الا هم ؟ »

(الثاني) ان الميت غائب مع نسبة العجائب اليه والنوادر الغريبة له ، فيتوهم العامي ـ بل والعالم الذي ليس له من العلم إلا ذلك اللباس الواسع وضخامة العمامة ، ولكن عقله وعلمه لا يزيدان عن العامة لا قليلا ولا كثيراً ، بل ربما كان اقل عقلا وعلماً فكثير من هؤلاء يعتقدون ان الميت له سلطة غيبية وقوة جبارة فوق قوة الانسان ، لانه ما علم غائباً إلا ذا قوة وجبروت ، كالاله والملائكة والجن والشياطين. والناس مصابون بالقياس كما قاس صاحبنا الميت على الحي ، والحي مشاهدته تضعف الافتتان به ، اذ يشاهد انه ياكل ويشرب ويجوع ويعرى ويبرد ويضحى وتصيبه العوارض الانسانية ، وهذه كلها تضعف الاعتقاد به وتمانع ان يغلو فيه ، ولهذا نهى الاسلام عن البناء على القبور والكتابة عليها ورفعها ، وأمر بهدمها حذار الغلو فيها ، ونهى عن زيارتها في اول الامر لما كان في الجاهلية من الفتنة الشركية بها ، وعن تصوير الصالحين وغيرهم ونهى عن شد الرحال الا الى ثلاثة مساجد ، وعن الصلاة الى القبور وتجاهها خوفا من كل ذلك

ولما رأى عمر الناس يذهبون يصلون عند شجرة كان بايع عندها رسول الله ﷺ امر بقطعها وقال : انما هلك من قبلكم بمثل هذا . وأنت تشاهد الناس في كل صقع يفعلون في ارباب القبور والمقامات ما لا يفعلون معشار في اعظم الاحياء ، ولا يفعلونه بهؤلاء الاموات لو كانوا احياء من النذور والقرابين والاتيان اليهم من مكان متعب بعيد ، والخضوع والخشوع بين ايديهم اعظم من الخضوع بين يدي الله في الصلاة ، والخوف منهم والاقسام بهم ورجائهم ، واعتقاد ان الصلاة مضاعفة لديهم مقبولة ، فهل وجد حي اعتقد فيه الناس كما يعتقدون في الامام الشافعي في مصر أو السيد الحسين والسيدة زينب والسيدة نفيسة واحمد البدوي وغيرهم ، و كاعتقاد اهل بغداد في عبد القادر الجيلاني وغيرهم وفي كل صقع وبلد

وقد سمعت من الثقات في بغداد ان رجلا من علماء الهند ذهب الى بغداد فرأى عند قبر الشيخ الجيلاني رجلا دخل القبر مذعنا متمسكنا ، وسجد على عتبة القبر مستقبلا الشيخ الجيلاني ، فاشتدغضب الهندي وأخذته الغيرةالتوحيدية فوطيء عنق الرجل وكاد يجؤه ، فاشتكاه الى رئيس السدنة وكان عالما،فأعجب بفعل الهندي وناجاه سرا ، ان ما فعلت هو الحق والهدى، وهو مادعااليه الاسلام، والذي فعله هذا عند القبر مخالف للدين ، ولكن منصبنا قضى علينا بالسكوت على ما ترى ، وكنت أيضا ماراً منذ ستة أعوام ببغداد فدخلت مسجد الشيخ عبد القادر بعد صلاة الفجر، فسمعت رجلا في صحن الجامع بعيداً عن المقام يخاطب الشيخ بلهجة شديدةوغضب محتدم يقول : له كيف ماحميتني من السارق، كيف تركت اللص يعدو علي ،وكان ذلك الرجل المسكين نائما في الجامع فسرقت نقوده ، فطفق يخاطبه وينكر عليه ، إذ لم يحفظه من السارقين . كأنه على كل شيء قدير ، ولعله مانام هناك إلا احترازاً مما وقع فيه ، ولو كان الشيخ حيا ما كان قادراً أن يدفع عن نفسه الجناة ، ولا كان عالما بهم بل خائفا من سطوتهم ، فالرسل عليهم السلام قتلوا وجرحوا ، وأخرجوا من ديارهم ، فما اسطاعوا أن يدفعوا عن أنفسهم ، وما دهي هذا المسكين إلا مايراه ويسمعه من تهافت الناس على المقام ، ودعائهم اياه حضوراً وغيبا ، ولو كان الشيخ عبدالقادر حياً ماكان هذا الرجل يطالبه حتى ولو كان نائما معه وبجواره ، وأغلب المسلمين اليوم اذا دهاهم خطب ، واستقبلهم كرب ، كأن يهيج بهم بحر ،أو يعدو عليهم عاد من حيوان او انسان في بر او بحر تجدهم يلحفون بدعوة الاموات والانقطاع اليهم ،ولا إخال الشيخ وغيره من المكابرين بالباطل أو المنصفين يجهل ما يحصل عند قبر الامام الشافعي رضي الله عنه من كتابة الرقاع والشكايات اليه وكذلك مايحصل عنده يوم الكنسة من التبرك بالعمامة الموضوعة على التابوت الخشب

التي هي قماش صنعه افرنجي وانقضى الزمن الطويل وهي على ذلك الخشب لم تمس جسم الامام الشافعي اصلا . هل يقول لنا الشيخ واخوانه ان الشافعي رضي الله عنه لو كان حياً يقرهم على فعل هذا ؟ او انه كان يحاربهم بالسيف ويقطع تلك الرءوس الفاسدة المفسدة الضالة المضلة التي لا تفقه ولا تعي والتي تغر الجهلة وتنزل بهم الى مكان من الشرك سحيق؟ ؛

(الثالث) ان الميت اذا أقيم على قبره قبة رفيعة وبناء عال . يؤثر في النفوس الضعيفة تاثيراً عظيما والناس مغرورون مفتونون بالمظاهر والجمال، فاذا جاء الجاهل وأغلب الناس جهال ، ورأى هذا المقام الفخم المزوق بالزينة الباهرة ، والسرج المضاءة ، والالوية المنشورة ورأى النـاس على اختلاف طبقاتهم ومنازلهم رجالا ونساء ، مابين صادر ووارد ، عظمت فتنته، وزاغت عقيدته في المدفون، وهذا لاينكره إلا من لم يعرف من الحياة شيئا كصاحبنا

(الرابع) ان الناس من العامة وأشباههم يظنون ان الولي بموته أخرجت روحه من السجن الضيق وهو الجسم وحلت من قيوده فأخذت تذهب كيف شاءت، وتتصرف فيما أرادت ، وتفعل ماأحبت ، و كانت في البدن ضعيفة مهينة بسبب علائقه وعوائقه وشهواته ، فلما خلصت منه صارت قوية فعالة ذات تاثير عظيم ، وجولان في فسيح الكون . والشيخ كرر هذا المعنى في مواضع من كلامه ، ثم ناقض وتناقض ، وضارب وتضارب وسيأتي ، وقال انه لايعقل ان يعتقد الناس في الميت أعظم مما يعتقدونه في الحي ، وهو يدل وايم الله انه لم يعرف من نفوس الناس ولا انفاسهم شيئاً أو على الاصح يعلم ويماري فيما يعلم للعصبية والهوى وعدم الاستنارة بصحيح ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه والائمـة المهتدون وبأن الذي يكتبه ليس علما ثابتاً بل خطرات متموجة متشاكسة

(الخامس) أنهم يرون ان الصالح ذهب لدى ربه في الملكوت الاعلى في مصاحبة

الملائكة والانبياء اذا مات وأنه هناك في عالم أعلى وأطهر من عالمنا ، فمن ذلك تسوء عقيدة الناس في الاموات ، إذ يعتقدون انه حصل له من القوة والفعل مالم يكن له حيا

(السادس) ان الاموات بعيدون عنا إما في الجنة وإما في النار ، لاندري أيسمعون ام لايسمعون تساهلا ، وإلا فنحن جازمون انهم لايسمعون بخلاف الاحياء القريبين ونهايتهم ان يكونوا كالاحياء النائيين ، ومن ذا يجوز دعوتهم مالم تكن هناك آلات تحمل الاصوات

(السابع) ان نسبة الانسان وطلبه من الاحياء واسناده الاشياء إلى الذين قامت بهم وظهرت على أيديهم وجعلنا ذلك مجازاً غير حقيقة والقرينة هي الايمان الذي نعرفه من الشخص المنادى له مبرر وهو ماوآه من المظاهر والاعمال البارزة على يد الحي فهي سبب يحمل على المجاز وعلى اسناده ذلك الى غير الخالق ، وأما في الاموات فلا مبرر ، ولا مقتضى لهذه النسبة فيكون مضيفها متهما في عقيدته ، مخوفا عليه منها

(الثامن) ان الطالب للحي الفاعل ـ وإن شئت قلت الكاسب ـ يرى انه اذا طلبه وسأله ان يفعل له فعل الله ذلك على زعمكم ، بخلاف الميت فانه لو ناداه ودعاه ولجأ اليه الدهر كله لما أجاب له صوتا ، ولا قضى له سؤلا ، ولا علم له حالا ، وما علم ثاو في التراب دفين ؟

أليس ذلك يكفي فارقا بين دعوة الحي والميت ؟

*
* *

وأما قوله : والقرينة واحدة وهي الايمان بالله وبان كل شيء بيده وهو خلقه ومصنوعه

فهذا تسليم ان ظاهره باطل وكذب ، وليس موافقا للواقع ، إذ لا يحتاج إلى القرينة إلا ما كان كذلك . واذا كان الامر كذلك وان هذه العبارات ليس

ظاهرها حقا ولا إيمانا ، فلا نفعل ما ليس ظاهره صدقا ولا هدى ، ونتكل على القرينة التي تزعم، حتى توافينا بالبرهان على جوازه، فنحن نحكم ان الآتي بما ظاهره كفر كافر كشأن الاسلام في حكمه بالظاهر ، والله يتولى السرائر، ضبطا للاحكام . أما دعوة الاحياء القادرين بما عندهم من أسباب على الاجابة فثابتة لا نزاع بيننا فيها فأصبح مقاله خاذلا له ، (فاعتبروا يا أولي الابصار)

وانا نسأله سؤالا يبطل هذه القرينة التي أصارها للكفر مطية ، والمجاز الذي هتك به سياج التوحيد ، وهدم بمعوله حصن لا إله إلا الله ، فنقول :

هل كلام المسلم يؤول كله ويحمل على المجاز جميعه اذا ماجاء ظاهره كفراً، بغير شرط ولا قيد؟ ام هناك تفصيل وقيود ام لا يؤول له مطلقا، بل يؤاخذ بظاهر كلامه؟

إن كان الاول لزم عليه ان لا نؤاخذ مسلما ولا نكفره، مهما أتى بعبارات الردة والكفر . ولا شك ان هذا لا يرضاه أحد، وإن كان الثاني قلنا فصّل هذا التفصيل، ولن تستطيع اليه سبيلا ، بل تقع في الدهش والحيرة ،وترتدي الكسوف والخسوف ، وإن قلت بالثالث ـ وان الكلام يحمل على ظاهره ان كفراً فكفر ، وإن ايمانا فايمان ـ بطل قولك في المجاز وخرجت منه فقيراً حسيراً ، فعلى الاقسام كلها بطل اتكاؤك على المجاز وهلكت مطيتك فيه

* * *

قال المعترض : وإن كان سر المنع عندهم هو ان الميت لا يقدر على شيء مما طلب منه، فنقول لهم : (أولا) لا يلزم من ذلك ان يكون الطلب شركا بل عبثا فقط، والاستغاثة بالاحياء أقرب الى الشرك منها بالاموات ، لانها أقرب الى اعتقاد تأثيرهم في الاعطاء والمنع، بمقتضي العيان والحس، لولا نور الايمان وساطع البرهان (ثانياً) ثم نقول لهم: مامعنى قولكم ان الميت لا يقدر على شيء، وماسره، وما

باطنه عندكم؟ إن كان ذلك لكونكم تعتقدون ان الميت صار ترابا، فما أضلكم في دينكم واجهلكم بما ورد عن نبيكم، بل عن ربكم - من ثبوت حياة الارواح، وبقائها بعد مفارقة الاجسام، ومناداة النبي لها يوم بدر بقوله «ياعمرو بن هشام، وياعتبة ابن ربيعة، ويافلان ابن فلان: انا وجدنا ماوعدنا ربنا حقا، فهل وجدتم ماوعد ربكم حقا؟» فقيل له ماذلك؟ فقال «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم» ومن ذلك تسليمه على القبور ومناداته لها بقوله «السلام عليكم يا أهل الديار» الى غير ذلك من الادلة الكثيرة التي جاء بها الاسلام وأثبتتها الفلسفة قديماً وحديثاً اه كلامه

أما قوله: لايلزم ان يكون ذلك شركا، فقول مجرد عن الدليل. فليس مسموعا ولا مبلوعا. والنافي مطالب بالدليل كالمثبت، ولو كان النافي لايطالب بالدليل لكان ابطال كلام المعترض كله بلفظ واحد وهو قولنا كلامه لايصح، وما قلته وستقوله لايصح، ولا شك في فساد هذا، ولا سيما في مثل الذي معنا، فان معناه انكم في قولكم شرك كاذبون وهو اثبات محض والبينة على المدعي

بقي ان يقال: اذا أثبت انه دار الامر بين كونه شركا وكونه غير شرك. فيقال أضدادك ساقوا أدلة كثيرة على انه شرك، وكلامنا الآن معك في ابطال ما جئت به فحسب

وأعجب من ذلك قوله عبثا فقط، فقصره على كونه عبثا لا تدخله الحرمة والكراهة. مع ان من العبث ماهو شرك ومحرم ومكروه ولكن الشيخ يلقي الالفاظ جزافه

وقوله: والاستغاثة بالاحياء أقرب الى اعتقاد الشرك من الاموات الخ كلام مردود، أبطلناه قبل هذا، بل الاستغاثة بالاموات أقرب الى الشرك فان الواقع والمحسوس في كل وقت ان الشرك بالاموات أكثر وقوعا منه بالاحياء

ولهذا لما غلت طائفة في علي بن ابي طالب حين كان حياً أججلهم ناراً وألقاهم فيها، فقطع دابرهم واستأصل شأفتهم، ولو فعلوه به بعد موته لما كان كذلك كحال

الشيعة ومقلديهم الآن معه من الغلو فيه حتى ان بعضهم يعتقده هو الرسول حقيقة ، وان جبريل غلط في الرسالة فاوحاها الى محمد ،وبعضهم يعتقده إلها وأنه في السحاب يرسل المطر والارزاق وغير ذلك

ثم قوله : بمقتضى المشاهدة والحس الخ . كلام من لا يزن قوله ولا ينظر سابقه ولا لاحقه. فان المشاهدة والحس اذا قضيا بان الاحياء مؤثرون وموجدون للافعال لم تصح مخالفتها. ووجب اعتقاد ذلك،وانهم مؤثرون حقيقة، إذ المشاهدة أقوى دليل فاذا كذبنا المشاهدة كذبنا كل حجة. فانا لم نؤمن بالله و بالانبياء إلا بالمشاهدة للآيات والمعجزات والمعترض لا يقر للاحياء بالفعل فضلا عن انهم موجدون خالقون. وهذا أبلغ الخذلان، وشأن من لم يسر على البرهان ولا على قوانين القرآن

ومن لم يكن جم البديهة مبصراً هوت رجله أنى تولى وأقبلا

وأما قوله : ونقول لهم مامعنى قولكم ان الميت لا يقدر على شيء ، وما سره وباطنه ؟ فأقول للاستاذ اسمع يجبك أبو الطيب عنا :

وليس يصح في الاذهان شيء اذا احتاج النهار إلى دليـل

اذا كنت لاتعرف معنى قولنا ان الاموات لا يقدرون على شيء ولا تدري سره ولا باطنه، وهو باوضح عبارة، بلغة أهل العالية ولسان أهل نجد ، فكيف تنصب نفسك وتؤودها بما لا تستطيع :

اذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه الى ما تستطيع

كيف تنتصب لمقارعة الابطال ، وتدعو إلى منازلة الرجال ، وهذه حالك ؟ وهبنا أبنا لك معناها فنفس الابانة تطلب إبانة إلى غير نهاية،ونكون كالزارعين في الارض السبخة ، الراقين على الماء والهواء

ولعلك عملت بحكمة القائل ليس ثم مستحيل ، وأبغض: لا أقدر ولا أطيق. وقوله : إن كان ذلك لكونكم تعتقدون ان الميت صار ترابا فما أضلكم في

دينكم ، وأجهلكم بما ورد عن نبيكم ـ بل عن ربكم ـ من ثبوت حياة الارواح وبقائها بعد مفارقة الاجسام

ان كان يجهلنا لاعتقادنا أنهم صاروا ترابا فتجهيله هو الجهل . فقد روى البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « يبلى ابن آدم الا عجب الذنب ، ومنه يبعث ويركب الخلق » فهو نص صريح أن الانسان كله يبلى الا ماذكر ، والرسل والانبياء والاولياء داخلون فيه ويقويه (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد) فهي تفيد مساواة الرسول للناس في كل شيء الا ما دل الدليل على استثنائه وهو الايحاء اليه بالشرع

والاحاديث الواردة أن الانبياء لاتأكلهم الارض ، كمثل الحديث الذي رواه النسائي واحمد انه قال « اذا كان يوم الجمعة فاكثروا علي من الصلاة ، فان صلاتكم معروضة علي » قالوا وكيف تعرض عليك وقد أرمت؟ فقال « ان الله حرم على الارض أن تأكل أجساد الانبياء » فهو حديث ضعيف ، نقل عبدالرحمن بن أبي حاتم عن أبيه انه حديث منكر ، وضعفه ابوبكر بن العربي ، وفي اسناده رجل ضعيف جداً وقد صحح الحاكم الحديث ، ولكن الحاكم لايعتمد على تصحيحه لتساهله ، ولا سيما وقد خالف الحاكم في تصحيحه هذا شيخ الجرح والتعديل أبا حاتم الرازي ، ومما يدل أن الاجسام تعود ترابا . قوله تعالى (كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين) وكنا أولا ترابا ، فنحن إذن نرجع ترابا بنص الآية الكريمة ويقويه قوله أيضا (والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتاً كذلك تخرجون) فهي تفيد أننا بعد الموت نكون ترابا لان قوله (كذلك) ان كان حالا من نائب فاعل تخرجون ، وكانت الاشارة راجعة إلى البلد الميت ـ فدلالة الآية ظاهرة ، ويكون معناها تخرجون يوم القيامة كالبلدة اليابسة ، أي كتراب الارض الميتة ، وان جعلنا (كذلك) صفة لمصدر محذوف ، والاشارة راجعة إلى الاحياء

للارض واخراج نباتها، أي تخرجون إخراجا كهذا الاخراج- فواضحة أيضاً في المطلوب ، إذ لا يكون إخراجنا كاخراج النبات من الارض إلا إذا كنا ترابا

وأعظم دليل على ذلك المشاهدة والاستقراء ، وما وجد - انسان على كثرة مايحفر الناس في الارض وينبشون - غير بال ، إلا ما كان من الحكايات الخرافية . فكيف نعد بعد هذا جهالا وضلالا ، إذا اعتقدنا أن الاموات يعودون ترابا كسيرتهم الاولى؟ مع أن الحديث الذي سبق مع ضعفه لا يفيد أنهم لا يبلون ، إذ قوله «حرم على الارض أن تأكل أجساد الانبياء» لا يلزم منه الا يبلوا إذ يصح أن يقال بلوا وما أكلتهم الارض

وان كان يجهلنا ويضللنا لانا أخذنا من كون العباد بعد الموت رميما وترابا ، انهم لا يقدرون على شيء ، وان الصواب انهم يقدرون على قضاء مايسألون واجابة مايطلب منهم ، وإن كانوا ترابا ، فقول أعاذنا الله منه ، فهل يطمع انسان أن يجيبه من صار رميما قد أكلته الديدان وصار عظاما نخرة ؟

يفنـدون ، وهم أدنى إلى الفند ويرشدون ، وهم أنأى عن الرشد

أيرجو عاقل من صار تربا حباء أو علاء أو شفاء؟

ثم مع هذا فكلامه ناقص فكيف أخذ من اعتقادنا عدم قدرة الاموات . ان السبب فيه انهم عادوا رميما ، وهذا غير لازم ، فان اسباب لعدم القدرة كثيرة فيجوز انهم باقون على حالهم ، وبابدانهم الصحيحة السليمـة ، ولكن الله نزع قدرتهم كما ينزعها من بعض الاحياء .

وأما قوله : «ما ثبت من حياة الارواح وبقائها بعد مفارقة الاجسام» فتفريع على ماقبله ليس حلواً ، فهل يلزم من حياة الارواح وبقائها أن تكون قادرة مجيبة؟ لا يلزم ، ولكن أين الفهم؟

بأرض ما اشتهيت رأيت فيهـا فليس يفوتهـا إلا العقول

وأما ماذكره من مناداة الرسول ﷺ الـكفار وسلامه على القبور ، والادلة

التي زعمها . فقد سبق الجواب عنها في أدلته الحديثية . وأما ماقال من ان الفلسفة قديما وحديثا تثبت حياة الارواح وبقاءها بعد مفارقة الاشباح ،فالجواب :

أولا هذا لايرد علينا ، فانا قائلون ببقاء الارواح بعد مفارقة الاجساد حتى للفساق والفجار ، وليست من ميزات الابرار

ونقول ثانيا حكمك على فلسفة القديم والحديث بذلك حكم باطل لاندريه، وما أخالك تعلم منه سوى مايعلم عامة الناس، من أن اوربا أثبتت كذا ونفت كذا مما يشاركك في علمه كل قاريء للصحف والمجلات ، وقولهم انها أثبتت وجود الارواح بالتنويم المغناطيسي وهو ما ذكر على صفحات الجرائد والمجلات . وهي مسئلة يكفر بها كثير من الاوربيين إلى الآن ،ولا يصدقون إلا بالماديات المحسوسات فاذا كان أهل العلم وأرباب الصنعة على اختلاف فيها واضطراب فكيف ترد على خصومك بقول أحد الطرفين ، وأنت لست من أهـل الترجيح في هذه العلوم الجديدة، ولا بلغت درجة الاجتهاد، ولم تبلغها في الشرع الاسلامي الذي قضيت عمرك فيه ، بل ولا في آلاته من نحو وصرف وبلاغة وأصول ؟ فكيف يصح لك أن تسلك طريق التحقيق في علم الارواح ، فان أبيت إلا أن تكون في صف علماء الفلسفة والارواح كما أردت أن تكون في سمط علماء الدين ، فانا نخاطبك مخاطبة الفيلسوف الحكيم ، ونطالبك الدليل بالنظريات المقنعة المسكتة ، كشأن العلماء

وأما قولك أثبت العلم كذا ونفى كذا ، فمهمل يجب أن يكون مهملا

ثم اني أرشدك إلى فائدة عظيمة لعلك ماسمعت بها ولاحلمت، هي ان أهل الشرق لافتتانهم باهل الغرب وذهابهم في الاعجاب بهم كل مذهب ، واعتقادهم انهم يثبتون ماشاءوا اثباته - ويبطلون ما شاءوا ابطاله ، وان أمرهم إذا أرادوا شيئا أن يقولوا له كن فيكون - لتمكن هذه العقيدة في نفوسهم ، وسببها مارأوه من القوة والاختراع والمستحدثات الغريبة التي ماحدث التاريخ بمثلها ، لهذا كله

صار الشرقيون إذا سمعوا أمراً عن الغربيين ولو على سبيل الفرض والتخمين ، جعلوه يقينا ، بل من الضروريات التي من أنكرها أوشك فيها يعدّونه ليس من جملة الانسان ، فان كان الشرقي المعجب بها مسلما متدينا أو يظهر بالاسلام طفق يلوي القرآن ليا ويحرفه عن موضعه ، زاعما أن ذلك من محاسن الاسلام ومن حسنات القرآن، وأخذ يفخر ويتبجح في أن الفضل في المسئلة للشرقيين المسلمين وان دينهم جاء بها من زمن بعيد ، وربما كانت النظرية جهلا مخالفة للحس والمشاهدة ، وأمثال هذا كثير، حتى لقد خشينا لو قال أهل الغرب او بعضهم الواحد اثنان والاثنان واحد ، والزوج فرد والفرد زوج أن ينقادوا له ويقاتلوا عليه دينهم وقومهم. وهذا بلاء قديم مصاب به كل ضعيف أمام قوي . فالنتيجة عن هذا أن تعلم انه ليس كل ما كتب عن الغرب ونسب اليهم صحيحا

وأما حكم الشيخ على الفلسفة القديمة فان أراد بها فلسفة المنتمين الى الاديان كفلسفة ابن سينا والفارابي والغزالي والرازي والآمدي، فقوله تكرار لا فائدة فيه غير التعب ، لان قوله الثابت في الكتاب والسنة هو هذا ، فان هؤلاء أثبتوها أخذاً من القرآن والسنة وصارت ألفاظا جوفاء . وإن أراد فلسفة غير المليين وانهم أقاموا الادلة على وجود الروح بعد مفارقة الجسم بالطرق العقلية، فادعاء . وأي كتاب رآه الشيخ لاحد من فلاسفة اليونان ، أو غيرهم ، أثبت له هذا ؟ كيف وكثير من الفلاسفة ينفي وجود الروح بالمرة حتى في وقت الحياة، ويقولون الروح عرض من الاعراض اذا فارقت الجسم مات ، ولا تقوم بذاتها كدأب الاعراض ، وميدان الدعاوى واسع لا يفقر منها أحد

والدعاوي إن لم تقيموا عليها بينات أولادها أدعياء

قال المعترض : ولنقتصر هنا على هذا السؤال: أيعتقدون ان الشهداء أحياء عند ربهم كما نطق القرآن بذلك ام لا ؟ فان لم يعتقدوا فلا كلام لنا معهم لانهم

كذبوا القرآن، حيث يقول (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لاتشعرون) (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) وإن اعتقدوا ذلك فنقول لهم ان الانبياء وكثيراً من صالحي المسلمين الذين ليسوا بشهداء - كأكابر الصحابة - أفضل من الشهداء بلا شك ولا ريبة ، فاذا ثبتت الحياة للشهداء فثبوتها لمن هو أفضل منهم أولى ، على ان حياة الانبياء مصرح بها في الاحاديث الصحيحة ، وقد رأى النبي ﷺ موسى يصلي فوق الكثيب الاحمر وراجعه مراراً عندما فرضت الصلاة خمسين في كل يوم وليلة حتى صارت خمساً كما قابل آدم وابراهيم وغيرهما من الانبياء . فهذا كله يثبت حياة الارواح وانه لاشك فيها

فاذاً نقول : ثبتت حياة الارواح بالادلة القطعية التي قد ذكرنا بعضها فلا يسعنا بعد اثبات الحياة إلا اثبات خصائصها، فان اثبات الملزوم يوجب ثبوت اللازم كما ان نفي اللازم يوجب نفي الملزوم كما هو معروف اه كلامه .

والجواب : نحن نختار حياة الشهداء على معنى آخر لا على ماتثبته أنت . وهبنا قلنا بالثاني وانهم ليسو أحياء ، تأولا منا للآية لشبه قامت عندنا ، فماذا يكون ؟

فأما قولك انكم تكفرون لانكم كذبتم القرآن ؟ فاما ان تريد اننا نكفر اذا آمنا بلفظ الآية ولكن أولناها وصرفناها عن الظاهر لدليل قام لدينا - اننا نكون مكذبين للقرآن ، وإما ان تريد بكوننا مكذبين للقرآن ما اذا كذبنا لفظ الآية وقلنا ليست من القرآن، فان كنت تريد الاول فقول جائر لا يوافقك عليه عالم ، ولا يرضاه فاضل . إذ لو كان كذلك لكان كل من أول آية لشبهة عرضت له ودليل قام لديه كافراً مكذبا للقرآن ، مارقا من الاسلام. ولا يخفى ما في هذا من الغلو ، وهو يقضي على الامة كلها بالكفران ، إذ قل أن يوجد عالم إلا قد أول آيات عن ظاهرها لمعارضات حصلت في نفسه ، فهل يرى الكاتب ان هؤلاء

مكذبون للقرآن ، فان سولت له نفسه ذلك لزمه تكفير الصحابة أو كثير منهم، لانهم قد أولوا كثيراً من القرآن. فان قال المؤول لايكفر إلا اذا كان التأويل كاذبا في الواقع . قلنا أولا هذا مستلزم لتكفير أغلب الامة اذ قد علمنا انه لايسلم عالم من ان يكون قد أول آية بخلاف المراد

ونقول ثانيا: من أين جئت بهـذه القاعدة ؟ أمن العـقل أم من الشرع ؟ لاشيء من ذلك

ونقول ثالثا : من انبأك ان هذا التأويل الذي معنا مخالف للواقع المراد منها ؟ ونحن قد تكلمنا على الآية فيما سبق من أدلته القرآنية وقد أولها كثير من العلماء.

وإن قال من التأويل ماهو كفر ومنه ماليس بكفر. قلنا اذاً يجوز ان الذي معنا من الذي لايكفر صاحبه . وأنت تقول ان العلماء قالوا ان الشك لايزول باليقين، وان المسلم يؤول له من سبعين وجها ــ ولعلك ترانا غير مسلمين

وإن قلت بالثاني أي لانكون مكذبين للقرآن الا اذا كذبنا اللفظ . وأما التأويل فلا يجعلنا مكذبين لم يفدك شيئاً ، ويكون تشقيق الكلام مشقة

ثم قولك لا كلام لنا معهم اذا نفوا الحياة ــ كلام ساقط، وهل الكافر يسقط الكلام معه ولا تجب مجادلته بالتي هي أحسن ؟ وما علمت قبل اليوم ولا علم غيري ان الكافر لا يدعى الى الاسلام ويجادل . وما زال المسلمون الاولون والآخرون يدعون أهل الضلال إلى الهدى ، والرسل ماجاءت الا بادئة الكفار بالدعوة . فما لهذا الفيلسوف المبجل يتعثر تعثر الاعمى في أرض قد ألبست شوكا. ولهذا الرأي أخذ الملحدون على المسلمين الطرق وتسلطوا عليهم، إذ هم يصولون ولا يصال عليهم ، وقد أمنهم الشيخ وجرأهم عليه

وأما قوله وان اعتقـدوا ذلك . فنقول لهم ان الانبياء وكثيراً من صالحي المسلمين الذين ليسوا بشهداء أفضل من الشهداء كأكابر الصحابة بلا شك ولا

ريب ، فاذا ثبتت الحياة للشهداء فثبوتها لمن هو أفضل أولى .

أقول كلامه مركب من مقدمتين :

(الاولى) ان هناك أفضل من الشهداء (الثانية) أن كل ماثبت للمفضول وجب أن يثبت للفاضل .

المقدمة الاولى صحيحة لاشك فيها . وأما الثانية فباطلة لاشك في بطلانها ، وما قال أحد قبل الشيخ ان كل ما كان للمفضول تحتم كونه للفاضل ، بل قالوا ان المزية لاتقتضي التفضيل. أي قد توجد الخصلة الحميدة في المفضول دون الفاضل، وهذا معروف ألسنا نرى أن رسول الله ﷺ هو أفضل المخلوقات وأفضل من جميع الرسل؟ وقد أثبتنا لكثير من الرسل من المعجزات مالم نثبته له ، فقد ولد عيسى بن مريم من غير أب وكان حمله على خلاف عادة النساء ، وكان يخاطب الناس في المهد ويبريء الاكمه والابرص ويحيي الموتى ، ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ، ورفعه الله اليه ، والراجح عند أكثر العلماء انه لم يمت، وينزل في آخر الزمان يحكم بين الناس بالقسط ويهبه الله أموراً عظيمة ، وهي كلها لم تثبت لرسول الله. اما الاغلب فبالاتفاق ، وكذا موسى وهبه الله العصا ، واليد، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، آيات مفصلات ، وفلق له البحر وانبجس الصخر ماء، وأغرق فرعون وقومه، وأعطاه التوراة وكتبها له بيده، وأعطى صالحا الناقة ، وأنجى ابراهيم من النار ومن كيد أعدائه ، وسخر لسليمان الريح والشياطين يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل ، وألان لداود الحديد وسخر له الجبال والطير يسبحن معه. والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس) بل ثبت للملائكة ماليس للانبياء، والانبياء عند أهل السنة أفضل ، فجعل الملائكة أغنياء عن الاكل والشرب والنكاح، وقد قيل انهم لا يموتون مادامت الدنيا ، وهم أجساد لطيفة لا يحجبها

في العامي خلق أفضل من خلق العالم كأن لا يتأكل العامي بدينه ويشترى به ثمنا قليلا

أليس فضيلة مولانا المعترض هو أعلم الناس اليوم على الاطلاق وأقدمهم في الفلسفة ، وأبعدهم غوراً في الحكمة ، وفي بله الناس من هو أعرف منه بالالوان وبالقبيح والحسن ، وأعلم منه بالاسود والابيض وبالطويل والقصير ، وتميز الليل من النهار والشمس من القمر ، والقمر من الهلال ، ولا يمنع هـذا من أن يكون الاستاذ في الفلسفة والعلوم الروحانية ـ مثلا ـ هو الامام المقدم والحكيم المعظم

وأما ماذكره من صلاة موسى فوق الكثيب الاحمر وملاقاة النبي ﷺ ابراهيم الى آخره فقد جمع بين الغلط في اللفظ والشطط في المعنى ، ولا نزال نتقلب في غلطه ، ونكسر أقلامنا في خطأه ، فما كان موسى يصلي فوق الكثيب الاحمر بل كان في قبره عند الكثيب الاحمر ، ولكن لولوعه بالرد على أعدائه لا يحفظ فيأتي بالالفاظ التي يظهر انها أقرب إلى مذهبه وإن كانت كذبا . فالحديث في مسلم وفي غيره ، وليس فيه هذا اللفظ الذي يقوله

وقوله: ان هذا كله يفيد حياة الارواح

يشير إلى حديث الاسراء والمعراج ليلة أسري به ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى ، وعرج به من المسجد الاقصى إلى الله تعالى فوق سبع سماواته ، وقربه منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى ، وفرض عليه الصلاة خمسين في اليوم والليلة ، فمر على موسى وهو في السماء فسأله : كم فرض الله على أمتك ؟ فأخبره فأشار عليه أن يرجع ويسأل ربه التخفيف عن أمته ، وفعل حتى صارت في اليوم والليلة خمسا . وفي القصة أنه ﷺ رأى أموراً غريبة ، وهي كما قال الله آيات كبرى ، فرأى الانبياء والجنة والارواح محيطة بآدم الكافرات والمؤمنات والفاسقات والصالحات وخاطب الانبياء وخاطبوه ، وحياهم وحيوه وسألهم وسألوه وأجابهم وأجابوه ورآهم ورأوه ، وصلى بهم ببيت المقدس . كل هذه الامور في

حاجب ، ولا يمنعها مانع ، تتصور كيف شاءت ، لها من القوة ما لم يكن لغيرها ، تصعد وتنزل من السماء إلى الارض ومن الارض إلى السماء في أقرب وقت ، بل حصل لبعض بني آدم من الكرامات مالم يحصل لكثير من الانبياء، كاصحاب الكهف في نومتهم العجيبة الطويلة ، وبقائهم كذلك بغير موت ولا تغير ،وكذا ما حصل لمريم عليها السلام ، والذي جاء سليمان بعرش بلقيس ،وكذا من أماته الله مائة عام ثم بعثه ـ الى آخر الحكاية المحكية في القرآن، وما ثبت لجريج الراهب الذي كلم الغلام في المهد وكان جريج راهبا صالحا اتهم بالزنا بامرأة بغي، فجاءت بولد ،فسألوها : ابن من هذا ؟ قالت لجريج، فذهبوا اليه وهدموا صومعته فقال جريج : عليَّ بالطفل فجيء به فقال له من أبوك ياغلام ؟ فقال فلان الراعي. أنطقه الله اكراما لعبده جريج . والحكاية في البخاري وغيره

ومن ذلك ما كان في الصحابة رضي الله عنهم فمنه ان عمر بن الخطاب خاطب سارية وهو في بلاد فارس يجاهد في سبيل الله وعمر فوق منبر (المدينة) فنادى عمر سارية وقد ضيق عليه العدو ، وكاد أن ينهزم ، وصاح ياسارية الجبل ، وقد كشف الله لعمر على بعد المسافة، فرآه وسمع سارية الخطاب ولا يدري من أين جاء فلجأ سارية الى الجبل واتقى به العدو فانتصر ، بل الصحابة رضوان الله عليهم يوجد في المفضول منهم مالا يوجد في الفاضل باتفاق المسلمين ، فمثلا عمر يوجد فيه من المزايا ماليس في أبي بكر وابو بكر أفضل منه ، وفي عثمان ماليس في عمر وعمر أفضل منه ، وفي علي ماليس في عثمان وهلم جرا ،بل يوجد في صغار الصحابة ماليس في كبارهم ، وهذا موجود في كتب السنة واضح ،فكيف يقول ان ما ثبت للمفضول يثبت للفاضل ، انها غفلة لاتحتمل من غيره . وأما منه فتحتمل وأ كبر منها، وهبْهُ فاته مافي كتب السنة ، فهل فاته مايرى في الناس أمامه من العلماء والجهلاء ، ففي العالم الصغير من المزايا الحسان ماليس في العالم الكبير ،بل قد يوجد

الصحاح ، واحتجاج المعترض بها على حياة الارواح بعد مفارقة الابدان حياة دائمة مطلقة لا يتم له إلا بامور :

(الاول) أن يقيم الدليل على أن تلك الامور لا تقع إلا من الاحياء ، فانه لا مانع أن تكون من غير الاحياء ، فقد ثبت في القرآن والحديث ان كل شيء يسبح ويسجد ويسلم ويتكلم من الجمادات والحيوانات ، وما استلزم ذلك ان يكون شيء منها حيا حياة الانسان المكلف المأمور المنهي ، ولكن تسبيحها ونحوه على معنى آخر يعلمه الله، فان كان يريد بالحياة هذا المعنى الذي يعلمه الله فالخلاف لفظي

(الثاني) ان الله أحياهم له في تلك الليلة لحكمة يعلمها ، وغاية يقصدها ، وليلة الاسراء والمعراج ليلة الخوارق والعجائب لا يقاس عليها ، فلله أن يفعل ما شاء (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) والذي يقويه انه رآهم في السماء، والارض، وفي بيت المقدس وموسى في قبره ، فكيف يكون موسى في ثلاث مواضع، وبقية الانبياء في موضعين ؟ وكيف خرجوا من قبورهم وصعدوا إلى السماء ونزل عيسى إلى الارض؟ وكيف رأى الناس في السماء وهم في القبور؟ — والقول بالتعدد والتنقل غفلة وحمق لا يروج إلا على بله النصارى وعمي اليهود ومن قلدهم واتبع سننهم

(الثالث) يحتمل انهم مثلوا له تمثيلا ، وخيلوا أمامه تخييلا، كما خيلت له الجنة والنار في عرض الحائط وهو قائم يصلي بالناس صلاة الكسوف، ورأى فيها أناساً يعذبون وينعمون، ويقرب القول بالتخييل والتمثيل وجودهم في أماكن متعددة إذ التخيل يصح التعدد فيه

(الرابع) يجوز انها أمور منامية رآها في نومه ، وقد قال به بعض المتقدمين والمتأخرين من السلف والخلف ، وليس بعيداً من الاخبار الواردة ، وقد جاء في بعض روايات البخاري في آخر الحديث قال ﷺ « فانتبهت » وهذا يفيد انه رأى ذلك وهو نائم، وفي رواية في أوله «جاءت الملائكة وأنا بين النائم واليقظان»

فاذا أبطل الشيخ الدجوي الامور الاربعة تم احتجاجه : من قصة الاسراء والمعراج ان الارواح حية حياة مطلقة ، ولست اريد إبطال حياة الارواح ولكن اريد ابطال دليل المعترض ، ولا يلزم من إبطال الدليل بطلان الدعوى

وقوله : وإذا ثبتت الحياة ثبتت خصائصها الخ

الظاهر انه يريد بالخصائص الخصائص التي يبني عليها دينه من دعائها وإجابتها داعيها لا خصائص حياة الشهداء التي فسرها النبي ﷺ انها في حواصل طير خضر على أشجار الجنة ، كما هو مذهب ودين عقلاء المسلمين سلفا وخلفا. فيقال: هبنا سلمنا لك حياة الارواح على ماذكرت ، ولكن قولك من خصائص الحياة : الاستغاثة والدعاء لأربابها. إما ان تريد ان كل حياة كذلك ـ حتى حياة الاموات الروحية ـ أو تريد الحياة الدنيوية المخصوصة ؟ إن أردت الاول فلا نسلم ان ذلك من خصائصها فهي كلية عارية من البرهان

ويقال أيضاً : نحن علمنا تلك الخصائص للحي ، إذا كانت روحه في جسمه ، وما علمناها في الروح الحية وفي الروح اذا كانت مفارقة البدن

وان أردت الثاني فلا ينفعك شيئا

* * *

قال المعترض : واي مانع عقلا من الاستغاثة بها و لاستمدادمنها كما يستعين الرجل بالملائكة في قضاء حوائجه او كما يستعين الرجل بالرجل

* وأنت بالروح لا بالجسم انسان *

وتصرفات الارواح على نحو تصرفات الملائكة لا تحتاج الى مماسة ولا آلة فليست على نحو ماتعرفون من قوانين التصرفات عندنا ، فانها من عالم آخر (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) وماذا يفهمون من تصرفات الملائكة أو الجن في هذا العالم اه كلامه

نقول: والله حسبنا إن لم يمنع العقل من دعوة الاموات والاستغاثة بهم فليس ثم عقل. ان العقل يمنع ذلك ويراه أقبح القبائح إلا عقل علامتنا الدجوى طبعا فاذا كان عقله يحسن دعوتهم فلا يصح لغيره أن يقبل عقله، ولا له ان يلزمه الناس. ومقالته كمقالة من قال: أي مانع من السجود للاصنام والذبح لها كما يذبح للاحياء وقول القائل: أي مانع عقلا من الصلاة والصوم لهم وما قوله بأبعد من قول القائل: ما المانع من الزنا واتيان الفواحش، ولا سيما اذا كانت بالرضا من الفريقين. ولعمر الله إن دعوة الشمس والكواكب والافلاك الرائحة الغادية التي لا تتغير ولا تزول، والتي يثبت لها أشياخه الفلاسفة من التأثير في العالم التأثير العجيب. ولهذا سمى منها السعد والنحس - دعوتها أقرب في العقول من دعوة الاموات الضعفاء المصابين إذا كانوا أحياء بالعاهات والاسقام والموت، والتي تداس تحت الاقدام، ويطؤها الكرام واللئام

ولعل الشيخ يصحح دعوة الشمس والقمر والنجوم، والسماء والارض. فيعيد لنا دين قوم ابراهيم وأبيه آزر، ولا غرو أن يعتقد ما اعتنقه أبو نبي

ويقال: هب العقل لا يقبح ذلك ولكن ديننا مشيد على الوحي لا على الاهواء فكم من محرم في الشرع لا يدرك له العقل معنى.

وأما استشهاده بدعوة الملائكة فأبعد وأزمن. وقد سلف ان دعوة الملائكة لا تجوز بحال، وان بطلانها معروف بالضرورة من الاسلام.

وقوله كما تستعين بالرجل - هو قياس من أفسد الاقيسة وقد سبق بطلانه

وقوله * وأنت بالروح لا بالجسم انسان *

هو بعض شعر لم يعرف مراد قائله، فهو فهم ان الشاعر يجوز دعوة الاموات وان الروح بعد مفارقة البدن متصرفة في الكون، وهذا لم يخطر على بال القائل ولكن اذا كان الشيخ بلباقته يحرف القرآن والحديث فلا غرو اذا حرف قول الناس

وقوله: وتصرفات الارواح كتصرفات الملائكة لا تحتاج إلى آلة ولا مماسة

قول كاذب ليس معه دليل . ومن قال للاستاذ ان تصرفات الملائكة بغير آلة ولا مماسة أليس هو قولا على الله بغير علم (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا) (قل انما حرم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن — إلى قوله — وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) ويمكن أن يقول: هذا قول على الملائكة لا على الله فهو في الجرأة وافساد الالفاظ بمكان .

وقد عاب الله قوما حكموا على الملائكة بأنهم بنات الله ، ووبخهم بأنهم لم يشهدوا خلقهم (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا، أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون)

وقد ذهل عما ورد في السنة من الاخبار الكثيرة التي تبلغ حد التواتر : ان الميت اذا وضع في القبر جاءته الملائكة وسألته ، فان كان منافقا او كافراً ضربته بمرزبة من حديد، فيصيح صيحة يسمعها كل شيء الا الثقلين — الجن والانس — وهل المرزبة الا آلة ؟ وقال تعالى عن الملائكة ـ الذين ذهبوا الى ابراهيم عليه السلام ، وخاطبهم ابراهيم ، (قال فما خطبكم أيها المرسلون ؟ قالوا إنا أرسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين) أو ليست الحجارة آلة ؟ وقال (إذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم. فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان) وما يكون الضرب الا بآلة أو بمماسة المضروب . وقال تعالى (جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع) والاجنحة آلة الطيران

وفي الحديث الذي في الصحيح انه عليه الصلاة والسلام رأى جبريل في صورته الاصلية له ستمائة جناح وقد سد الافق . وقال كثير من المفسرين : ان جبريل رفع قرى قوم لوط على طرف جناحه حتى صعد بهم الى قرب السماء ثم ألقاهم

والحاصل ان قوله: ان تصرفات الملائكة بغير آلة ولا مماسة — غلط محض

لم يرشد اليه عقل ولا نقل . فلا قول لهذا المعترض يسلم له

ثم استشهاده بقوله تعالى (يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) من أغرب الاستشهاد ، فهل فيهايا ارباب العقول الحية والرءوس المستقيمة أدنى اشارة ان تصرف الملائكة والارواح بغير آلة ولامماسة لوان فيها الرد على قوم يحاولون البحث في الارواح والتكلم في شأنها، والقول فيها بعقولهم وتجاريبهم ونحو ذلك. فرد الله عليهم قولهم واوقفهم عند حدهم ، وقال (وما اوتيتم من العلم الا قليلا) فيالله للشيخ . انه يسوق الحجة له حجة عليه . ويأتي بما يبطل قوله ودعواه دليلا على قوله . وهذا شأن الهوى والعصبية (وما اوتيتم من العلم الا قليلا)

***

قال المعترض : ولا شك ان الارواح لها من الاطلاق والحرية ما يمكنها من ان تجيب من يناديها وتغيث من يستغيث بها، كالاحياء سواء، بل اشد وأعظم ، وقد ذكرنا لك فيما سبق عن ابن القيم ان الارواح القوية كروح أبي بكر وعمر ربما هزمت جيشاً إلى آخره ، فان كانوا لا يعرفون الا المحسوسات ، ولا يعترفون إلا بالمشاهدات، فما أجدرهم أن يسموا طبيعيين لامؤمنين ،على اننا نتنزل معهم ونسلم لهم ان الارواح بعد مفارقة الاجسام لا تستطيع أن تعمل شيئاً ، ولكن نقول لهم إذا فرضنا ذلك وسلمناه جدلا فلنا ان نقرر انه ليست مساعدة الانبياء والاولياء للمستغيثين بهم من باب تصرف الارواح في العالم على نحو ما قدمنا ، بل مساعدتهم لمن يزورهم ويستغيث بهم بالدعاء كما يدعو الرجل الصالح لغيره ،فيكون من دعاء الفاضل للمفضول ، او على الاقل من دعاء الاخ لاخيه ، وقد علمت انهم أحياء يشعرون ويحسون ويعلمون ، بل الشعور اتم والعلم اعم بعد

مفارقة الروح الجسد ، لزوال الحجب الترابية وعدم منازعات الشهوات البشرية وقد جاء في الحديث ان أعمالنا تعرض عليه ﷺ فان وجد خيراً حمد الله وإن وجد غير ذلك استغفر لنا ، ولنا أن نقول : إن المستغاث به والمطلوب منه الاغاثة هو الله ولكن السائل يسأل متوسلا إلى الله بالنبي او الولي في ان يقضي حاجته فالفاعل هو الله ولكن أراد السائل ان يسأل الله ببعض المقربين لديه ، الاكرمين عليه ، فكأنه يقول انا من محبيه (أو محسوبيه) فارحمني لاجله ، وسيرحم الله كثيراً من الناس يوم القيامة لاجل النبي وغيره من الانبياء والاولياء والعلماء اه كلامه

قوله : لاشك ان الارواح لها من التصرف الخ

مقابل بضده، بقولنا لاشك في بطلانه وفساده وافترائه على الله ورسله وكتبه كيف يجرأ هـذا الرجل هذه الجرأة ويقدم في الكذب على الله هذا الاقدام ؟ لا أظن أحداً قبله اطلق مثل إطلاقه ،وعمم كتعميمه في أن الارواح لها من التصرف ماذكر . كيف يقول مسلم ان مخلوقاً من الخلق له التصرف المطلق فضلا عن الاموات مع ان الثابت في القرآن والسنة والمعلوم بالضرورة ان رسل الله وهم أحياء لم يكن لهم التصرف المطلق ولا أن يجيبوا كل من يناديهم ويغيثوا كل من يستغيث بهم ، بل ما كانوا قادرين على الدفع عن أنفسهم فكانوا يُقتلون ويُخرجون من ديارهم ويكذّبون ويضربون (قل اني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً * قل اني لن يجيرني من الله احد ولن اجد من دونه ملتحداً) (ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون) (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين) وقال جبريل عليه السلام (وما نتنزل إلا بأمر ربك له مابين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا) وقال الله (وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو

على كل شيء قدير) (ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين) وقال (ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين) وقد استشفع نوح لابنه وإبراهيم لابيه وطلب رسول الله ﷺ أن يستغفر لعمه ابي طالب فلم يغنوا عنهم من الله شيئا، وفي البخاري انه عليه السلام لما نزل قوله تعالى (وأنذر عشيرتك الاقربين) نادى بأعلى صوته «يابني فلان يابني فلان إشتروا أنفسكم لاأغني عنكم من الله شيئا. الى أن وصل الى أقرب الخلق اليه فقال « يافاطمة بنت محمد سليني من مالي ماشئت لاأغني عنك من الله شيئا» وفي حديث الشفاعة الطويل : أن الانبياء عليهم السلام اذا استشفع بهم الخلائق يوم القيامة يتبرؤن من الشفاعة ويخافون ويقول كل منهم نفسي نفسي . وفي الحديث الذي رواه الطبراني أنه كان في عصر النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين فاستغاثوا بالرسول عليه الصلاة والسلام فقال « انه لايستغاث بي وانما يستغاث بالله»

فكيف بعد هذا يقول مسلم : ان الاموات يتصرفون التصرف المطلق ويغيثون الاغاثة العامة إنها لمقالة شنيعة. ثم بأي شيء عرف هذا أليس الشيخ وأمثاله وأكثر الناس اليوم ما زالوا يستغيثون بهم وينادونهم فما رأيناهم أجابوا لهم سؤالا ولا دفعوا عنهم بلوى. وهذه الازمة قد أخذت بالمخانق والاستعماريون امتصوا الدماء والاموال، فليرفعوا عنا شيئا من ذلك إن كانوا صادقين. وكم أوقع بآل الرسول عليه الصلاة والسلام في صدر الاسلام، وعجزه من الظلم واضطهاد الجبارين . فما له عليه السلام لم يدفع عن آله ظلم اعدائه، أتراه أهملهم مع قدرته ؟ أم أراد أن يمتحنهم كما يمتحن الله عباده ، أم كانوا مستحقين لما نزل بهم

وقوله : فان كانوا لا يعترفون الا بالمحسوسات والمشاهدات الخ هو تبجح ممقوت ، وتطايخ مذموم ، وكلام لا حاصل تحته في غاية الفساد ، فان قول القائل : أرواح الموتى لا تقدر على شيء واعتقاد ان الامر كله بيد الواحد القهار ، النافع

الضار ، هو عين التوحيد وحقيقة ما تدعو اليه لا إله إلا الله فكيف يوصف القائل لذلك إنه طبيعي أي ملحد لا يؤمن بالله ؟ حقاً إن قائل ذلك لا يعرف الله ولا يعرف إلا الطبيعة

فيا شيخ المعقول وحافظ المنقول كيف ألزمت منكر الشرك الاكبر الذي هو اعتقاد تصرف الاموات ، وقضائهم الحاجات المعتقد ما دعت اليه كل الانبياء وجاءت به كل الشرائع السماوية، أن يكون ملحداً (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا)

وهب أن ذلك يوجب أن تسميهم انت واخوانك طبيعيين وملحدين فماذا يضيرهم إذا لم يخالفوا معقولا ولا منقولا والاسماء لا تضر اذا كانوا في حقيقة امرهم موحدين رب العالمين ومخلصين الدين كله لقيوم السموات والارضين

وأما قوله : على أننا نتنزل معهم ونسلم أن الارواح لا تقدر أن تعمل شيئا بعد الموت الخ فكلام يضارب أوله آخره، وينقض عجزه على صدره فان تسليمه أن الارواح لا تقدر أن تعمل شيئا يقتضي أنها لا تدعى ولا تساعد، إذ الدعوة والمساعدة عمل، ثم جاء بعد وأبطله بقوله : فلنا ان نقرر أن مساعدة الانبياء والاولياء للمستغيثين بهم، ليست من باب تصرف الارواح في العالم، فاذا كنت أيها الشيخ قد أثبت للاموات المساعدة والدعاء فكيف سلمت أنهم لا يعملون ؟ أليس هذا عين التهافت وصريح التخاذل تناقض لا يحتمل ، إذ ليس بين الناقض والمنقوض الا حرف أو حرفين وإذا كانت المساعدة والدعاء لا يسميان تصرفا، فما هو التصرف الذي تنازل عنه، وكان قبل قليل راكبه، أهو أن يعتقد أن الملك بيد الاموات يحيون ويميتون ويعزون ويذلون

فما نزل إلا بواد غير ذي ذرع وضرع ، ما فيه سوى الاسد والسبع والقتل والصرع ، وما نزل اليه من إثبات الدعوة والمساعدة لم يأت له بدليل فلا يحفل به ، فما الدليل من الكتاب أو السنة أو العقل: أن الاموات تساعد، وتدعو للمستغيثين

وقوله : وقد علمت أنهم أحياء يشعرون ويحسون - كذب وبهتان ، وشيء ما كان ، وحكم على ما في الجنان فما علمتُ ذلك ، ولن أعلمه أبداً ، لان علمي اذن يكون جهلا ، لان الجهل هو علم الشيء على غير وجهه ، فلو علمت أنهم كذلك لكنت جاهلا . وأي شيء جاء الشيخ به من اسباب العلم ، حتى تعلم أو تظن أو تحلم أني رجعت عن التوحيد وإفراد الله بالعبادة ودعوته وحده الى قولك الركيك الداعي الى التشريك ، وعبادة الملوك هيهات هيهات ، ذلك أبعد من بنات نعش ، فارجع عن املك

وقوله بل للاموات شعور أتم وأعم من الاحياء . كلام مسروق من كلام ابن القيم أخذه فمسخه وحرفه حتى أصبح لا يسمع . وقد سبق الكلام على ذلك وسيأتي الكلام عليه في احتجاجه بكلام ابن القيم

وحديث « تعرض علي أعمالكم » ضعيف السند والدلالة . وقد مضى القول فيه موفى

وقوله : ولنا أن نقول ان المستغاث به والمطلوب منه الاعانة هو الله ولكن السائل سأل الله متوسلا الخ

هذا رجوع عن مذهبه وتنصل من عقيدته من حيث لا يدري ، وقد أخذ المسكين من مأمنه وقتل في مسكنه وهو لا يريد الرجوع . ولكن خانه شغفه بكثرة التقسيمات وتعدد التشقيقات تأسيا بالفخر الرازي والآمدي وأمثالها ولكن

انما يبلغ الانسان طاقته ما كل ماشية بالرحل شملال

فاذا أثبت أن الاستغاثة بالله وحده والطلب منه فقط ، وانما يستغاث به ، ويطلب بخلقه ، فقد أبطل قوله الاول ، بل قوله في كل مكان من اثبات الاستغاثة بالأموات وسؤالهم ، ووافق خصومه في أنه لاتصح الاستغاثة بالاموات . وأني أخشى أن يطلع عليه اخوانه عباد القبور ويعرفوا رجوعه الى مذهب الوهابية فينكلوا به ، ولكن يظهر أن الغفلة والذهول دأب في الطائفة عامة وسجية متأصلة

وقد أبقى نوعا واحداً يتقي به عند حلول المكروه وهو أن يسأل السائل بجاه المخلوقين،وفسره بتفسير رديء وجعل معنى أسألك ياألله بفلان أي انا محب له، وهو تفسير لا يعقله الا مثله ولا يقبله الا شكله ، ولا يعرف الا في لسان الدجويين

يارباه أن الصوت قد بح والسمع كاد أن يصم والفؤاد أوشك أن يسقم مما أتى به الشيخ من الكلام الغث والفكر الرث، فماذا أقول (فصبر جميل والله المستعان)

ثم ان الاتيان بقوله أو من (محسوبية) بعد الاول في غاية الظرف واللطف ضاق به العطن وعميت عليه مخارج الكلام على سعتها وكثرتها فاستغاث باللفظ العامي الممقوت،فصار كلامه كالثوب المرقع وكطعام السائل والاستدلال الاخير على قوله أبدع وأبشع

قال المعترض : وبالجملة فاكرام الله لبعض أحباب نبيه لاجل نبيه بل بعض العباد لبعض أمر معروف غير مجهول.ومن ذلك الذين يصلون على الميت ويطلبون من الله أن يكرمه ويعفو عنه من اجلهم بقولهم : وقد جئناك شفعاء فشفعنا فيه .

والمقصود من ذلك كله اثبات أن الله يرحم بعض العباد ببعض،على ان توجه الانسان الى الولي او النبي والتجاؤه اليه تحس به روح النبي والولي تمام الاحساس، وهو كريم وذو وجاهة عند الله، كما قال (وكان عند الله وجيها) وقال (وجيها في الدنيا والآخرة) فتعتني تلك الروح بذلك المتجيء اشد الاعتناء في تسديده وتاييده والدعاء له هي والملائكة الذين يجلونها ويحبون مسرتها ورضاها والانبياء والاولياء محبوبون للملائكة بشاهد قوله عليه السلام « اذا احب الله عبداً نادى جبريل في السماء ان الله يحب فلانا فأحبوه » الى آخر الحديث ، وان الملائكة تقول للذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا (نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة) كما نص على ذلك القرآن ، وذلك سر التوجه الى الاولياء وزيارتهم لتتنبه أرواحهم لحال الزائر وتلتفت الى معونته بما اعطاهم الله من الخصائص كما تنفع اخاك بما إعطاك الله من قوة أو وجاهة أو مكانة أو ثروة أو أعوان أو أنصار الخ وان

يرض قومه منه ذلك كما لم يرض صاحبنا منا . فحاجوه (وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هداني ولا أخاف ماتشركون به) الآية (قل انني هداني ربي إلى صراط مستقيم * ديناً قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين * قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين — قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون — فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون * منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين — وان أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين * ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك إذاً من الظالمين — ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين اوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب * فان حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم ؟ فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد — ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)

ان الله تعالى ما بعث رسله ولا انزل كتبه إلا باخلاص الدعاء لله والالتجاء اليه والانقطاع بين يديه والعكوف على بابه بظاهر العبد وباطنه وقلبه وقالبه (ففرّوا الى الله اني لكم منه نذير مبين — فأينما تولوا فثم وجه الله — قل اعوذ برب الفلق — قل اعوذ برب الناس)

ان الاسلام هو الاستسلام والانقياد، ومن اعظم معانيه وأشرفها التوجه الى الله في كل الاحوال وجميع الاعمال . قال تعالى (وعلى الثلاثة الذين خُلّفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله

الانسان هو هو في الدنيا والآخرة من حيث روحه التي هي باقية في العالمين جميعا وليس الانسان إنسانا إلا بها كما شرحناه . والامر جلي

* ولـكنها الاهواء عمت فأعمت * اه كلامه

أقول: هذا الكلام قد جمع من التحريف والضلال ما لا مزيد عليه ، وكم قد خرق الشيخ الاجماع فيه وخالف صحيح المنقول وصريح المعقول ، وهو يظن انه قد جاء بما يستحق لاجله أن يصلى له ويسجد ، ويقام إكراما له ويقعد ، ولكنه يستحق أن يقعد فقط ، وسترى مافيه من زيغ ، وقد رأيت ما كفى

قوله : فاكرام الله لبعض أحباب نبيه لاجل نبيه الخ

غير منكر وهو صحيح ولكن شتان ما بينه وبين الدعوى ليس في الحز ولا في الموضع ولا يفيد شيئا ، ومن ينازعه في ذلك ؟

قوله في صفة صلاة المصلين على الميت : قد جئناك شفعاء فشفعنا فيه — الشيخ مُغرم لتأييد باطله باختلاق ما ليس وارداً في الحديث فان هذه الالفاظ لم يجيء بها حديث وقد جهل ما يعرفه أطفال طلبة العلم * شنشنة أعرفها من أخزم *

وقوله . والمقصود من ذلك كله إثبات ان الله يرحم بعض العباد ببعض

هو غلط في المقصود فما هذا هو المقصود ، فان كان كما قال فقد تاب مما سود الصحائف والوجوه به ورجع إلى التوحيد وكلمة الاخلاص ، فان كان الغرض من ثرثرتك كلها ان الله يرحم مخلوقا بمخلوق ، فاسكت سامحك الله ، وابق علينا أسماعنا وعقولنا وقد اتفقنا وما اختلفنا — جهل في الدعوى والدليل وضلال عن الغاية والسبيل

قوله : على أن توجه الانسان إلى الولي أو النبي والتجاءه اليه الخ — كلام مضاد التوحيد ومعارض الاخلاص ، فالتوحيد والاخلاص هو التوجه إلى الله وحده . قال إمام الموحدين خليل الرحمن بعد محاجة قومه المتوجهين للكواكب (اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين) فلي

الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا) وروى ابن ماجه انه ﷺ ضحى بكبشين فقال حين نحرها (وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين * ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا اول المسلمين) وروى مسلم انه ﷺ كان يقول في استفتاح الصلاة « وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا مسلماً وما انا من المشركين. ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لاشريك له وبذلك أمرت وأنا اول المسلمين »

ماعلمت أعظم هجوما من هذا الشيخ على إفساد التوحيد ونقض مابنته كلمة الاخلاص. فبأية ملة رأيت ان الميت يتوجه اليه ويستقبل وينقطع اليه ؟ ومن قبلك من العلماء بل ومن الجهلاء قال مقالتك هذه وادعى دعواك ؟ ومن اي كتاب اخذتها ؟ في القرآن: توجهوا إلى الاموات؟ أم في الحديث، أم في التوراة والانجيل؟ وفي أي وقت يكون هذا التوجه ؟ أفي وقت الصلاة وقد قال عليه السلام « لا تصلوا في القبور ولا تصلوا اليها » أم حال الذبح والنحر؟ تالله لقد خالفت إجماع المسلمين وسعيت في نقض ما بناه المرسلون

أليس التوجه عبادة بل أبلغها وأفضلها ؟ إذ يستلزم غاية الرجاء ، ومنتهى الذل ، ونحن نطالبك دليلا أو شبه دليل من العقل أو من النقل ولو ضعيفا ، أو عن عالم من العلماء من الائمة الاربعة أو غيرهم المقتدى بهم في الامة انه قال توجهوا إلى الاموات؟ ياشيخ ألا تخجل؟ ألا تخاف الله؟ ألا تنزجر عن هذا الهجوم المزري والاقدام القاتل؟

وقد زاد الشر استشراء بقوله : والتجاؤه اليه

أفي شرعة من الشرائع المنسوخة أو المبقاة استحسان الالتجاء الى الاموات؟ أليس الالتجاء هو العوذ والعياذ ؟ وهل يعاذ إلا بالله ؟ وهل ثبت في آية أو حديث

عوذوا بمخلوق — فضلا عن ميت ؟ أهي قوله (وإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم — وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله؟) أم قوله (قل اعوذ برب الفلق — قل أعوذ برب الناس) أم قوله (فعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) ؟

وقوله : وتحس به روح النبي والولي تمام الاحساس

قول مرذول لا دليل عليه بل الدليل جاء مبطلا له نافياً . وكأن الدليل عنده هو قوله : الامر كذا ، الامر ليس كذا — توهم انه نبي من الانبياء نال ذلك بدعوته الاولياء — انك لا تدري مكان الارواح ومستقرها ، وهل هي في السماء أم في الارض ، فكيف تحكم عليها ذلك الحكم والانسان لو كان حياً لما كان محساً بمن جاءه والتجأ اليه — الاحساس الذي ذكره للميت؟!!

وقوله : وهو عند الله ذو وجاهة — ثم تلا الآيتين

لا محل له من الكلام ولا مأوى له معنا ، فهل المردود عليهم ينكرون أن الانبياء وجهاء حتى يصلح استدلاله بالآية؟ ولكن لا يجد مايكتب فيلجأ بغير ملجأ إذ هو شغوف ان يسود الصحف وان ترتب ماترتب

وقوله : وتعتني تلك الروح بالملتجيء اليها غاية الاعتناء بالتسديد والتأييد . قول مكرر مردد ، على ما به من السمج والسخف

وقوله : والملائكة الذين يجلونها ويحبون مسرتها — كلام حشو وقول لغو لا فائدة فيه ، ومادعا اليه عدا الخرق إذ ذلك مسلم ولا يفيده شيئا

قوله : وذلك سر التوجه الى الاولياء والزيارة لهم

قول فاسد وسر خبيث لا يسر ولا يقر وتحريف وادعاء ، وتعليله الزيارة بذلك علة قتلته ، مخالف لاتفاق العلماء من محدثين وفقهاء ، ومكذب للاحاديث الصحيحة الصريحة ، ففي الحديث ان الرسول ﷺ قال « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكركم الآخرة » وفي رواية « تذكر الموت » وقد

نهى ﷺ في بدء الاسلام عن زيارة القبور خوفا من عقيدة الشيخ هذه ، إذ هي مايعتقده المشركون فأراد أن يطهر المسلمين من رجسها

وقوله : كما تنفع اخاك بما اعطاك الله من قوة وكذا وكذا

قياس مهين وتمداد شائن ، فما زال يردد التمثيل بالاحياء وقياس الاموات عليهم ، وقد ابطلناه فيما سلف

وقوله : الانسان هو هو من حيث روحه الباقية في العالمين .

قول غير مرضي ، فالارواح في الآخرة مغايرة لها في الدنيا ، فهي في الدنيا مملوأة بالغش والظلم والضلال والحقد ، ضعيفة حقيرة ، ولكن في الآخرة شأنها آخر

قوله : وليس الانسان انسانا الا بها

كلام لاحاصل له . لانه إن اراد انه ماسمي انسانا الا بالروح ، فلولا وجودها في الجسم لكان له اسم غير اسمه فباطل محض ، ومن أين له أن تسمية الانسان انسانا لاجل الروح ؟ وان اراد بكونه ليس انسانا الا بها نفي الانسانية الكاملة فغير صحيح ايضا ، لجواز ان يخلقه الله كاملا اكمل من حالته الحاصلة بلا روح . ثم ما للتسمية وللروح؟ وان اراد انه اذا فارقته الى الملأ الاعلى لايسمى البدن وحده انسانا ، فكذب اذ كل راء لميت — وان كان لايؤمن بوجود الارواح مطلقا — يسميه انسانا ويلقبه هذا اللقب ، ويقول رأيت انسانا ميتا او حيا . وان اراد بغيرها غيره معها ـ وانه ذهب بعضه فقول لافائدة فيه معروف لكل احد ، كان من قطعت يده مثلا يقال له انسان ، وان كان يعرف ذهاب بعضه منه ، وبالجملة فكلامه ظلمات في ظلمات

وقوله : ولكنها الاهواء عمت فأعمت

صحيح وبهذا عمي الاستاذ وفقد بصره وبصيرته ، أنجاه الله مما هو فيه . ان ربي على مايشاء قدير

قال المعترض : والخلاصة انه لا يكفر المستغيث الا اذا اعتقد الخلق والايجاد بغير الله. والتفرقة بين الاحياء والاموات لا معني لها. فانه إن اعتقد الايجاد بغير الله كفر على خلاف للمعتزلة في خلق الافعال، وان اعتقد التسبب والاكتساب لم يكفر وانت تعلم ان غاية ما يعتقد الناس في الاموات انهم متسببون ومكتسبون ، كالاحياء لا انهم خالقون موجدون كالاله ، اذ لا يعقل ان يعتقد فيهم الناس اكثر من الاحياء وهم لا يعتقدون في الاحياء الا الكسب والتسبب. فاذا كان هناك غلط فليكن في اعتقاد التسبب والاكتساب ، لان هذا هو غاية ما يعتقده المؤمن في المخلوق والا لم يكن مؤمنا والغلط في ذلك ليس كفرا ولا شركا اه كلامه

في هذا الكلام من الغفلة والشطط وتكفير المؤمنين وافساد الدين ومحادة القرآن مالا تحيط به العقول ولا تملیه الكتاب

(اولا) قوله لا يكفر المستغيث الا اذا اعتقد الخلق والايجاد بغير الله فيه قاعدتان

(الاولى) انه لا كفر الا باعتقاد المشاركة لله في الايجاد والخلق فمن لم يعتقد هذا الاعتقاد فليس مشركا ولا كافرا عند الشيخ وان أتي بكل ما يؤتى وفعل جميع ما يفعل وهذه مقالة لا يقولها انس ولا جان ولا يسلمها صالح ولا شيطان إذ تقتضي ان من سجد للاصنام وصلى وقرب لها القرابين وخضع لها تمام الخضوع وخافها منتهى الخوف ولو بال على المصحف وفي الكعبة وقتل الانبياء لم يكفر ولم يشرك مادام مستمسكا بالعروة الوثقى عند الشيخ وهي افراد الله بالخلق . ولعله اذا سمع هـذا الالزام هو ومن يتعصب له يراني متجانفا في الحكم ولا والله لا جنف ولا مبالغة . فهو مؤدى عبارته ، فأن قوله لا يكفر الا اذا اعتقد الايجاد والخلق بغير الله منتج ما اقول . فان « لا » اذا ادخلت على الفعل تسلطت على ماهية المصدر المشتق منه الفعل فنفتها ويكون حكمها حكمها لو دخلت على المصدر وقلت مثلا لا كفر اولا حصل كفر ولا شرك تفيد نفي الماهية . ومن هنا قال علماء العربية: إن النفي في الفعل كالنفي في النكرة، أي في افادة العموم وقالوا نفي النكرة عام كنفي الفعل . وكذلك الاثبات في الفعل كالنكرة في الاثبات من جهة عدم العموم

فمنه نأخذ أن قوله لا يكفر متسلط على ماهية الكفر كلها وسالبها في كل وقت ومن كل احد الا في حالة وجود المستثني .وهو اعتقاد المشاركة لله في الخلق والايجاد . ونحن نعرف أنه لا يريد هذه اللزومات، ولكن تفانيه في حب الانتصار، واستهتاره في حرب الوهابيين الموحدين أوقعه هذه الوقعة الداكة أضلاعه (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد)

(القاعدة الثانية) أن من اعتقد الايجاد والخلق لأحد ما غير الله كفر وبرىء من الاسلام ، وقد اكده مرارا

قال بعد ذلك بقليل فانه ان اعتقد الايجاد والخلق لغير الله كفر. وقال ايضا بعده والا لم يكن مؤمنا ـ ثبت ذلك تثبيتا أزال الشك واحتمال السهو والمجاز في عبارته . ولا ريب ان هـذا اخراج لاغلب المسلمين عن الاسلام . فالمعتزلة يرون كافة أن العباد خالقون لافعالهم. وكثير من أئمة اهل السنة كما سبق يعتقدون بعض الايجاد لغير الله كامام الحرمين وابي بكر الباقلاني وغيرهما وأئمة اهل الحديث طرا. والأئمة الاربعة وجميع الصحابة ومن قضي اثرهم يرون العباد فاعلين حقيقة لا مجازا . وقد ذكر ذلك البخارى وغيره من الأئمة . ولا فرق عند صاحبنا بين الايجاد والفعل والخلق، بل العامة قاطبة من أشعرية وماتريدية ومعتزلة ومحدثين ـ مالم يلقنوا هذا المذهب تلقينا ـ معتقدون ذلك ،ولا يمكن ابدا ان يفهموا الكسب الذين يريده، والذى عجز عن تحقيقه فحول العلماء وفلاسفة الاشعرية المنتصرين للشيخ ابي الحسن الاشعرى

وقد كفر الكاتب هؤلاء جميعا ، ثم بعـد ذلك يصيح وينوح ويقول: ان الوهابين كفروا المسلمين

فيا أيها الشيخ اللائم بما فيه المعنف علي ما هو به اخلق ، لقد قتلت نفسك بنفسك وبحثت عن حتفك بظلفك ، واظهرت عيبا كان مستورا ، وجهلا كان

مقبوراء عسي أن ترجع عن انحرافك بعد أن ترى مافي كلامك من التناقض والتهافت

ويالله العجب!! من اين اخذ ان اعتقاد الايجاد لغير الله كفر؟ امن قول (اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه) ام من قوله (وتخلقون إفكا؟) (تبارك الله أحسن الخالقين) (ان الله عليم بما يصنعون) (يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل) (اعملوا ما شئتم) (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) (وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم) وقول الحديث «ومن الظلم ممن ذهب يخلق كخلقه» «لعن الله من غير منار الارض» «لعن الله من آوى محدثا» «كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» «من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد»

وقوله: وانت تعلم ان غاية مايعتقد الناس في الاموات انهم مسببون ومكتسبون الخ

مقالة من لم ير الوجود ولم يوجد في العالم فانت لو ذهبت الى الطائفين المقامات الكبرى كمقام السيد الحسين والسيدة زينب والامام الشافعي واحمد البدوى وغيرهم، وسألت الطائفين بها العاكفين عليها أو نظرتهم فقط لعلمت يقينا -ان كنت ذا علم- انهم يعتقدون لهم التصرف المطلق والقدرة التامة، وايجاد ما يريدون، بل خلق ما يريدون، ولا يفهمون هذا التسبب الذى تقول والاكتساب، بل انت لا تدريه وقد سبق من كلامك الذى نسيته ان الموتي يغيثون ويصرخون مستصرخهم ويعطون سائلهم، فكيف تقول هذه المقالة وتشبيههم بالاحياء سبق إبطاله؟

واغرب من ذلك كله قوله: إذلا يعقل ان يعتقد فيهم الناس اكثر من الاحياء. وهذا ناقض كلامه الغابر، إذ قال ان قدرة الاموات اكمل واعم وانهم اقدر واعلم

فاذاً قد اعتقد مالا يعقل، او قال ما لا يعقل، لامخرج له من الداهيتين، وكأنه يرى القلم عنه مرفوعا لالوم في ان يعتقد مالا يعقل ويقول مالا يعقل. أليست عبارتك أيها الشيخ بنصها وفصها وغثها ورثها هي: لاشك ان الارواح لها من الاطلاق والحرية أن تجيب من يناديها وتغيث من يستغيث بها كالاحياء سواء بل اشد وأعظم.

أوماقلت في الاموات: بل الشعور فيهم اعم وأتم ؟ وقلت كثيراً: ان الاموات أقدر وأقوى من الاحياء ، لخلوصهم من عوائق البدن وحجب الشهوات ؟ . أصبت والله بالتناقض أوالنسيان والافتتان . ثم كونه لايعقل يقتضي انه لم يقع ولا يقع ، ومن قال ان مالايعقل لايقع؟ وأكثر الناس لايعقلون (ولكن اكثر الناس لايعلمون — وأكثرهم لا يعقلون — وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا)

وانما العقل أن نعتقد ندرة العقل ، وان العجب أن يوجد ما يوافق العقل ، فكلام هذا الرجل كله منتقد مرذول لايصح منه شيء إلا «لااله الا الله» وقد حرفها

ثم قال بعد ذلك : ولا نزال نكرر على مسامعك انه لايعقل أن يعتقد الناس في الاموات اكثر مما يثبت في الحي ، فيثبت الافعال للحي على سبيل التسبب ويثبتها للميت على سبيل التاثير الذاتي والايجاد الحقيقي ، ولا شك ان هذا مما لايعقل ، فغاية امر هذا المستغيث بالميت - بعد كل تنزل - ان يكون كمن يطلب العون من مقعد غير عالم انه مقعد ، ومن يستطيع ان يقول ان ذلك شرك . على أن التسبب مقدور للميت ، وفي امكانه أن يكتسبه كالحي بالدعاء لنا ، فان الارواح تدعو لاقاربها كما في الحديث الشريف «إذا بلغهم عنه مايسوءهم فيقولون اللهم راجع بهم أو لا تمتهم حتى تهديهم » بل الارواح يمكنها بنفسها كالاحياء ، ويمكنها ان تلهمك وترشدك كالملائكة ، الى غير ذلك مما شرحناه ، وكثيراً ما انتفع الناس برؤية الارواح في المنام ، ولعلنا نعود اليه .اه

قوله : لانزال نكرر على مسامعك الخ هي اصدق كلمة قالها الكاتب على مسامعنا حتى حمدنا الصمم ، ومدحنا البكم ، وذممنا القول ، فهل تجد مندوحة - جازاك الله - أن تعفيني من تكرارك وإقفالك وإصدارك وما لديك الا الاعادة ، بلا نفع ولا إفادة . وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً او ليصمت » وما بعد ذلك سلف القول فيه ، وانه رأي عقيم فلا نكرر كما كرر ، ونسأم مثل ما أسأم

وأما الاعتراض الذي اورده من سؤال المقعد الذي خال انه به قد اقعد اعداءه وأسكتهم وما هو إلا إلزام مقعد ، وكأنه لما ظفر به ظفر بكتاب اليمين ، او برضا رب العالمين ، وهو في الحق لا يقال ولا يحكى لولا الحاجة إلى نقله لدحضه وما هو قمين ان يفخر به ، ولا ان يفرح لاجله ، ولكن

على قدر اهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم
فتكبر في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظائم

وان الكلاب لتفرح بالجيفة، والذباب بالارجاس (والميكروبات) ذي القيح والصديد

والجواب على هذا الاعتراض من وجوه :

(الاول) لانسلم المساواة والاتفاق بين المقعد والميت في سؤالهما ، فسؤال الميت اخبث وأشر وأشط عن المعقول والمنقول ، لان الميت (اولا) لا يسمع (وثانيا) لايفهم (وثالثا) لا يتكلم (ورابعا) لا يتحرك (وخامسا) لايرى، بخلاف المقعد فانه يستطيع هذه الامور ، فيمكن ان يجيب ويأمر من يجيب طلب السائل

(الثاني) في دعوة الميت من الخشية على العقيدة ما ليس في دعوة المقعد ، إذ دعوة الميت مورد الغلو والعبادة له وليس كذلك المقعد ، فما رأينا ولا رأى التاريخ ان مقعداً عبد ، وأما الاموات فقد عبدت كاللات والمسيح وعزير ويعوق ويغوث ونسراً ووداً ومريم والسيد الحسين والسيدة زينب والامام الشافعي وغير هؤلاء قديما وحديثا ، وكم وكم ، مما دهى وطم ، فلا تصح المقايسة بينهما والفرق عظيم

(الثالث) المقعد وأمثاله من الاحياء قليل ونادر بالنسبة إلى الميت ، والاصل في الاحياء اللباقة بأن يدعوا ويسئلوا ، والميت بالعكس

(الرابع) العاجزون من الاحياء كالمقعد وأضرابه يشق الاحتياط من دعوتهم إذ الانسان مدني بالطبع لا يمكنه الاستغناء عن الاناسي الاحياء ، فاذا كان الامر كذلك فاما ان نقول لا تصح دعوة الاحياء مطلقا ، وهذا باطل محرج للامة ، أو

فقول تصح بعد تحقق القدرة ممن يسئل وقبل التحقق لا تصح ، وفي ذلك من المشقة والاعنات ماياً باه الشرع الرحيم ، فلم يبق إلا القول بصحة دعوة الاحياء وإزالة التضييق عنها في الامور المقدورة في العادة وعند توفر الاسباب الظاهرة المعتادة، وهذا التقسيم لايلزم في الميت

(الخامس) دعوة الميت تتضمن الخشوع والخضوع والرهبة والرغبة والذل والمسكنة ظاهرا وباطنا بأبلغ معانيها، كما هو الواقع. وهذه الامور هي قلب العبادة ولبابها، واما دعوة المقعد فلا تستلزم ذلك

(السادس) دعوة الاموات توجب الاعتقاد فيهم زيادة علي ما هم عليه وعنحهم مالا يستحقون ، ولهذا ترى المعتادين دعوتهم يعتقدون اوبعضهم انهم لايخفى عليهم شيء من العالم ومن احوالهم، قربوا ام بعدوا ،اخفوا ام أعلنوا، فيمتلئون منهم خوفا ويراقبونهم أشد المراقبة، وترى كثيرا منهم يقسم بالله كاذبا ولايجرأ ان يقسم بالولى الميت المعتقد عنده كاذبا وينتهك حرمات الله غير مبال، وان فعل مايوهم انه يغضب الميت يبقي فزعا متوقيا الشر مستعدا لنزوله، فيراه في نومه خيالا وانه جاءه بصورة مفزعة بشعة هائلة، كاسد أوفيل اوجمل صائل. وسببه كثرة الخوف واحضار ذكره ومراقبته أمره وهذا افضل العبادة وأعمها، ولا شيء من ذلك ينجم من دعوة المقعد فالتسوية بينهما غاية الحمق والبعد عن معرفة النفوس ودرس الطبائع

(السابع) في دعوة الاموات يتسلط الشيطان ، ويتوصل الى ايقاع الناس في المحذور والعقائد الضالة الزائغة يخرج في زى الميت الصالح الذى يدعونه ويقول انا فلان الشيخ ،وانا الولى المقبور في جهة كذا. وكثيرا مايحصل ذلك، وكم ترتب عليه من المصائب واحلال الحرام وتحريم الحلال. وترى اغلب العامة وكثيرا من العلماء اشباه العامة يرون للولى الواحد اجساما كثيرة، ويعتقدون له تشكلات عديدة

وهذا باطل ببديهة العقل إذ الذات الواحدة لا تكون في زمن واحد في مكانين يعرف هـذا بالضرورة ولهذا لو خاطبت العامي في ذلك لادركه بسرعة واحاط ببطلانه وهذا منشؤه تمثل الشيطان كما قال تعالى (قل هل انبئكم على من تنزل الشياطين ؟ تنزل على كل افاك أثيم) واكثر ارباب القبور اليوم افاكون أثيمون ، وقال (الم تر أنا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا) الأز : هو الدفع بشدة ولاشيء من ذلك في دعوة المقعد

(الثامن) في دعوة الموتى ما نراه الآن من فشو المنكرات وكثرة الموبقات المضادة للاديان جميعاً من اختلاط الرجال بالنساء وخروجهن من بيوتهن بغير محرم ومايصحبه مما لايذكر ، وكم قد ألصقن ابنا بغير رحمه ، وورثنه غير ماله ، وحرمن طفلا من ماله ، وكم فرقن بين المرء وزوجه ، وماممه من بناء القباب عليها وايقاد السرج وتجصيصها و كسوتها وزينتها وسدانتها وجميع هذا قبيح مزجور عنه

(التاسع) في دعوة الاموات ذلة ومهانة وإهلاك للنفوس الحية ومنع للميتة من أن تكون حية ، وتعودها الجبن والافتقار الى العاجزين إذا دعا الحي الميت مع العلم تعود الرضا بالحطة والهوان أنه ميت وشعر بافتقاره وهو قبيح في العقل والشرع

(العاشر) يقال لا يصح قياس دعوة الميت على دعوة المقعد حتي تعلم عدم الفارق بينهما ومن أين علمت عدمه ؟ اذ قد يكون ثم فوارق لم تعلمها

(الحادى عشر) يقال أعداؤك أقاموا الدليل ان الدعاء والاستغاثة عبادة . وصرف العبادة لغير الله شرك ، اما في الاحياء العاجزين كالمقعد وامثاله ، فقد اجمعنا وعلمنا بالضرورة من الدين أنه ليس شركا ولا كفرا واما الاموات فيبقون علي الاصل ، وان صرف العبادة اليهم شرك حتي توافي بالدليل علي استثناء دعوتهم وما أتاه

(الثاني عشر) جواب معارضته ، وهو ان يقال : ما تقول فيمن اعتقد في ولي من الاولياء أو عالم من العلماء ، كالشافعي مثلا ، بأن الله اعطاه التصرف المطلق

يحيي من شاء ويميت من شاء ، ويدخل الجنة من أحب والنار من أبغض

فان قلت يكفر فقد خالفت وتناقضت وحبط اعتراضك . وان قلت لا يكفر ولا يضل فقد كابرت وخالفت ، واضحت مكابرتك سلاحا لخصومك يصولون عليك به ، ونفر عنك احبابك ان كان لك احباب

ويقال ثانيا: ما تقول في رجل اعتقد في فرعون الصلاح والتقوي وانه في الجنة؟ فان قلت كافر فقد مات اعتراضك . وان قلت لا يكفر ولا يزيغ فقد جاهرت بالمكابرة للخاص والعام

ويقال ثالثا: ماتقول في الذي يري في رجل في العصر الحاضر انه مرسل من عند الله موحي اليه ؟ فان قلت لا يكفر فقد فرقت الاجماع وكذبت القرآن والحديث . وان قلت يكفر قيل ما السبب في كفره ؟ وما الدليل عليه ؟ فان قلت لانه اعتقد فيه ما ليس له، فقد ضاع الزامك ومات خصامك. وان قلت لانه كذب القرآن والاحاديث الناصة ان باب النبوة قد قفل. قلنا الادلة الدالة على عدم صحة دعوة الاموات اظهر واوضح من ادلة انقطاع الرسالة

وبالجملة اعتراضه هذا من اهجن مايقال واحقر ما يتصور ـ وان زعمه قويا قاهرا ـ فكما حكى الله عن السحرة (فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون*فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف مايأفكون)

وإنا اقوم ما اميلت وجوهنا الى ممشر ، الا غدا الميت والنهي
فلا عائذ منا معاذا بنجوة ولا هارب الا الينا بغى الدربا

***

قوله : على ان التسبب مقدور للميت وفي امكانه ان يكتسبه في الدعاء كالحي الخ

دعوى كاذبة مكررة لا برهان عليها وقد سبق امثالها كثيرا . ولو ثبتت لم تفد للمطلوب كما تقدم

واما الحديث الذي جاء به فلا يقبل ولا يحتج به حتى يبين صحته. ومجرد اتيانه به ليس حجة ولا شبه حجة ، فالاستدلال به ساقط ولا سيما في مسئلة التوحيد فضلا عن انه لم يبين من رواه من المحدثين

ثم يقال لو كان الحديث صحيحا ما كان دالا على الدعوى ، إذ غاية ما فيه انهم يقولون تلك المقالة بعد ان يبلغوا ما ذكر ، وهذا لا يكفي في جواز دعوتهم والتوسل بهم ، وهل هو آخذ له من كونهم يفهمون ويشعرون ؟ لا يصح أن يكون الجواز ان المسموع لهم هذا فقط لا غير وانهم لو سمعوا لا يفهمون ولو فهموا لا يجيبون، ولو اجابوا لما دلت الاجابة على الجواز كما مضى مرارا

وقوله بعد بل الارواح يمكنها المعاونة بنفسها كالاحياء ، ويمكنها ان تلهمك وترشدك الخ قول كاقواله السابقة معاد مباد، لا عدة ولا عتاد، ولا عمد ولا اسناد فليترك بلا احترام ولا احماد

وقوله : وكثيرا ما انتفع الناس برؤيا الارواح في المنام

قول في غاية الحسن والابداع ، لقد تسفل غاية التسفل حتى رجع الى الاستدلال بالرؤي المنامية (إن الاماني والاحلام تضاليل) وهذا في منتهى الحكمة والفلسفة ومارأينا احداً ـ وطالما رأينا ـ ولاسمعنا ـ وكثر ماسمعنا ـ انه نام اعمي فاصبح بصيرا ، ورقد فقيرا فاسفر ثريا ، لأنه رأى وليا في النوم فرد له بصره وابعد عنه فقره ، هب حصول ذلك ولكن من نبأك أن السبب هو رؤية الارواح ؟ يجوز أن الله فعله ولا سبب له سوى ارادته الاحسان والرحمة لعباده، أوله سبب غير ماذكر

ويقال ايضاً هب ان سببه رؤية الارواح ، ولكن الشأن في كونه حسنا ولطفا بالعبد إذ يجوز انه فتنة ونقمة وهبه ليس كذلك، ولكن كيف دل على جواز دعوة الارواح والاستغاثة بهم ؟

قوله : ولعلنا نعود اليه

ونحن نقول : العود لنا أحمد (وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا)

فصل

واني اوجه الى هذا الشيخ المتبجح ، المتميز غيظاً و كبراً، المتدفق ذهواً وفخراً سؤالا لا يمكنه منه النجاة ، الا أن يرجع الينا ويقول : الاناة الاناة (واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) وألزمه إلزاما يكون عذابه عليه لزاما ، إلا أن يرجع ويقول: السلاما السلاما

وهو أن يقال له : ما الشرك الذي نهى القرآن عنه وجعل الآتي به مخلدا في جهنم أبداً ؟ فان قال: هو أن تصرف شيئا من العبادة لغير الله، أي بأن تعبد الله وغيره ؟قيل وما العبادة التي اذا جعلت بين الله وغيره كانت شركا وكفراً ؟

فان قال: هو أن تعتقد أن مع الله خالقا آخر وموجداً ثانيا

قيل أولا . هذا ليس هو مدلول العبادة ولا معناها باتفاق أصحاب اللسان . ويقال ثانيا يلزمك أن العبد لا يكون مشركا حتى يعتقد مشاركة غير الله في الخلق والايجاد ، ولو سجد للاوثان والاصنام، وصلى لها وصام ، وعمل كل جريمة وآثام، ونذر وذبح للاولياء وعمل كل مايعمل غير اعتقاد الخالقية لغير الله . ولا توقف في بطلان ذلك عند كل أحد

ويقال ايضا ليس هذا تفسير لااله الا الله التي جاءت الرسل بها . وجعلتها المفرقة بين المسلم والـكافر

وان قال زيادة على ما ذكر ـ وهو ايضا ان تصرف شيئا مما يسمى عبادة في اللغة لغير الله ؟ قيل هـذا أولا هادم مذهبك وحصنك الذي تلجأ اليه ، اذا قيل ان هؤلاء كفروا وعملوا اعمالا مخرجة من الاسلام . قلت منكرا معظما ذلك بصوت يزازل الارض ، كيف يكفرون وهم يفردون الله بالخلق والايجاد ؟ ومبطل قولك السابق ايضا ان المستغيث لا يكفر حتى يعتقد المشاركة في الخلق والايجاد

ويقال ايضا :هذا مفسد لدعوة الاموات جملة لان الدعاء والاستغاثة يسميان

عبادة ،ويكون حينئذ اعتراضك السابق واقعا عليك . فان قال لا يكفر الا اذا صرف العبادة لغير الله واعتقد انها عبادة فان لم يعتقد انها عبادة لم يكفر

قيل هذا باطل باتفاق أهل المعرفة بل والجهلة

ويقال ثانيا عليه لو سجد العبد لغير الله وصلى وصام ونوى بها الحب والقربة لا العبادة لم يكفر وان قال ان الدعاء ليس عبادة ولا الاستغاثة . قيل له وكذلك السجود والركوع ليسا عبادة . وان قال إن من سجد لله وركع قيل له عبد الله . قلنا وكذا من دعا لله واستغاث به يقال عبد الله

وان قال: الدليل ان الدعاء والاستغاثة ليسا عبادة انه يجوز صرفهما للاحياء بالاتفاق ولو كان عبادة ماجاز بالمرة .

قيل له اولا ـ هذا لاوجه له بعد اثبات انه يسمى في اللغة والشرع عبادة

ويقال ثانيا ـ والسجود ليس عبادة، والدليل على انه ليس عبادة سجود اولاد يعقوب وأبيهم ليوسف عليهم السلام ، وسجود الملائكة لآدم ، فلو كان عبادة ماجاز صرفه لغير الله. والدليل أيضا على ان السجود ليس عبادة انه وضع الجبهة على الارض ، والانحناء من معانيها. وقد يجوز ان يفعل ذلك الانسان لمخلوق لغرض من الاغراض وان يضع جبهته في الارض ، كأن يريد أن يريه شيئا أو يحمل له امراً ولو كان عبادة لما جاز

وان قال سجود اولاد يعقوب والملائكة خاص بهم قلنا وكذا الدعوة والاستغاثة خاصان بالاحياء. وان قال بعض العبادة صرفها لغير الله شرك وبعضها ليس كذلك وصرف الدعاء لغيره تعالى ليس شركا وصرف السجود شرك، قيل: وما الدليل على هذه المقالة وما هي الا محض تحكم ويمكننا عكسها

وان قال الدليل عليها جواز أن تدعو الاحياء وتسألهم وهو يفيد أن صرفه للمخلوق غير شرك قلنا ـ أولا ـ جعله في الاحياء ليس شركا مع انه في الاصل عبادة

لا يدل على ان صرفه الى الاموات ليس شركا لجواز ان يكون في هؤلاء شرك وفي غيرهم ليس شركا .

ويقال ـ ثانيا ـ والسجود والركوع من الامور التي صرفها للمخلوق ليس عبادة ولا شركا ، ودليله ما تقدم من سجود الملائكة وأولاد يعقوب وما قدمته من الامثلة المضروبة

ويقال ـ ايضا ـ الدعاء عبادة ام ليس عبادة؟ فان قال عبادة، قيل له اليست العبادة يجب صرفها كلها لله وان صرف شيء منها لغيره شرك. فان قال نعم الامر كما ذكرت قيل له ثبت قول اعدائك ان دعوة الاموات شرك. وان قال لا اوافق ان العبادة يتحتم صرفها لله. قيل هذا مع مخالفته للاجماع والضرورة الدينية والنصوص القرآنية كقوله تعالى (وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه ـ امر لا تعبدوا الا اياه ـ ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون ـ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ ـ فاعبد الله مخلصا له الدين الا لله الدين الخالص ـ وما أمروا الا ليعبد الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون) مع مخالفته هذه المخالفة يمكن أن يقال كذا السجود والركوع والصلاة والصيام وغيرها من اركان الدين لعلها من العبادة التي صرفها لغير الله لا يكون شركا . ولا يقال في الدعاء والاستغاثه تأويلا ومخرجا الا قيل في السجود والركوع وسائر ما سبق كذلك . وان قال لا اسلم ان الدعاء عبادة . قلنا وكذا لا نسلم ان السجود عبادة . فان قال هذا خلاف الاجماع قيل وقولك خلاف الاجماع

وان قال ان من سجد لله يقال له عبد الله باتفاق اهل اللسان والمسلمين. قلنا وايضا من دعا الله واستغاث به يقال انه عبد الله بالاتفاق . وان قال ان السجود امر القرآن به. قلنا أمره بالدعاء أكثر وكذا الى غير نهاية حتي يرجع الى الحق. ويقال ايضا له ما العبادة؟ فان قال هي افراد الله بالخالقية والايجاد، قيل هذا باطل من وجوه:

﴿ الاول ﴾ ان المشركين العرب وغيرهم كانوا مقرين او اكثرهم بافراد الله بالخلق والايجاد ومعه كانوا عابدين للاصنام مشركين

﴿ الثاني ﴾ هذا يقتضي اكفار المعتزلة وأغلب المسلمين وهو غير سديد

﴿ الثالث ﴾ انه خلاف ماقالت كتب اللغة التى نزل القرآن بها فليس هناك عالم لغوي فسر العبادة بهذ التفسير

﴿ الرابع ﴾ ان من صلى لله وصام وحج وعمل الاعمال البدنية يقال له عبدالله والاصل في الاطلاق الحقيقة

﴿ الخامس ﴾ من اعتقد وجود الله وانه خالق كل شيء ولكن لم يعمل خيرا قط لا يقال انه يعبد الله ولا عابده

﴿ السادس ﴾ هذا خلاف الحديث الصحيح القائل «الدعاء مخ العبادة» والرواية الاخرى « الدعاء هو العبادة»

﴿ السابع ﴾ انه يقتضي ان كل من افرد الله بالخلق لا يكون مشركا مهما عمل، ولا يخفي فساده

﴿ الثامن ﴾ هذا خلاف تفسير المفسرين الآيات النازلة في الامر بالعبادة، كقوله تعالى (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) (فاعبد الله مخلصا له الدين) (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا) فانهم يفسرونها بالصلاة والصيام والخضوع والخشوع وامثاله

﴿ التاسع ﴾ لو كان كذلك لما كان لقوله (ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم) واشباهها من الآيات المفيدة أنهم يعبدون الاصنام معنى . ولو كانت العبادة هي افراد المعبود بالخلق لما صح اطلاق العبادة علي افعال المشركين في اصنامهم، فانه معلوم بالضرورة انهم ما أفردوهم بالخلق والايجاد وما رأوا انه لاخالق الاهم

﴿ العاشر ﴾ لو كان الامر كذلك كان قوله تعالى آمرا رسوله (واعبد ربك) تأكيدا والاصل في الالفاظ أن تكون للتأسيس . وإن كان غير ذلك في تعريفه

العبادة وتفسيرها. فاما ان يقول هي كل مايتقرب به الى الله تعالى ويقصد به قلنا وهل يتقرب اليه بالدعاء؟ فلا محالة سيقول نعم يتقرب اليه بالدعاء قلنا وهل يجوز صرف شيء من العبادة الى غير الله ؟ فان قال يسوغ .قلنا خالفت الدين أجمع

(ثانيا)هذا الشيء الذي يسوغ صرفه ممدود محصور معين، ام ليس كذلك؟ فان اختار الاول قلنا أين هذا المعين المحصور؟ وما الدليل على حده وحصره؟ وهلم جرا فلا يقول شيئا الا قيل له فيا يحرمه مثله حتي يعود الى السكوت والحصر

وان قال ذلك غير معين ولا ممدود بل يجوز في كل جزء من العبادة صرفه لغير الله، كان من ابطل الباطلات وابعد المستحيلات، وإن قال في تعريف العبادة هو مالا يصح صرفه لغير الله لا في الدنيا ولا في الاخرى.

قيل أولا ، لا دليل عليه لا من شرع ولا لسان. وما كان كذلك لا يلتفت اليه.

ويقال ثانيا هذا يقضي باخراج كل العبادات اوا كثرها عن كونها عبادات. فان السجود مثلا جاء فعله في الدنيا لغير الله كما تقدم . وكذا الحج يكون غير عبادة ،والقيام في الصلاة غير عبادة ،ودعاء الله غير عبادته، والتسبيح والتهليل غير عبادة لان هذا الامور قد تكون لغير الله بالجملة ، كما يقام للرجل القادم والزائر وامثالها،وتحج ايضا للحاجة ـ والحج هو القصد في الاصل ـ وللاحباب ،وتذبح لهم، ونقدس اخلاقهم واعراضهم من الريبة، فلم يبق الان يقول الدعاء هو الذى ليس عبادة فقط. وان كان عبادة وصح الحاقه بها فلا عبادة يجوز صرفها للخلق وهذا مثل لمناقشته والزامه وابطال مقاله . فان عقله صاحبنا رجع الينا ونفض يديه من دعوة الاموات والاستغاثة بالاجداث وقال الحمدلله الذى هدانا لهذا وماكنا لنهتدي لولا ان هدانا الله والله اعلم

الباب الرابع

﴿ فيما احتج به الشيخ من أقوال العلماء ﴾

قول ابن قدامة الحنبلي

قال الشيخ ابن قدامة - في المغني في زيارة النبي ﷺ - تأتي القبر فتولي ظهرك القبلة وتستقبل وسطه، وتقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا نبي الله ويا خيرته من خلقه — إلى أن قال — اللهم اجز عنا نبينا أفضل ما جزيت به أحداً من النبيين والمرسلين، وابعثه المقام المحمود الذي وعدته، الذي يغبطه به الاولون والآخرون — إلى أن قال — اللهم انك قلت وقولك الحق (ولو انهم إذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) وقد اتيتك مستغفراً من ذنوبي، مستشفعاً بك إلى ربي . اه

(قال الدجوي) فانظر إلى استشفاعه به في قبره الذي يحرمه الوهابيون (الحنابلة) وأظن انهم لايجرءون على التفرقة بين الاستشفاع والتوسل، وان كنا لا نستبعد منهم ما يعقل وما لا يعقل . الى آخر سبه واقذاعه

والجواب على كلامه من وجوه :

﴿ الاول ﴾ إما ان تكون إماماً مجتهداً تأخذ بالدليل الذي تستنبطه أنت، وإما ان تكون مقلداً تقاد صاغراً الى التحليل والتحريم . فان كنت الاول - وما إخالك - فلا يصح لك ان تستدل بقول إمام مجتهد مثلك، بل يجب عليك البيان والبرهان . وان كنت الثاني - وهو الواقع - فاما ان تكون مقلداً كل إمام وعالم، وإما ان تكون مقلداً اماماً واحداً من الأئمة الاربعة أو غيرهم، فان كنت الاول لزمك التناقض والتهافت والجمع بين الضدين . لان ابن قدامة الحنبلي قال

مثلا بجواز الوسيلة، وقال ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الهادي وابن عقيل (الحنابلة) لا تجوز الوسيلة ، فبأي قول عالم تاخذ ؟

وأيضاً ـ على كونك مقلداً لكل إمام ـ يلزمك أن تأخذ بما قال ابن تيمية وابن القيم وابن عقيل وابن عبد الهادي ،إذ هم أئمة وقد قالوا بمنع الوسيلة. وأما إن كنت الرجل الثاني ، وانك مقلد إماماً واحداً فحسب ، فاما ان يكون ابن قدامة اوغيره من الأئمة الاربعة اوغيرهم ، فان كان الاول وما اظنه فاما ان تكون مقلداً له في كل شيء وإما أن تكون مقلداً له في بعض الاشياء ، فان كان الاول فهل قال لك : ان المجتهدين الآخرين والتابعين لهم إذا خالفوني فهم مخطئون يجب الرد عليهم ومحاربتهم ؟ مطلوب منك الدليل على قوله

وأيضا إذا كنت مقلداً له في كل شيء وجب عليك أن تعتقد ان الله تعالى فوق العرش بذاته فان ابن قدامة قائل بذلك ، وقائل أيضا ان الحوادث تقوم بذات الباري ، وقائل ان كلام الله بحرف وصوت ، وينزل بذاته الى السماء الدنيا كل ليلة ويجيء ويتكلم ويقرب بذاته ويبعد ـ الى غير ذلك من العقائد التي جاءت بها السور القرآنية والاحاديث ، وتقبلها ابن قدامة بقبول حسن

وأما ان كنت مقلداً له في بعض الامور خالفت وتناقضت وطولبت بالدليل على التفصيل ، وما يصح فيه التقليد وما لا يصح ،أويجب أو يحرم . وأما ان كنت مقلداً لغير الشيخ ابن قدامة ـ واحداً من الأئمة الاربعة اوغيرهم ـ فقد بطل استدلالك مرة ، ولم تنل الا التعب والحرب والغضب ـ الا ان تقول ان الأئمة متفقون فقول ابن قدامة مثلا عبارة عن قولهم أجمعين، فيقال لك مع بطلانه : نبؤني بعلم ان كنتم صادقين . ويقال أيضاً :اذاً قول ابن تيمية وابن القيم وصاحب الصارم المنكي المحرمين للتوسل هوقول العلماء كافة

مابقي في يديك الا ان تقول : أريد ان أبطل كلام الوهابيين بقول الحنابلة

لانهم يزعمون انهم حنابلة . فيقال : خاب أملك ، وحبط عملك، ورجعت بلاشيء وساءت لك العقبى ، ويكون كلامك اذاً قاصراً على من هو حنبلي ولا يبطل التوسل عليا ، ولا ينفع لدى المدعين الاجتهاد من الوهابيين وغيرهم ، وكذا لا ينفع المانعين الوسيلة من أرباب المذاهب الاخرى . ويقال أيضا لا ينفعك هذا حتى عند الوهابيين كلهم ، لانهم اما ان يقولوا نحن مجتهدون نأخذ الاحكام من القرآن والحديث لا نقلد إماماً معيناً ، أو يقولوا إنا مقلدون . فان قالوا الاول بطل كلامك، واستدلالك بقول ابن قدامة لا ينفعك في الدنيا ولا يوم الدين ، وإن قالوا الثاني وانهم مقلدون فلا يفيدك أيضاً قول صاحب المغني، سواء قالوا إنا مقلدون احمد بن حنبل اوغيره . أما ان كانوا يقلدون الامام احمد فلهم أن يقولوا وجدنا ابن قدامة جاز التوسل وهو من أئمة الحنابلة ، ووجدنا شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الهادي وابن عقيل ومحمد بن عبد الوهاب منعوا الوسيلة ـ وهم من أئمة الحنابلة ـ فرجحنا قولهم على قول ابن قدامة، لانهم اكثر عدداً ، وأقوى عدداً ، وأمتن سندا . فظهر لنا ان هذا هو مذهب الحنابلة ، وهم أبعد عن الخطأ من ابن قدامة

وأما ان قالوا إنا مقلدون غير ابن حنبل كشيخ الاسلام ابن تيمية أو ابن القيم او ابن عبد الهادي او ابن عبد الوهاب فلا يكون لك معهم كلام

بقي عليك ان تقول : انهم مقلدون لابن قدامة . فيقال كلا كلا . ومن قال لك؟

وبقي لك أيضا إن تقول: يكفي رداً عليهم ان الكتاب الذي فيه هذا الكلام طبعه جلالة الملك ابن سعود ، وصححه الاستاذ المحقق العلامة السيد محمد رشيد رضا إمام عصره، ومحدث دهره ـ ليس بعيدا ان تفهم أن هذا راد عليهم وملزمهم الحجة ، وهو من أضعف مايقال ، وأوهن مايختلق ، فمن قال او يقول ان من طبع كتاباً لزمه ان يعمل بكل مافيه؟ لم نعلم قبل اليوم مثله، وهي الايام ولود للعجائب والغرائب

﴿ الجواب الثاني ﴾ نقول لانسلم أن قول ابن قدامة حجة ، فان كنت تراه

حجة،فهات برهانك فانه إما ان يكون مصيباً في الواقع او مخطئا ، فان كان مصيبا فلا يجب علي الاخذ بقوله حتى اراه حقا ، فان خالفته لانه قد بان عندي خلافه كنت معذوراً. أما ان كان مخطئا فأحر به وأجدر ان يرد

﴿الجواب الثالث﴾ إما ان تكون استدللت من كلام صاحب المغني بالسلام عليه ﷺ ومن زيارته ، او من مخاطبته او من ذينك معا : ان كان كذلك فجوابه قد سلف مستوفى . وان كنت أخذت من تلاوة الآية ، فلا يصح اذ يمكن ان يقال: تلا الآية تحسرا على الكافرين الذين لم يطيعوا أمره ، وتبيانا لفضله ومقامه عند ربه حتى ان الله علق غفران ذنوب العصاة على الذهاب لديه واستغفاره لهم وقت ان كان حيا . ويجوز انه يريد يارب جعلت العفو عن المذنبين مشروطا بالذهاب اليه واستغفاره في حياته ،وهذا غير ممكن الآن فألحق زيارة قبره في غفران الخطايا بزيارته حياً واستغفاره للمذنبين الجائين

مابقي الا قوله : وقد اتيتك مستغفراً من ذنوبي . وقوله : مستشفعاً بك الى ربي . أما الاول وهو قوله : قد أتيتك مستغفرا من ذنوبي،فيجوز انه يخاطب الله فان قلت : كيف يقول أتيتك وهو لم يأته ؟ قلت على حد قول ابراهيم خليل الرحمن (وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين)

وأما الجملة الثانية وهي قوله : مستشفعا بك الى ربي . فهي أقوى مالديه هنا، وهي غير صريحة اذ يحتمل أن قوله مستشفعا أي سأستشفع يوم القيامة ، على حد (ان اجل الله لآت ـ انما توعدون لآت ـ اتى امر الله)وغير ذلك، وغاية مافيه انه مجاز وأكثر اللغة مجاز . وقد قال جمع من الاصوليين وأهل اللسان : لا مجاز في القرآن ، بل قد نفاه بعضهم من اللغة فيكون حقيقة، والحامل الى المصير الى المجاز النصوص المفيدة ان الرسول ميت، وان الميت لا يدعى ولا يسمع ولا يجيب

ويجوز ان قوله : مستشفعا بك ، اي بايماني بك ، والمجاز بالحذف كثير ،

والقرينة على الادلة السابقة . أو أن الخطاب لله ،وقوله : مستشفعا بك أي بذاتك يارب . وقوله: إلى ربي. أي اليك يارب : التفت من الخطاب إلى الغيبة، وهو كثير

بقي أن يقال: كيف يصح الاستشفاع بالله، والاستشفاع لا يكون إلا من الدون إلى الأعلى ؟ قيل لا نكارة أن يستشفع بذات الله إلى الله، كما يلجأ من الله إلى الله ويفر من الله اليه ويعاذ به منه كما قال (وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا اليه) وكما في الحديث الصحيح « لا ملجأ ولا منجى منك إلا اليك » وفي الحديث الآخر « أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك» والحديث الاول في البخاري ومسلم، والثاني في مسلم فقط . وعلى هذا لا يكون في الضمائر اختلاف ولا تشويش، بل تكون كلها راجعة إلى الله ، والكلام قبله يدل عليه ، ولا يستبعد ذلك مع تأويل المعترض في قوله « ينزل ربنا إلى السماء الدنيا » بنزول رحمته وأمره. وقوله (ثم استوى على العرش) أي استولى ــ زاد حرفا ــ ومع قوله في قوله ﷺ للجارية « أين الله؟ » فقالت في السماء :أي أين رحمته وعظمته . ومع قوله في قوله (ولا تدع مع الله أحداً) أي ولا تعبدوا . وقوله (وما أنت بمسمع من في القبور ــ انك لا تسمع الموتى) المراد بهم الكفار . ومع قوله (وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر) ان الآية تفيد دعوة الاموات والاستعانة بهم. ومع قوله في قوله (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) انها تفيد دعوة الاموات. ومع قوله : ان الاموات كالاحياء سواء ، ومع قوله : ان العباد ليسوا فاعلين مطلقا . ومع قوله :ان الملائكة تدعى وتسئل وان تصرفها بغير آلة ولا مماسة . ومع قوله : ان الارواح تجيب سائلها وتشعر به تمام الشعور . ومع قوله : ان الاموات أعلم وأقدر من الاحياء . ومع قوله: انه لا يكفر العبد الا اذا اعتقد مع الله إلها آخر ، وغير ذلك من الامور التي تقشعر لهولها الابدان، ولا يصح أن يلفظ بها ، بل يحتم ان تلفظ وترفض

(والجواب الرابع) يجوز أن ابن قدامة يرى أن رسول الله ﷺ خاصة حي وانه يسمع ويجيب، بخلاف غيره كما قال به بعض الناس

(والجواب الخامس) لا يفيدك هذا إلا نوعا واحداً من أنواع التوسل الكثيرة التي تريد إثباتها والتي هي شرك اكبر تسمونه اسماء ما انزل الله بها من سلطان

كلام ابن القيم

ثم نقل كلام ابن القيم في كتاب الروح، ظانا انه يفيده ويرد له الروح. قال قال ابن القيم ان للروح المطلقة من اسر البدن وعلائقه وعوائقه في التصرف والقوة والنفاذ والهمة والسرعة وسرعة الصعود اليه تعالى والتعلق به ما ليس للروح المحبوسة المهينة في علائق البدن وعوائقه، بسبب انغماسها في شهواتها، فاذا كان هذا في عالم الحياة الارضية-وهي محبوسة في بدنه-فكيف اذا تجردت عنه وفارقته واجتمعت فيها قواها وكانت في أصل شأنها روحا عالية زكية كبيرة ذات همة عالية؟ فهذى لها بعد مفارقة البدن شأن آخر وفعل آخر. وقد تواردت الاحلام والرؤى في اصناف بني آدم على فعل الارواح بعد الموت افعالا لا تقدر على مثلها حال اتصالها بالبدن في هزيمة الجيوش الكثيرة بالواحد والفيالق بالعدد القليل جدا ونحو ذلك. وقد رؤى النبي ومعه أبو بكر وعمر في النوم قد هزمت أرواحهم عساكر الكفر والظلم، فاذا بجيوشهم مغلوبة مكسورة مع كثرة عددهم وضعف المؤمنين وقلتهم اه ما نقل عن الامام ابن القيم

(والجواب عليه) إما ان يكون كل كلام ابن القيم حجة أو ليس كذلك فان كان حجة قيل ان هذا هو الذي ألف كتاب الجيوش الاسلامية في الرد على المعطلة الجهمية الذى يحكم فيه ويقرر أن الله بذاته فوق العرش، وقد ابيت ان يكون حجة صوابا بل جعلته ضلالا وزيغا وقلت مرات: أن من يقرأ هذا الكتاب بامعان

يخرج مشبها مجسما. وابن القيم هو الذي الف كتاب الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة وقرر فيه ما لا يرضيك من اثبات العلو له تعالى والايمان بما في القرآن والحديث من الصفات لله تعالى، كاليدين، والعينين، والساق، والقدم، والذهاب، والاتيان، والصعود، والنزول، والضحك، والعجب، والاصابع، والجنب، والحب، والبغض، والرضا، والغضب، وان كلامه بحرف وصوت، وهو صاحب كتاب زاد المعاد ومدارج السالكين، وكتاب الداء والدواء، وكتاب شفاء العليل في القضاء والحكمة والتعليل التي يبطل فيها التوسل على نحو ما اثبت الشيخ واخوانه ابلغ إبطال ويقيم على هذا الابطال من الادلة ما لا قبل لك به، ولا لأبرع منك، ويبين ان دعوة الاموات من الشرك الاكبر الذى لا يغفره الله والذي يخلد صاحبه في النار ابدا، وهو صاحب الشافية الكافية في الانتصار للفرقة الناجية التي حرر فيها الاعتقاد الصحيح والذي تعتقده تجسيما وضلالا كبيرا. فما لك جعلت هذا حجة وذلك غير حجة؟ هذا ما لا يرضاه العادلون ولا يحمده المنصفون (إن يتبعون الا الظن وماتهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى، أم للانسان ما تمنى؟ فلله الآخرة والأولى) (وإن يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين. أفي قلوبهم مرض؟) واذا لم يكن كلام ابن القيم حجة فما لك احتججت بما ليس حجة؟

فان قلت حجة عليكم وليس حجة علينا، قلنا وعلام؟ هل لنا كتاب ولكم كتاب؟ إن قلت لأنكم مقلدون له دوننا، قلنا ليس كذلك، أمن تآليفنا أخذت أنا مقلدون له أم من ألسنتنا؟ لم يكن شيء من ذلك، وان قلت أخذته من انكم تحبون كتبه وتعدونه إماماً تتبعونه في كثير من قوله، قيل هذا أكبر مما تقدم كله، وأبعد عن المعرفة والصواب. ثم لو كنا مقلدين له لوجب علينا ان نحكم حكمه في التوسل، وان دعوة الاموات شرك، وما خالفناه في شيء من التوسل،

وعبارته هنا محتملة ، وأما في الكتب الاخرى فصريحة في موافقته لنا . وان قلت هو حجة فيما إذا كان موافقا للشرع . قيل إذاً عليك البيان في انه موافق هنا مخالف هناك ، وحينئذ تكون الحجة بالشرع لا بقوله

(الثاني) لا نصدق ماقال ابن القيم من حكمه على الارواح هذا الحكم الغالي، بل هو خبط وخرص منه ليس عليه اثارة من علم،ولا إشارة من حكم ،ولا آية من القرآن ولا حديث من الاخبار وهيهات أن نعتقد ان الارواح تهزم الجنود العظيمة الكثيرة غير مرئية، وما رأينا ولا سمعنا ان جيشا كافراً كان ام مؤمنا ،فاسقا ام صالحا هزم بغير أسباب ظاهرية كجيش مقاتل وأمثاله . ولا رأينا ولا سمعنا ان أحداً او أكثر في الحرب أو غيرها قطعت عنقه وجذت رجله أو يده ،او كلم جسمه او فقئت عينه من غير اسباب مباشرة منظورة ، فما للارواح إذا كانت قادرة هذه القدرة لاتفعل بالناس شيئا ، وما للارواح الصالحة الطاهرة الزاكية لاتدافع عن حريمها و بلادها ودينها إذا كانت مستطيعة ؟ أترونها مخاطبة بقوله (وتعاونوا على البر والتقوى) وقوله (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة) وقوله (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) وقوله (وإذ أخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) إذا كانوا مخاطبين فمالهم لايفعلون ؟ وان كانوا غير مخاطبين فما الذي استثناهم من هذه العمومات وجعلهم منها محللين ؟ وكيف يسوغ ان الرسول وأبا بكر وعمر في عصر من الاعصار هزموا الكفار أو أذلوا الفجار بعد موتهم ؟ في أي سفر من الاسفار رأيتم هذه الاخبار ؟ فعليكم بالعقل والاعتبار ، وأي تاريخ رواه لنا اوأشار اليه ؟ وإذا صح انه عليه السلام وأصحابه مباح لهم الفعل والقتال وهم قادرون، فما الذي قعد بهم عن الجهاد في سبيله والذود عن دينه ؟ وهذه الامة الاسلامية قد تمشى فيها الجهل تمشي الدم في الجسد ، والماء في الغصن ، والعدو قد أحاط بها إحاطة السوار

بالمعصم ، فما الرسول وأصحابه ومن بعدهم بعد موتهم لا يرشدونها ويهدونها سواء سبيلها ؟ ولا يدفعون عنها عدوها

﴿ الثالث ﴾ أن يقال ان ابن القيم حكى رؤيا منامية، وهل هو يراها حقا وصدقا ؟ يحتاج الى بحث حتى نعلم انه يرى المنامات حجة ولعله جاء بها على سبيل الاستشهاد على أمور كان يثبتها لا على ان تكون حجة، ولهذا لم يأخذ منه ابن القيم نفسه أن الارواح تدعى ويستغاث بها

﴿ الرابع ﴾ هب الامر على ماقال ، وان الارواح لها من القوة والنفاذ الى آخر ماذكر ، ولكن من اين استلزم ذلك صحة الاستغاثة بها ؟ هذا لا يلزم ، ولا يلزم ابن القيم فانه يصح لمن قال مقالته أن يمنع الاستغاثة بالاموات لامور :

(الاول) يمكن ان لها أفعالا دارجة عليها سواء طلب منها أم لم يطلب فالطلب لا تأثير له فيكون عبثاً ممنوعا

(الثاني) نحن وان فهمنا من الامور المذكورة للارواح انها قد تكون سبباً لأن يطلب منها ولكن السبب قد يتخلف وقد يكون له موانع أخرى ، فلعلها مع هذه القدرة إذا دعيت نجم منه مفاسد ومحرمات كثيرة كما نراه اليوم من المنكرات لدى قبور الصالحين والصالحات، التي يتفطر منها كبد الاسلام ، وما إخال الكاتب يماري فيما أقول . وكم تولد الموالد من الفحش والعهر والخبث والنكر . وطالما رأى الناس في المقابر وعلى الاضرحة من الزنا والفواحش ومقدماتها

وقد حدث كثير من الشبان وأولي الصبيان انهم لا يذهبون الى حفلات الموالد الا للصوق بالنسوان ، والنظر إلى وجوه الغلمان . وسمعت ذات يوم انسانا يروي لاصدقائه - مستنكراً مايروي متوجعا مما يدري - قال: كنت ذات يوم أسير بين الاضرحة المشيدة فسمعت قارئا يقرأ في بعض الحجر المبنية على الميت - يقول الراوي فسمعت صوت القاريء ليس معتادا ولا آخذا حركته المعهودة ، بل

إما قراءة سكران او مجنون او مصاب ، قال فأشرفت من بعض النوافذ وكان الباب مغلقا ، فرأيت القاريء عقد وقرن في الضريح بامرأة من الزائرات من غير وثيقة ولا شهود ولا ولي وان كان لها زوج حي مقيم في البيت فلا بأس بالجمع بين الرجلين على مذهب أرباب الاضرحة ورأي أصحاب القبور – وقد تبرع الشيخ المدفون وصار لها مأذونا وكأن صاحب المقام جازاه الله أجاز لهما التعريس في حجرته وبين يديه لتحصل لهما البركة ، وكان الزوج الكريم – مع هذا – يقرأ القرآن الحكيم ، في حال نزوه عليها كما هي سنة الافراح المتبعة

فانظر الى ماجر الافتتان بالقبور والتعلق بالارواح . وكم وكم من الحكايات التي لايقدر اليراع أن يمشي وسطها ، وعند عامة الناس وخاصة النساء من العقائد في الاموات شيء يبرأ منه كفار مكة ، ومشركو قوم نوح . فعلى هذا عل الاستغاثة بالاموات منعت وحرمت لما ينتج منها . ويقال أيضا : هب هذا ليس مؤثرا في المنع لكن يقال عسى أن تكون هناك موانع لم تعرفها فهل عندك دليل على نفيها؟

﴿ الثالث ﴾ لعلها مع ذلك لا تسمع مناديها إذ هي بعيدة عنا في السماء او في الجنة او عند الله فاذا دعوناها لم تسمع ولو سمعت ما اجابت وهو لاينافي ما ذكر لها من القوة والنفاذ

﴿ الرابع ﴾ يجوز انها مشغولة بذاتها ونعيمها وسرورها لدى خالقها ، ودعوتها تكون شاغلة لها عما هي فيه فيكون دعاؤنا لها ظلما وخطأ وتنكيدا لعيشها الرغد كما لو دعوت مصليا ومشتغلا بعبادة ربه لبعض شؤونك ، كنت مخطئا ظالما له ، وان كان قادرا على اجابتك

﴿ الخامس ﴾ اذا بطلت الاعتراضات والايرادات السالفة فيمكن أن يقال: إن السؤال لها مع ذلك حرام فما كل مايقدر عليه حلال

﴿ الجواب الخامس على كلام ابن القيم ﴾ قوله : الارواح فاعلة قادرة وفعلت

كذا ،ودمرت كيت،وأعزت هؤلاء وأذلت اولئك، كقولنا ان فرعون وقومه أغرقهم البحر وآذاهم الجراد والقمل والضفادع والدم . وقولنا اهلكت عادا الريح وقوم نوح أغرقهم الطوفان . وثمود أماتتهم الصيحة . والرسول ﷺ نصر بالرعب . وقول الناس عامة : البحار مغرقة،والامطار محيية،والارض نافعة مقيتة والنجوم هادية ،والشمس متوقفة حياة الارض عليها — هل هذه العبارات تفيد أن صاحبها يجوز دعوتها والتوسل بها ؟فان كانت تفيده فيمكن ان يكون لكم شبهة في كلام ابن القيم والا فلا

﴿الجواب السادس﴾ ماسلف في الكلام على قول صاحب المغني قبل هذا والله أعلم

كلام الشوكاني

وأما ما نقل عن الشوكاني في اجازة التوسل فقد اشتمل نقله عنه على غاية الغش والتدليس ،وتلبيس الحق ،وأخذ ما يهوى ، وترك ما لا يرضى ، لانه نقل العبارة ووضعها وضعاً يفهم القاريء من كلام الشوكاني غير مايريده ، فيحسب القاريء مما نقل أن الشوكاني يوافقه في اجازة التوسل ودعوة الاموات ، اختزل كلامه اختزالا ، وحذف منه حذفا مخلا يجعله غشا وخطأ وهوى مرذولا، لان الكلام اذا كان متسقا متصلا بعضه ببعض أفاد معنى ، وإذا غير نظامه أفاد معنى آخر قد يكون مضادا للمعنى الاصلي . ألا ترى لو اقتصرت على قوله تعالى (فويل للمصلين) ولم تقرأ (الذين هم عن صلاتهم ساهون) كان المعنى باطلا خلاف مايراد . وكذا لو فعلت بقوله (ولا تقربوا الصلاة) وقوله (وماخلقنا السموات والارض)وقول المؤمنين (ربنا ماخلقت هذا) ولو قلت في كلمة الاخلاص (لااله) وانتهيت كنت في هذا كله مفسدا الكلام مغيره. وكذلك التقديم والتأخير ولهذا يقول البلاغيون ولكل كلمة مع صاحبتها مقام . ولقد كان اليهود هم الاخصائيين الائمة في هذا

الباب « باب التحريف والابدال » (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك ، يحرفون الكلم عن مواضعه) (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم واوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون * وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وإياي فاتقون * ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون)

وقد ذكر رجال الحديث في فن الجرح والتعديل ان الرجل إذا كان مدلسا غير عدل لايقبل قوله ولا حديثه ولا شهادته على الرسول ﷺ . وأجمع العقلاء على أن المنصف يأتي في مقام الاحتجاج بما له وعليه، وان من الغش والعار الاتيان بما يوافقه فقط

واني ناقل لك شيئا مما قاله الشوكاني في كتاب الدر النضيد الذي نقل منه الشيخ ، لتعرف مقدار تدليسه وتلبيسه .

قال الشوكاني في نفس الكتاب في أثناء كلامه : إذا تقرر هذا فلا شك ان من اعتقد في ميت من الاموات أو حي من الاحياء انه يضره أو ينفعه، إما استقلالا ومع الله، أو ناداه ،أو توجه اليه، أو استغاث به في أمر من الامور التي لا يقدر عليها المخلوق فلم يخلص التوحيد لله ، ولا أفرده بالعبادة اذ الدعاء بطلب وصول الخير اليه ودفع الضر عنه هو نوع من أنواع العبادة ، ولا فرق بين أن يكون هذا المدعو من دون الله أو معه حجراً او شجراً أو ملكا أو شيطانا كما كان يفعل ذلك أهل الجاهلية ، وبين أن يكون انسانا حياً من الاحياء او الاموات كما يفعله الآن كثير من المسلمين ، وكل عالم يعرف هذا ويقر به، فان العلة واحدة ، وعبادة غير الله وتشريك غيره معه يكون للحيوان كما يكون للجماد، ويكون للحي كما يكون للميت. فمن زعم أن ثم فرقا بين من اعتقد في وثن من الاوثان انه يضر أو ينفع ،وبين من اعتقد

في ميت من بني آدم او حي منه انه يضر وينفع، او يقدر على ما لا يقدر عليه الا الله فقد غلط غلطا بيناً، وأقر على نفسه بجهل كثير، فان الشرك هو دعاء غير الاشياء التي تختص به او اعتقاد القدرة لغيره فيما لا يقدر عليه سواه أو التقرب الى غيره بشيء مما لا يتقرب به الا اليه، ومجرد تسمية المشركين بما جعلوه شريكا بالصنم والوثن والالهية لغير الله زيادة على التسمية بالولي والقبر والمشهد كما يفعله كثير من المسلمين، بل الحكم واحد اذا حصل ممن يعتقد في الولي والقبر ما كان يحصل ممن يعتقد في الصنم والوثن اذ ليس الشرك هو مطلق اطلاق بعض الاسماء على بعض المسميات بل الشرك هو أن يفعل لغير الله شيئا يختص به سبحانه، سواء أطلق على ذلك الغير ما كانت تطلقه عليه الجاهلية او أطلق عليه اسما آخر، فلا اعتبار بالاسم قط، ومن لم يعرف هذا فهو جاهل لا يستحق أن يخاطب بما يخاطب به أهل العلم. وقد علم كل عالم أن عبادة الكفار للاصنام لم تكن إلا بتعظيمها واعتقاد انها تضر وتنفع، والاستغاثة بها عند الحاجة والتقرب لها في بعض الحالات بجزء من أموالهم، وهذا كله وقع من المعتقدين في القبور فانهم قد عظموها الى حد لا يكون الا لله سبحانه، بل ربما يترك العاصي منهم المعصية اذا كان في مشهد من يعتقده او قريباً منه مخافة تعجيل العقوبة من ذلك الميت بل ربما لا يتركها اذا كان في حرم الله أو في مسجد من المساجد او قريبا من ذلك. وربما حلف بعض غلاتهم الله كاذبا ولم يحلف بالميت الذي يعتقده. وأما اعتقادهم انها تضر وتنفع، فلولا باشتمال ضمائرهم على هذا الاعتقاد لم يدع أحد منهم ميتاً أو حياً عند استجلابه لنفع أو استدفاعه لضر قائلا : يافلان افعل لي كذا وكذا وعلى الله وعليك، وأنا بالله وبك. وأما التقرب للاموات فانظر ماذا يجعلونه من النذور لهم وعلى قبورهم في كثير من المحلات. ولو طلب الواحد منهم أن يسمح بجزء من ذلك لله تعالى لم يفعل، وهذا معلوم يعرفه من عرف أحوال هؤلاء.

ثم قال الشوكاني : فان قلت : ان هؤلاء القبوريين يعتقدون ان الله هو الضار النافع، والخير والشر بيده ،وإن استغاثوا بالاموات قصدوا إنجاز ما يطلبونه من الله. قلت : وهكذا كانت الجاهلية فانهم كانوا يعلمون أن الله هو الضار النافع ، وان الخير والشر بيده ، وإنما عبدوا أصنامهم لتقربهم إلى الله زلفى كما حكاه الله عنهم في كتابه العزيز . نعم إذا لم يحصل من المسلم إلا مجرد التوسل الذي قدمنا تحقيقه فهو كما ذكرناه سابقاً، ولكن من زعم انه لم يقع منه إلا مجرد التوسل وهو يعتقد من تعظيم ذلك الميت ما لا يجوز اعتقاده في أحد من المخلوقين وزاد على مجرد الاعتقاد فتقرب إلى الاموات بالذبائح والنذور ،وناداهم مستغيثاً بهم عند الحاجة فهذا كاذب في دعواه انه متوسل فقط ، فلو كان الامر كما زعم لم يقع منه شيء من ذلك ، والمتوسل به لا يحتاج إلى رشوة بنذر أو ذبح ولا تعظيم ولا اعتقاد ، لان المدعو هو الله سبحانه وهو المجيب ولا تأثير لمن وقع به التوسل

ثم قال : بل من زعم انه لم يحصل منه إلا مجرد التوسل وهو يقول بلسانه : يا فلان مناديا لمن يعتقده من الاموات فهو كاذب على نفسه ، ومن أنكر حصول النداء للاموات والاستغاثة بهم استقلالا فليخبرنا ما معنى ما نسمعه في الاقطار اليمنية من قولهم (يا ابن عجيل ،يازيلعي ،ياابن علوان ،يافلان يافلان) وهل ينكر هذا منكر أو يشك فيه شاك ؟ وما عدا ديار اليمن فالامر فيها أطم وأعم،ففي كل قرية ميت يعتقده أهلها وينادونه ،وفي كل مدينة جماعة منهم حتى انهم في حرم الله ينادون (ياابن عباس يامحجوب) فما ظنك بغير ذلك فقد تلطف ابليس وجنوده أخزاهم الله لغالب أهل الملة الاسلامية بلطفه فزلزل الاقدام عن الاسلام ، فانا لله وإنا اليه راجعون

ثم قال الشوكاني: أين من يعقل معنى (ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ـفلا تدعو مع الله أحداً ـله دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون

لهم بشيء) وقد أخبر الله أن الدعاء عبادة بقوله (ادعوني أستجب لكم ـ ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) وأخرج أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح من حديث النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ «الدعاء هو العبادة » وفي رواية « مخ العبادة » ثم قرأ الآية المذكورة ـ وكذا النحر للاموات عبادة لهم ، والنذر لهم بجزء من المال عبادة ، والتعظيم عبادة لهم ، كما ان النحر للنسك وإخراج صدقة المال والخضوع والاستكانة عبادة لله بغير خلاف . هذا كله كلام الشوكاني . ثم قال:

(فان قلت) ان المشركين كانوا لا يقرون بكلمة التوحيد وهؤلاء المعتقدون في الاموات يقرون بها (قلت) هؤلاء إنما قالوها بألسنتهم وخالفوها بأفعالهم ، فان من استغاث بالاموات أو طلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله أو عظمهم أو نذر لهم بجزء من ماله أو نحر لهم فقد أنزلهم منزلة الآلهة التي كان المشركون يفعلون لها هذه الافعال ، فهو كاذب على نفسه لم يعتقد معنى لا إله إلا الله ، فانه قد جعل إلها غير الله يعتقد انه يضر وينفع وعبده بدعائه عند الشدائد ، والاستغاثة به عند الحاجة ، وبخضوعه له وتعظيمه إياه ونحر النحائر ، وقرب اليه نفائس الاموال ، وليس مجرد قول لا إله إلا الله من دون عمل بمعناها مثبتا للاسلام ، فلو قالها أحد من أهل الجاهلية وعكف على صنمه يعبده لم يكن ذلك إسلاما

ثم قال (فان قلت) هؤلاء المعتقدون في الاموات لا يعلمون بأن ما يفعلونه شرك بل لو عرض أحدهم على السيف لم يقر بأنه مشرك بالله ، ولا فاعل لما هو شرك بل لو علم أدنى علم أن ذلك شرك لم يفعله

(قلت) الامر كما قلت ، ولكن لا يخفى عليك ما تقرر من أسباب الردة انه لا يعتبر في ثبوتها العلم بمعنى ما قاله من جاء بلفظ كفري أو فعل فعلا كفريا

ثم قال فنقول لمن صار يدعو الاموات عند الحاجة ويستغيث بها عند حلول

المصيبات ،وينذر لهم النذور وينحر لهم النحائر ، ويعظمهم تعظيم الرب- ان هذا الذي يفعلونه هو الشرك الذي كانت عليه الجاهلية ،وهو الذي بعث الله رسله بهدمه

وقال أيضا : واعلم أن من الشبه الباطلة التي يوردها المعتقدون في الاموات في انهم ليسوا مشركين من أهل الجاهلية أنهم انما يعتقدون في الاوليا، والصالحين وأولئك اعتقدوا في الاوثان والشياطين . وهذه الشبهة داحضة تنادي على صاحبها بالجهل . وقد نقل في كتابه هذا كلام ابن القيم في أن مايفعله هؤلاء اليوم من دعاء الاموات شرك أكبر ، بل أصل شرك العالم ـ وأقره

وقال الشوكاني ايضا : قال شيخ الاسلام تقي الدين في الاقناع :ان من دعا ميتاً وإن كان من الخلفاء الراشدين فهو كافر ،ومن شك في كفره فهو كافر . وقال أبو الوفاء بن عقيل في الفنون : لما صعبت التكاليف على الجهال الطغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم .وهم عندي كفار بهذه الاوضاع مثل تعظيم القبور وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع فيها (يا مولاي افعل كذا وكذا) أو إلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى . اه كلام أبي الوفاء بن عقيل

وقال الشوكاني : قال ابن حجر الهيتمي الشافعي في شرح الاربعين: من دعا غير الله فهو كافر .

وقال قال شيخ الاسلام تقي الدين في الرسالة السنية : ان كل من دعي من نبي أو رجل صالح فقد جعل نوع له من الالوهية : مثل أن يقول . ياسيدي فلان أغثني أو انصرني أو ارزقني أو اجبرني ، وأنا في حسبك ، ونحو هذه الاقوال ، فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب نجا وإلا قتل . وكلام الشوكاني كله يدور على هذا وعلى تكفير من دعا الاموات وانهم كقريش الذين قاتلهم الرسول بل أشر ، والتوسل الذي أجازه الشوكاني هو أن يسأل الله بالعمل الصالح

سواء كان العمل من المتوسل أم من غيره ، واستدل بحديث الثلاثة أصحاب الصخرة الذين آواهم المبيت الى غار فانسد عليهم الغار فتوسلوا الى الله بصالح أعمالهم فنجاهم الله. هذا هو التوسل الذي أجازه ، وإن كان الشوكاني قد وَهِمَ في استدلاله بحديث أصحاب الغار ، لانه لا يدل إلا على توسل المرء بعمل نفسه فحسب ، وأما عمل غيره فالحديث لم يدل عليه

قال هذا المعترض جاء من كلام الشوكاني بما يوافق مذهبه وترك مايبطله ؛ انها لهنات ووصمة لا يلجأ اليها إلا الضعفاء الذين يتعلقون بالهواء ، ويكتبون على الماء ، وهب أن الشوكاني أجاز التوسل كما أجزته فلا يضرنا في مذهبنا ، ولا يجب علينا ان نرجع اليه ، وليس هو عندنا رسول بل هو من جملة العلماء يخطيء ويصيب ، فردك علينا بكلامه أوهن من بيت العنكبوت ، لانه إما أن يكون وافقنا أو خالفنا : فان كان وافقنا فلا كلام لك ، وإن كان خالفنا فليس قوله حجة يعتمد عليه إلا ان يكون هناك دليل ، فان كان دليل فالحجة فيه لا في كلام الشوكاني ، فصار التعلق بالشوكاني عبثا ، ومشياً على الشوك . والله أعلم

اعتراض مسلم مكي على الشيخ الدجوي

وجواب الدجوي له

صدر الجزء الخامس من السنة الثانية لمجلة (نور الاسلام) فاذا الشيخ الدجوي قد أذهب بهجتها بهذيانه السخيف ، وآرائه الهالكة ، وقد زعم ان مسلماً مكياً أرسل له خطابا وسأله أسئلة وطلب منه الجواب بالحاح وضراعة . وقد ذكر شيئا من أسئلة المكي المزعومة ، ونحن لا ندري أهو صادق أم غير صادق ؟ ولا نستبعد عليه انتحال هذه القصة وافتراء هذا المسلم المكي، وقد سبرنا عليه الغلط والغش في النصوص القرآنية والحديثية، وأقوال العلماء المسطورة المشهورة كما سبق ، والشيخ مصاب بحب الشهرة والكتابة فيما ينفع وما لا ينفع حرصا على ان يكون في سماط الكتاب المشهورين ، وزمرة العلماء المذكورين ، فلا غرو إذا قال إن مسلما مكياً سألني ووضع أسئلة من عنده وأجوبتها، ليري الناس انه من المعلومين للاقطار المرجوع اليهم من أقصى الآفاق، حتى من الحجاز ، وخوفا من عيب الناس له إذا ذكر كلامه هذا من غير سبب جديد ، لانه قد كرره مراراً ، وأعاده وأبداه حتى أسأم وأمل . ونحن نكل الحقيقة إلى الله، ولكن علينا أن نجيب على أجوبته المخطئة منها ونصوب الاسئلة المستقيمة سواء كانت حقيقية أم خيالية ، وان كل الاجوبة التي جاء بها أو أغلبها قد سبق نقضها في كلامنا السابق ، ولكن ذلك لا يمنعنا أن نشير إلى شيء من غلطه وخلطه هنا لئلا يتوهم أو يوهم العجز فينا والغلب له ، وسأجعل كلام المكي عنوانه (قال المكي) وعنوان كلام الدجوي (قال الدجوي) وقولي بعنوان (قلت)

(قال المكي) هل جاء في السنة ان الرسول ﷺ علم الناس أن يسألوا الصالحين من الاموات ويطلبوا منهم الدعاء ؟ أرجو أن تذكروا ولو حديثا واحداً

(قال الدجوي) ونحن نقلب عليه السؤال فنقول: هل جاء في السنة أن الرسول ﷺ نهى الناس أن يسألوا الصالحين ويطلبوا منهم الدعاء ؟ أرجو أن تذكر لنا شيئاً من ذلك ولو دليلا واحداً

(قلت) هذا جواب من لا يعرف من الخطاب لفظا ولا معنى ، ولا روحا ولا جسما ، وهو شبيه بكلام الاطفال والممرورين ، فأي عاقل من أول الدنيا الى يومنا هذا أجاب بمثل هذا الجواب ، فالعلماء والجهلاء إذا سئلوا عن أمر من جهة إثباته أو نفيه كان الجواب منهم أحد ثلاثة أمور لا زيادة عليها : إما النفي أو الاثبات ، أو لا أدري . ومثال هذا الجواب جواب من يقال له :هل في القرآن أو السنة أو أحدهما :اصنعوا كيت؟ فيقول المسئول هل في القرآن أو الحديث لا تقربوا كيت ،وهل نهيا عنه ؟ وكمن قيل له:هل الحكومة أمرت عمالها وموظفيها بصنع كذا فيقول المسئول :هل نهت الحكومة عن ذلك ؟ ومن قيل له هل أثبت العلم الحديث مسئلة كيت وبحث كذا ؟فيقول هل أبطلها العلم ؟

وهذه جميعها أجوبة خسيسة لا يقولها مفكر ، وصاحبنا هذا سمع جواب المعارضة عند المتكلمين والفلاسفة فلم يحفظ لفظهم ويفهم معناه فأخرج منه هذا الزعاف

(قلت ثانيا) نعم نهى الرسول ﷺ عن دعوة الاموات، وأذكر لك شيئا كثيراً لا دليلا واحداً فحسب: قال الله تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً) ليست الاموات آحاداً ؟ (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا ـ والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير، إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم، ولا ينبئك مثل خبير) وقال (انك لا تسمع الموتى ـ وما أنت بمسمع من في القبور ـ ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك إذاً من الظالمين) والاموات لا ينفعون ولا يضرون بدليل الآيات السالفة ، وبدليل قوله تعالى

﴿ قل اني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً ـ قل اني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً) وقال (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ـ انك لا تهدي من أحببت)

وقال ﷺ « إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله » والمراد إذا أردت السؤال والاستعانة . وقال ﷺ « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث » الخ الحديث ، وإذ كان لا يعمل ولا يدعو فأنى يسأل ويدعى ؟ وقال تعالى (قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا ، قل ان هدى الله هو الهدى) وقال ﷺ « الدعاء هو العبادة » وفي رواية « مخ العبادة » وقال تعالى (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين احسانا — أمر ألا تعبدوا الا اياه ، ذلك الدين القيم) وفي الحديث الصحيح : أخذ علينا رسول الله ﷺ أن لا نسأل أحداً ، فكان الرجل من أصحاب الرسول يسقط سوطه من يده فلا يقول لأحد ناولنيه

لم يبق الا اعتراضه بالاحياء ، وقوله: هذه النصوص تفيد أن لا يدعى الاحياء وقد سبق جوابنا على هذا في أول الكلام مشبعاً فلا نعيده وهو قريب

(وقلت ثالثا) هب انه لا دليل يمنع دعوة الاموات ولكن هذا لا يقتضي جواز دعوتهم لقيام الادلة العقلية والنقلية عندكم على أن الله خالق كل شيء ، موجد لكل حادث . ومن المعلوم ببداهة العقل أن دعوة من ليس له فعل ما ولا ايجاد ما عبث وخرف وجنون

(وقلت رابعاً)سلمنا انه لم يوجد لا هذا ولا ذاك لكنك لا زلت مطالبا بالدليل اذا كان عندك دليل اذ من سئل عن علم يعلمه وجب عليه بذله

(قال الدجوي) ثم نقول ثانياً : ان جواز الاشياء لا يتوقف على الامر بها

بل على عدم النهي عنها كما هو مقرر في علم الاصول (قل لا أجد فيما أوحي الي محرما على طاعم يطعمه) الخ فكل مالم يرد فيه نص بالحظر فهو مباح على ماتقتضيه الآية . وعلمنا ﷺ في السنة الصحيحة أن ما أمرنا به فعلناه ولم نتركه ، وما نهانا عنه اجتنبناه ولم نفعله ، وما سكت عنه فهو عفو ، فهذه هي قواعد العلم الذي يعرفه العلماء

(قلت) هذا جواب باطل وغلط من وجوه :

(الاول) لايصلح جوابا يقينيا، اذ السائل يطلب : هل أرشد الرسول ﷺ الى فعله ونص على حكمه ؟ غير ناظر الى المسئلة الاصولية التي جاء بها من أن الاصل في الاشياء الحل

(الثاني) السائل سأل : هل أرشد الى فعلها ؟ ولم يقل هل أمر بها أو نهى عنها ، أو هل هي حلال أم حرام . والمجيب أخذ يتكلم على الامر والنهي

(الثالث) قوله : كل مالم يرد فيه الحظر فهو مباح — مجازفة لابرهان عليه ، والآية سيأتي الجواب عنها

(الرابع) قوله: كما هو مقرر في علم الاصول — فرية على الاصول ومقرريه فالمسئلة خلافية بين الاصوليين وفيها مذاهب ثلاثة [الاول] ان الاصل في الاشياء الحل ، وهو قول شرذمة من العلماء [الثاني] الوقف والحيرة الا أن يرد دليل بأحد الامرين، وهو مذهب الامام الاشعري وأبي بكر الصيرفي وبعض الشافعية [الثالث] ان الاصل في الاشياء المنع والحظر حتى يأتي الدليل ، وهو مذهب الجمهور ، وقد نصره ابن حزم نصراً مؤزراً ، وأقام عليه الادلة الكثيرة من القرآن والحديث والعقل ، وفند كل ما خالفه ، وهذه المذاهب الثلاثة مذكورة في الكتب الصغيرة المقروءة في الازهر وغيره، فمال هذا الشيخ لم يطالع عند الكتابة اذ لم يحفظ قضاء لحق الامانة والدين، واحتياطا من الكذب . قال الله تعالى (ومن أظلم ممن افترى

على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ، ان الله لايهدي القوم الظالمين)

وفي الحديث الصحيح انه قال ﷺ « القضاة ثلاثة : اثنان فيالنار وواحد في الجنة ،قاض عرف الحق فلم يقض به فهو في النار ،وواحد لم يعرف الحق فقضى به فهو في النار ،وقاض عرف الحق فقضى به فهو في الجنة » فصاحبنا من أي القضاة يا ترى ؟

وفي سنن أبي داود ان الرسول ﷺ قال « من سئل فأفتى بغير ثبت فانما اثمه على من أفتاه» وفيالترمذي وصححه انه ﷺ قال « من دعا الى ضلالة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة ، ومن دعا إلى هدى فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة » ومثله في صحيح مسلم ،فلأي معنى جعل المذاهب الثلاثة مذهباً واحداً وهو أقلها عدداً ؟ هذا عين الغش ، هذا ما لا يصح من مدعي العلم والتحقيق،ولا ممن يكتب تحت عنوان ضخم موهم هو قوله [لفضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوي من هيئة كبار العلماء] والامر كما قال الاندلسي:

مما يزهدني في أرض أندلس   ألقاب معتصم فيها ومعتضد

ألقاب مملكة في غير موضعها   كالهر يحكي انتفاخا صولة الاسد

ألأنه صار من أهل الاجتهاد المطلق ، والبحث الحر ، ضيع المذهبين وبامرهما وما هذه سنة المجتهدين ، إذ هم يذكرون ما في الباب من المذاهب ، وينصرون مذهبهم (ولكن الجوع فمال) وإذا سلمنا اجتهاده واستبداده بالآراء ، فأين براهينه ؟ انها لسوآء

(الخامس) استدلاله بالآية هزيل جداً إذ هي في المطعومات ، فهي تقول (على طاعم يطعمه) وهل كل الاحكام التي من جملتها الوسيلة مطعوم ؟ إلى الآن لم يعرف الشيخ ذلك ولن يعرف ، وأيضا عدم وجدان الشيء محرماً لا يفيد حله فهناك واسطة وهو التوقف والتردد بين الامرين كما هو قول بعض الاصوليين فيما لم يأت فيه نص . وأيضا عدم وجدانه في الوحي لا يدل على عدمه في العقل او في الالهام

أو المنام . وأيضا عدم وجدانه في أول الامر لا يقتضي عدمه في آخره . وأيضا الحصر في الآية اضافي بالنسبة إلى قول المشركين ، ببرهان أن ثم أموراً محرمة لم تذكر في الآية . وأيضا هي تكلمت على طعمه وتناوله مغذيا ،ولم تتكلم عليه من جهة وجوه الانتفاع الآخر

(السادس) قوله : ان الرسول علمنا أن الذي ينهي عنه إلى آخر ما قال — لا يفيده شيئا في دعواه لان السكوت عن الامر وكونه عفواً لايرشد انه حلال جائز ،فلعل معنى الحديث الذي يشير اليه يعني أن المسكوت عليه نسكت نحن عليه معاشر المكلفين ونسكت أيضا عن السؤال عنه خوف التعسير والتضييق . وقد كان ﷺ يكره كثرة السؤال ، ويختار أن يصمتوا على ما صمت عليه ويقول «ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم»

ويقال أيضاً : ليس لديك في الحديث إلا كونه عفواً ، ومن أين ان العفو معناه الحلال ؟ تطالب بالبرهان ، إذ يجوز انه معفو لنا السكوت عليه وعنه . ثم بعد هذا نقول : الحديث يفيد ان مالم يبين لنا بتحليل أو تحريم هو عفو ، والذين يقولون ان الاصل في الاشياء الحرمة يجاوبونك بأن الدين نص أن الاصل في الاشياء الحرمة فكان مما لم يسكت عليه ،فخرجت من هذا الحديث بلا شيء

(السابع) قوله : هذه قواعد العلم الذي يعرفه العلماء — تقوّل على العلماء ، وقد أبنا قبلا أن المذاهب في المسئلة ثلاثة

(قال المكي) هل يلزم من عدم دعوة الاموات ومخاطبتهم بغير المشروع إنكار كرامتهم ؟ وإذا قلتم بالتلازم فبينوا وجهه بالبرهان ، واذكروا من الصحابة والتابعين والائمة المتبوعين من قال بجواز هذا النوع من التوسل

(قال الدجوي) نعم من كان مثلكم ينكر التوسل والاستغاثة وجب أن ينكر كرامات الاموات ، فانه إذا لم يصح أن نتوسل إلى الله بالميت ولا يمكنه أن يدعو

لنا ولا نستطيع روحه أن تفعل شيئا كما هو اعتقادكم ، فأي كرامة تكون بعد ذلك؟ وما معنى إثباتكم إياها وقد نفيتم عنه كل عمل وقدرة ، ومنعتم أن نتوسل به إلى الله ليفعل لنا ما نريد لاجله ، فأي شيء يبقى بعد ذلك ؟

(قلت) ما في هذا الكلام من الضعف والوهن بيّن وسيزداد بيانا ، فقوله : يجب أن تنكروا كرامات الاموات ـ قول لا يقوله المتقون فهو أمر بالمنكر وإيجاب للباطل ، فهبنا مخطئين ضالين في إنكارنا ذلك فكيف توجب علينا أن ننكر الصحيح الحق ، أما هو زيادة في الضلال ؟ ومن قال ان من رأى باطلا وجب عليه أن يرى باطلا آخر ؟ ومن اعتقد منكراً وجب عليه أن يعتقد منكراً آخر ، وذلك كمن قال لليهودي والنصراني : اكفر بالمسيح وعزير وآدم وابراهيم وسائر الانبياء والرسل لانك أنكرت نبوة محمد رسول الله ﷺ وهو لازم لك ، فاذا كفروا بمحمد لزمهم أن يكفروا ببقية اخوانه المرسلين ـ هذا لا يقوله مهتدي ولا عاقل غوي ، فالشر يجب تقليله حسب الطاقة وجهد المستطاع ، والدجوي يوجب تكثيره ، إن هذا أمر وإيجاب للفحشاء والمنكر (ان الله لا يأمر بالفحشاء والمنكر ، أتقولون على الله ما لا تعلمون) وهل إذا أنكر مسلم أمراً ثابتا في الاسلام تقول له يجب عليك ان تنكر أمراً آخر ؟ فاذا قال المعتزلي : لا أؤمن بهذا الحديث لانه خبر آحاد تقول له يجب عليك أن تكفر ببقية الاخبار الآحادية وجوباً حقيقياً ؟ بل الذي يقوله العلماء والمتكلمون لمثل هذا : انه يلزمك هذا مع انهم يقولون يجب عليك أن لا تأخذ باللازم وأن تؤمن بما كنت به مؤمنا من الحق . وهذا أمر لا قتام عليه . وإذا قال المجسم مثلا ان الله على العرش جالس وهو مركب مثلا من الاجزاء وله حدود ، فهل نزيد في ضلاله ونقول له اعتقد انه مخلوق عاجز وإن لم يعتقد هذا يكون تاركا واجباً؟

ومقصد الشيخ أن يقول : يلزمكم هذا فخانته قريحته الوقادة ولسانه المنطيق

فكان من خطله وشناعة قوله ما كان ، وفرق شاسع بين العبارتين،وإن كان يريد انا إذا اثبتنا الكرامة ونفينا الوسيلة لزمنا ماقال، فقول غير صحيح وإلزام ما لا يلزم

وقوله بعد : فانه إذا لم يصح أن نتوسل الى الله بالميت الخ مبني على مقدمات: (الاولى) أن الكرامة من فعل المكرّم، وهي مقدمة باطلة (الثانية) ان الكرامة محصورة فيما يُطلب ويسأل من المكرم،وهي غير صحيحة (الثالثة) انه يلزم من القدرة على الامر جواز فعله وجواز طلبه،وهي مما ينازع فيه (الرابعة) أن الكرامة مقصورة على حال الموت ، وبعد الموت لا كرامة وإلا يجوز أن نقول الكرامة لهم في الحياة فقط ولا يلزمنا إبطال الكرامة مطلقا ، وهو واضح (الخامسة) انه يلزم على القول بأنها من فعله قدرتهم عليها في كل حين ، وهو غير مسلم (السادسة) انه يلزم من إثبات الكرامة أن يسمع صاحبها من مناديه وسائله ، ولقائل أن يقول : له كرامة بعد الموت وقبله ولكن لا يجوز أن نسأله لانه لا يسمع ولا يفهم خطاباً ، والسؤال متوقف على ذلك (السابعة) انا لم نمنع الوسيلة بالاموات لأسباب غير ماذكر ،فلا مانع أن يقال:لهم كرامة وقدرة على فعلها وإيجادها لكن لا يجوز الطلب منهم لعلة أخرى

(قال الدجوي) وأما طلبكم منا ذكر من جوز ذلك من التابعين ، والائمة المتبوعين ، فنحن نقول : ان الامة كلها قبل ظهور ابن تيمية على هذا الجواز ، ونتحداكم فنقلب السؤال عليكم فنقول :هل يمكنكم أن تذكروا لنا من التابعين والأئمة المتبوعين من منع ذلك النوع من التوسل ؟ أليست المذاهب كلها مجمعة على توسل الزائرين للحجرة النبوية به ﷺ؟

(قلت) أما ادعاؤه ان الامة مجمعة على التوسل بجميع مدلولاته التي يقصدها الطغام في عصرنا فمن أكذب الدعاوي وأبعدها. وأنا أتحداك من يومنا هذا إلى يوم قيامتك على أن تقيم دليلا واحداً أن صحابيا ـ أبابكر اوعمر أو غيرهما، أوتابعيا أومن بعدهم من أئمة الاسلام كالامام احمد أو الشافعي أو مالك او ابي حنيفة ـ جوز التوسل على المعنى

الشركي الذي تروجه، أو فعله فأين أنت وإجماع الامة ؟ هيهات هيهات وايم الله لا تجد اليه سبيلا ، ولو بعثت أنت وشهداؤك حتى ينقطع الوريد . لقد سجلت على نفسك وخلدت لها ما بقي الملوان الذكرى الجميلة

فياشيخ المعقول ، ويا حافظ المنقول ،إذا كانت الامة مجمعة على الوسيلة سبعة قرون بغير خلاف ،فأين هذا الاجماع ؟ وأين من نقله ؟ وهو مما يجب ان ينقل نقلا يزيل الشك والمرية، ويصير به الحكم قطعيا كما نقل سائر العبادات المجمع عليها كالصلاة والصيام والحج والزكاة ،وان تملأ كتب السالفين من ذكراه،فأين هو؟

ان الامة لم تجمع على مسائل كثيرة مع أن النصوص فيها أوضح من الشمس ضحى ، فكيف تجمع هنا على هذا الامر المعلوم من الضرورة بطلانه ؟

قوله : إنا نتحداكم ونقلب عليكم السؤال الخ

فنحن نقول في ذلك القلب الذي ليس له جسم ولا قلب،الجواب عليه من وجوه

(الاول) انه لا يلزمنا مطلقا ، لأنا ندعم مذهبنا بالقرآن والحديث ، فليس متوقفا على النقل عن صحابي أو تابعي أو عالم ، وانما يفتقر اليه المقلدون

(الثاني) الاصل العدم وانهم لم يقولوا شيئا ،فهم ولدوا بلا قول ولا فعل من هذا ، فمدعي عدم البراءة مطالب بالدليل

(الثالث) الآيات والاحاديث مستفيضة بالنهي عن دعوة غير الله من أحياء وأموات ، والمعروف ان المسلمين لا يخرجون عن ظاهر الآيات والاحاديث الا بملجيء . فمن ادعى الخروج كان مكلفا الدليل

(الرابع) لو فعلوه لنقل الينا ، والتالي باطل،فالمقدم باطل، كما نقل الينا صلاتهم وصيامهم وحجهم وعباداتهم

(الخامس) المفسرون عندما يأتون الى تفسير الآيات المنددة على المشركين الناهية لهم عن عبادة غير الله يفسرونها بالدعاء والسجود والخضوع ، وكذلك الآيات الآمرة بعبادته تعالى

(السادس) كتب اللغة تحدثنا أن الدعاء من انواع العبادة، والحديث يقول «الدعاء هو العبادة» ومخها. والمعلوم بالضرورة عند المسلمين كافة ان العبادة يجب صرفها كلها لله

(السابع)في كثير من الانباء عن العلماء ان بعضهم قال : استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق. وقال بعضهم: استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة السجين السجين. وفي الحديث السابق ان أصحاب الرسول ﷺ كان يسقط من أحدهم سوطه فلا يقول لأحد ناولنيه وعدم سؤال غير السوط أولى منه، فهو يفيد انهم ما كانوا يسألون أحداً مطلقا، والميت أقمن وأجدر

قوله: أليست المذاهب كلها مجمعة على توسل الزائرين للحجرة النبوية الخ

كلا كلا. ما أجمعت، ولا قاله بعضهم الا إن كان يريد بالتوسل: السلام عليه والتحية، وليس بعيداً عليه. ونحن نتحداه على رءوس الاشهاد في أن يأتينا بنص عن إمام من الأئمة الذين زعم انهم اجمعوا على التوسل الذي نتكلم فيه، وإنا نمهله أشهراً وإن شاء أعواما على أن يحقق دعواه. وهذا كتاب الام للامام الشافعي، والموطأ للامام مالك والمدونة، والفقه الاكبر للامام أبي حنيفة. وكتب الامام أحمد هل فيها شيء من ذلك؟ لاشيء، فاذاً ماهذا الاجماع والمذاهب التي أجمعت على التوسل هي أوهام وأحلام جاء بها فكر (من لايجود الزمان بمثله)

والظاهر أن الشيخ انما يقصد بالأئمة نوعا آخر يعتقده هو أئمة، من المتأخرين الجامدين أمثاله في القول في العلم بغير دليل والجرأة على الباطل بالهوى وتحريف القرآن عن مواضعه. والا فقد ثبت عن الامام مالك رضي الله عنه أنه سئل عن قول القائل: زرت قبر النبي ﷺ فقال لم نسمعه من الاولين — أو ماهذا معناه — ثم قال والله لايصلح آخر هذه الامة الا ما أصلح أولها

فياشيخ إن كنت صادقا فأجب إلى تحدينا واثبت لنا نقلا عن واحد من

هؤلاء وإلا فالخجل الخجل ،والوجل الوجل من الله أو على الاقل من الناس

(قال الدجوي) ولو قلتم ان الاولى أن يرجع الناس في كل امورهم إلى الله بلا واسطة ، او قلتم ان هناك مقاماً تسقط فيه الاسباب والوسائط كما قال ابراهيم لجبريل : أما اليك فلا — عند ماقال له : ألك حاجة؟ — لو قلتم هذا وسلكتم هذا المسلك لم ننكر عليكم ولم نشتد في مناقشتكم

(قلت) كلامه هذا مخالف للاديان الالهية والوضعية ، وقول المرء : ان الاولى ان يرجع إلى الله في الامور كافة من غير واسطة وان الاسباب في حين مّا تبطل وتلغى ، إما ان يكون حقا موافقا للدين او باطلا : إن كان الثاني فعدم إنكاره علينا منكر، إذ هو إقرار على الباطل وهو لايجوز ،فالدين يأمر بالدعوة إلى الحق وإنكار المنكر بغير مداهنة ولا مساهلة ، فكيف لاينكر علينا ولا يشتد في مناقشتنا ؟ هي هفوة صدرت من محلها ، وزلقة في موضعها

وأما إن كان الاول ـ وانه يريد أن هناك مقاما دينياً تسقط فيه الاسباب والوسائل ـ فشيء لايعرفه الدين ولا العاقلون ، فأي حديث أو آية أو مقالة عالم حكمت ان الاسباب والوسائل تبطل ولا ينظر اليها ؟ ماترك الانبياء عليهم السلام الاسباب الصحيحة طرفة عين في انفرادهم واجتماعهم ، والكتاب الكريم حاض على التمسك بالاسباب ناه عن إهمالها ، يأمر بالجهاد وباعداد آلاته وعتاده بأكمل وجه في كل وقت ،وهو سبب من الاسباب ، ويأمر بالصلاة والصيام وسائر أنواع الطاعة ، وهي سبب ـ يأمر بالسعي لطلب الرزق والغنى والعزة والمجد ـ يأمر بطلب العلم وتعلم أخبار الانبياء والحكماء ـ يأمر بالتداوي والعلاج والاحتياط من الاسقام ، وهي سبب من الاسباب ـ يأمر بالاكل والشرب وما يتوقف عليه قوام البدن حتى أكل الميتة عند الضرورة، وهي سبب من الاسباب

وأما ما احتج به من قول ابراهيم عليه السلام فمن أبرد الاحتجاج ،

فالقصة لم يذكر لها إسناداً ، ولا صحة ولا ضعفا ، فأنى يحتج بها ؟

(الثاني) ليس في القصة ترك الاسباب ، غاية مافيها انه لم يحتج إذ ذاك إلا لله تعالى ، فأين ترك الاسباب ؟

(الثالث) أن هذا إهمال بعض الاسباب في بعض الازمان ، فكيف يؤخذ قاعدة عامة؟

(الرابع) انه في دين غيرنا فلا نحتج به حتى نؤمر به ، وديننا آمر بالحض على الاسباب

(الخامس) يصح ان هذه القصة احتفاظ بالاسباب لا ترك لها ، وان ابراهيم رأى المصلحة والفائدة في إلقائه في النار لتظهر الآية والمعجزة عين الظهور وهو أخذ بالاسباب

(السادس) أن ترك الاسباب في الملائكة فقط جائز ، أو في العالم الروحاني بسبب لا نعلمه ، ومصلحة راجحة في الاخذ بالاسباب ، فهو إهمال سبب لسبب أولى منه

(قال الدجوي) ولو كان لكم رأي في المسئلة غير التكفير لقلنا مجتهدون ظنوا ظنا وإلى الله أمرهم ، وكم مجتهد أخطأ ، ولـكن الذين أخطأوا لم يقدسوا أنفسهم ذلك التقديس ، ولم يحملوا الناس على مذهبهم بالسيف ، لانهم يجوزون أن يكون الحق في جانب غيرهم ، ويعلمون ماجاء عن الرسول أن «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» وان من رمى أخاه بالكفر فقد كفر أو كاد

(قلت) فيه من الخطأ ما نشير إلى بعضه

(الاول) صدر الكلام يفيد اننا غير مجتهدين إذا كفرنا في المسئلة ويقتضي ان التكفير ليس فيه اجتهاد ، وهو خلاف قول الناس قاطبة ، فالاجتهاد يكون بالتكفير كما يكون بالتبديع ، وكم بين أهل السنة والمعتزلة والمشبهة والمجسمة وأهل الحديث وغيرهم من المسائل المختلف فيها على وجه التكفير ، بل ترى العالم من فرقة كذا مثلا يكفر على مسئلة ، ويأتي العالم الآخر من فرقته ويخالفه ، والاشعرية والماتريدية الذين هم اهل السنة عند الشيخ مختلفون في تكفير أهل الاهواء من أهل القبلة كالقائلين بالجهة وقيام الحوادث بذات الباري ، والتغير والتحيز ، وكونه جسما

وأن كلامه بحرف وصوت ، وانه خالق كل شيء من الحسن والقبيح إلى غير ذلك

فبين علماء الاشعرية أنفسهم اضطراب واختلاف ، كما وقع بين الرازي والآمدي والغزاني وابن رشد الحفيد وغيرهم من فحول الاشعرية . ولكن ما الحيلة عند من ليس له حيلة ؟

(الثاني) قوله الذين اخطأوا لم يقدسوا انفسهم الخ مبني على ثلاث قواعد :

(الاولى) انا قدسنا أنفسنا (الثانية) ان غيرنا لم يقدس نفسه (الثالثة) أن تقديس النفس غير محمود . وكلها فيها نزاع ، وهبنا قدسنا انفسنا فماذا يكون؟ يجب ان نقدس نفوسنا وأجسامنا ، اذ خلاف أن ضد التقديس الترجيس والتنجيس قال الله تعالى (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها — وثيابك فطهر) قال جمع من المفسرين المراد نفسك وقلبك : وقال (ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) وقال (وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم انهم اناس يتطهرون) واذا لم يكونوا قدسوا انفسهم فقد رجسوها ونجسوها فعادت الفضيلة — عند صاحب الفضيلة ـ رذيلة والرذيلة فضيلة (كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء — ومن يضلل الله فما له من هاد) ثم لا أدري من اين أخذ تقديسنا انفسنا، أمن اننا ندعوا الى مذهبنا وعقيدتنا ؟ أم لاننا نعمل بما نراه ونعتقده بالدليل حقا؟ أم لاننا جازمون بعقيدتنا؟ فكل مجتهد هكذا

(الثالث) قوله : ولم يحملوا الناس على مذهبهم بالسيف ـ غير صحيح فما زال القتال والتقاتل بين المسلمين المختلفين قائما ، وكم حكم العلماء من السنيين وغيرهم على من خالفهم بالاعدام والكفر والتحريق . وأين فتنة القول في القرآن والفتنة بين الحنابلة وابن جرير الطبري في بغداد ، وأين غير ذلك؟ وأصغر تاريخ يعرف ذلك

وقوله : لانهم يجوزون أن يكون الحق في جانب غيرهم ـ تفريع مريض وهو يفيد أموراً (الاول) ان الظنيات لايقاتل عليها (الثاني) ان العقائد بعضها

ظني وهو خلاف ماعند الاشعرية (الثالث) انه لم يكن هناك مخالف مبطل اعتقد أن الذي خالف فيه قطعي . وهذه الامور كلها لا تصح . وهل المعتزلة مثلا يرون أن الذي هم عليه غير جازم، من اعتقادهم أن العباد خالقون لأفعالهم، وكذا في اعتقادهم نفي رؤية الباري ونفي القضاء والقدر ، ومثله سائر ما خالفوا فيه أهل السنة ـ وقول الحنابلة: إن الله يتكلم بحرف وصوت ، وتقوم بذاته الحوادث، وينزل إلى السماء الدنيا وانه في جهة وان ألفاظ القرآن المتعاقبة المرتبة غير مخلوقة ـ هل هم في ذلك على ظن وانه يجوز أن يكون الحق بيد غيرهم؟ ومثله جميع مابين الطوائف الاسلامية من المسائل المختلف فيها في العقائد . إن قيل كانوا يرونها ظنيات كان طعنا على مذهبكم من أن العقائد لا بد فيها من القطع ، وإن قيل يقطعون في المسائل المختلف فيها كل يرى مامعه هو الحق ـ بطل رأي الاستاذ

(الرابع) قوله: ويعلمون ماجاء عن الرسول من أن سباب المسلم فسوق الخ — ما أن يريد به انهم لم يكفروا بالاجتهاد كلهم من معتزلة وسنية وشيعة ـ إن كان يريد ذلك فقد قال قولا بعيداً ، ولقد كفر بعض الصحابة بعضا خطأ واجتهادا ولم يحكم أن المكفر كفر . كعمر بن الخطاب قال لحاطب بن أبي بلتعة :دعني يارسول الله أضرب عنق هذا المنافق — وحاطب بن أبي بلتعة من أهل بدر المغفور لهم وخالد بن الوليد قتل قبيلة بعد أن أسلمت اجتهاداً منه ، وأسامة بن زيد قتل مسلماً بعد أن قال لا إله إلا الله . وقال ـ لما عاتبه الرسول ﷺ ـ إنما قالها استعصاما

وفي حديث الافك أن بعض خيار الصحابة قال لسعد بن عبادة : يا منافق انك تجادل عن المنافقين. ولما ذهب الرسول الى بيت عتبان بن مالك ليصلي فيه مكانا يتخذه مسجدا اجتمع كثير من الصحابة عنده وسأل الرسول عن رجل من الصحابة فرماه كثير منهم بالنفاق ، وما كان كذلك، وكذلك معاذ لما أطال الصلاة بالناس خرج رجل من الصلاة لانه كان وراءه نواضح ،فغضب معاذ وقال

انه منافق ، وما كان كذلك . وكم من الاخبار في هذا الباب

وأما إن كان يريد علمهم ذلك بقطع النظر عن الخطأ في وضعه والعمل به فلا معنى له، لأنا كذلك نعلم الاخبار التي جاء بها من أن سباب المسلم فسوق الخ ثم قوله: انهم يعلمون أن سباب المسلم فسوق إما أن يقصد انهم أجمعين علموا هذا الحديث ورأوه، فما ابعده ، فكيف تجمع الامة على الاطلاع على حديث واحد رواه البخاري أو مسلم أو الكتب أجمع، مستحيل في العادة علمهم إياه كلهم — وإن كان يقصد انهم يحكمون ذلك الحكم من عموم الدين أومن نصوص أخرى دالة ان الذي يكفّر المسلم ليس مسلما فهو غير صحيح من وجهين

(الاول) انه لايمكن أن يأتي بدليل على ذلك فهو تقوُّل عليهم (الثاني) هذا إخراج لجلة المسلمين من الاسلام ، إذ يقل أن يوجد مسلم لم يكفر مسلما خطأ ، والصحابة الذين سبق ذكرهم يقتضي هذا انهم كفروا

(قال المكي) لايمكننا أن نسوغ توجه المسلم العارف بربه ، الآنس بذكره، إلى عبد من عباده انتقل إلى عالم آخر لايعلم حاله إلا الله، يسأله ويخاطبه بعد أن كان متلذذاً بخطاب الله ومناجاته ، ولايخفى عليكم حديث أم العلاء من صحيح البخاري وفيه انها شهدت لمهاجر — وهو أبو السائب — توفى عندها ، وقالت: اماشهادتي عليك فلقد أكرمك الله ، فقال الرسول ﷺ « وما يدريك ان الله أكرمه ؟ » إلى غير ذلك من الاحاديث وأمثاله ، وكلها تدل أن الاموات أفضوا إلى ما قدموا وانه لا يجوز لأحد أن يحكم حكما جازما بأن ميتا منهم من أهل الجنة أو النار إلا ما ورد النص بانه من أهل الجنة أو النار ، كما ورد في أهل بدر وبعض الصحابة كعكاشة ابن محصن رضي الله عنهم. اهـ

(قلت) هو كلام كما ترى صحيح لامغمز فيه ولامطعن ولكن ستّرى ماقال فيه الدجوي

(قال الدجوي) ان السائل أدمج في مقاله هذا الخطابي أشياء لا نتركها له

بل نناقشه الحساب ، أما التمويه بذكر توجه المسلم إلى ربه وتلذذه بذكره ، فهو لذيذ في الاسماع يكاد يأخذ بمجامع القلوب ، ولكن هذا مقام تحقيق علمي لا ينفع فيه التمويه ولا تفيد فيه الخطابة ، وقد قلنا فيما سبق لو كان رأي الوهابيين أن هذا مقام الكمال لم نتعرض له ، ولكن بدعوا وفسقوا وكفروا الخ فأين هذا مما يقوله السائل؟فان كان يريد أن الاشتغال بذكر اللهومناجاته أولى فليس الخلاف بيننا وبينه في الاولوية ، ولكن الناس درجات بعضها فوق بعض ، ولا حرج على من يلتفت للاسباب والوسائل عالما أن اللههو الاول والآخر وهو ممد كل شيء والمفيض على كل شيء ،واليه يرجع الامر كله، ولا بين من ترك الاسباب ثقة بالمسبب، فكان هذا غريقا في قدرته كما كان ذلك ناظراً إلى حكمته ، عاملا بسنته ، فلا حرج على هذا ولا ذاك — وإن صح أن نقول إن بعضهم أفضل من بعض — وهل ماذكر السائل في حديث التلذذ والانس الذي قطعه خطاب الاموات صحيح او تمويه وخيال ؟ ولماذا لا يقول مثله في الطلب من الاحياء؟ أليس الانس بالله ومناجاته خيراً من الطلب من الاحياء ،ولو كان أميراً أو وزيراً، أم التفضيل الذي ذكره لا يتحقق إلا بين الطلب من الاموات والطلب من الله ؟

وقد أدمج في كلامه مايلهج به كثير من الجهلة في أن الميت لاتدرى حاله ولا ما مات عليه ، وهو سوء ظن بالمسلمين بل بالله ، فنلفت نظر السائل الى أن من عاش على شيء مات عليه كما في الحديث الشريف ، فهذه هي حكمة الله الغالبة وما عدا ذلك فشاذ لا يقاس عليه لحكمة يعلمها هو

(قلت) في هذا الكلام من التعصب والغلط الشيء الكثير

(الاول) قوله أما التمويه بذكر توجه المسلم الخ فقول ليس عليه مسحة من تحقيق ، فكيف يكون الالتجاء إلى الله والانكسار بين يديه ، والاستغناء بما لديه تمويها . فاذاً قوله تعالى (فلا تدع مع الله أحداً) تمويه . وقوله (ففروا إلى

الله) تمويه . وقوله (مالكم من دونه من ولي ولا شفيع) تمويه . وقوله (ان الله هو الرزاق ذوالقوة المتين) تمويه. وقوله في الحديث « إذا سألت فاسأل الله» وقوله لأصحابه « لا تسألوا أحداً » تمويه . وقول العلماء :استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق وكاستغاثة السجين بالسجين - تمويه

(الثاني) قوله: ولو كان رأي الوهابيين الخ كلام ساقط كما سلف وأبنا أن ترك الاسباب ليس كمالا ولا يصح الأخذ به وهومخالف لسائر الاديان

(الثالث) قوله: فان كان يريد ان الاشتغال بذكر الله ومناجاته أولى فليس الكلام بيننا وبينه في الاولوية — ليس حسناً ولا صحيحا ولا اولى، بل لا يصح إهمال الاسباب في حال عند اجدائها وصحتها وشرعها ، وهو دين أنبياء الله كافة

(الرابع) قوله : لاحرج على من يلتفت للاسباب عالما ان الله الخ — ليس جيداً لانه إما أن يريد الاسباب المشروعة فقط أو أعم من ذلك - إن كان الاول فلا يصح بل يجب عليه الاخذ بها ، والسير على مقتضاها . وإن كان الثاني فباطل ، لان ماليس سببا شرعيا لايجوز الاخذ به مطلقا ،فالعبارة برمتها فاسدة هالكة ، وإن ظنها معجزة قاصمة

(الخامس) قوله ولا يبن من ترك الاسباب ثقة بالمسبب - قول نحيف سخيف فاهمال الاسباب ليس من ديننا ولا من دين الانبياء والحكماء، بل قول بعض المتصوفة المخذولين المتوهين، فالكتب المقدسة بلا استثناء آمرة بالاخذ بالاسباب الصحيحة فليأتنا بدليل واحد يدل على جواز ترك الاسباب وهجرها ثقة بالمسبب ، وهو أبعد عن يده من العيوق ،وأخفى على فكره من الشمس على عينه

(السادس) قوله فكان هذا غريقا في قدرته كما كان ذلك غريقا في حكمته عاملا بسنته الخ - إخاله يخال رحمة الله وقدرته بحرين ، لكن عساه يراهما بحرين عذبين . مارأينا قبل اليوم ولاسمعنا من وحي سماوي أوأرضي ان رحمة الله وقدرته

يغرق فيهما، ولكن الله يحدث من أمره مايشاء، فلعل الاغراق حادث لرحمته وقدرته فيكونان متغيرين ، ولعل فيهما من أنواع السمك كلها مايتمتع به الغريق ، ويمكن أن الصوفية الذين منهم (الدجوي) المصوبين الغرق في رحمة الله وقدرته ما زغبهم الا السمك ولحمه الطري — ولكن الشيخ لا يرضى بذلك فهو عصري مهذب له في اليوم الواحد بل في اللحظة الواحدة عقائد وأفكار كثيرة

رجوعا رجوعا — أبعدتُ وفهمتُ غير صحيح من قلة معرفتي بعلوم البلاغة التي صار الاستاذ فيها ضليعا — فهو يريد أن يشبّه قدرته ورحمته تعالى بالبحر بجامع الاحاطة والوسع في الامرين على سبيل الاستعارة بالكناية السمعة كقولي أظفار المنية علقت بكلام صاحب الفضيلة مولانا الشيخ الدجوي على مذهب القوم — هذا إن سلمنا انه من القوم، ورضي أن يكون منهم فان أبى او أبينا فنقول إذاً استعارة تصريحية تبعية على مذهب السكاكي ولا إخاله ينازعنا في كونه سكاكياً ، وإذا صح أن الامر كذلك فما فائدة هذا التقسيم الممل إذ كل من الرجلين وجميع الخلائق غريق برحمته وحكمته على هذا التفسير البلاغي ، فلا يمكن تمشية كلامه إلا أن يقال باطل باطل أو من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله

ثم قوله : عاملا بسنته — يقتضي أن الاول ليس كذلك . هفوات متراكمة وسقطات متناطحة . وقوله : لا حرج على الفريقين — سبق بطلانه . وأما ما زعم انه أفحم به السائل وألجم به من تحت القطب من الاعتراض بالاحياء وانه لو كان حديث التلذذ والمناجاة صحيحا لكان مثله في الحي ، وهو ما اولع به دائما من التسوية بين الاحياء والاموات وهي قولة لا تغني ولا تجدي (وما يستوي الاحياء ولا الاموات ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور) وقد سبق إبطاله

وأما ما أنكره من أن الميت لا تعلم حاله ، وان ذلك سوء ظن بالمسلمين فغاية النكارة والنكر ، فمن يمنع أن الانسان لا يعلم باطنه إلا الله أو من أوحي اليه ؟ وهذا شيء

متفق عليه عند جماهير المسلمين ، لايخالف فيه إلا متصوف جهول مدع معرفة المغيبات أو النبوة ،إذ عقيدة المرء غائبة ومستورة عنا ،والغيب لا يعلمه مخلوق (قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وما يشعرون أيان يبعثون) (ولا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول ـ ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون ـ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ـ قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ـ وما كان الله ليطلعكم على الغيب ـ ولا تقف ماليس لك به علم ـ ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لاتعلمهم ـ وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم) وهو كثير في الكتاب العزيز

وروى مسلم بن الحجاج في صحيحه أن الرسول ﷺ دعي الى جنازة صبي ليصلى عليها فقالت عائشة: طوبى له عصفور من عصافير الجنة . فقال رسول الله ﷺ «وما يدريك ياعائشة؟ ان الله خلق للجنة اهلا وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار اهلا وهم في اصلاب آبائهم » وفيه أيضا انه كان مع رسول الله ﷺ في قتال خيبر غلام له، فقتل، فقالت الصحابة هنيئا له الجنة فقال ﷺ « كلا ان الشملة التي غل من الغنائم قبل القسمة لتلتهب عليه ناراً » وفيه ايضا انه كان معه ﷺ في غزوة من غزواته رجل لا يدع شاذة ولا نادة إلا قتلها ، فأعجب به الصحابة فأثنوا عليه خيراً فقال «هذا في النار » فوقع في نفوس بعض الصحابة شيء، فذهب رجل من المقاتلين يقفو اثره حتى جرح وآلمه الجرح، فقتل نفسه ، فجاء الرجل وأخبر الرسول وأصحابه بالقصة

وفي البخاري ومسلم أن رجلا مدح رجلا عند الرسول فقال ﷺ «قطعت عنق أخيك . إذا كان أحدكم مادحا اخاه ولا بد فليقل أحسبه كذا وكذا ولا أزكي على الله احداً » وفيها ايضا انه ﷺ قال « يؤتى بالرجل يوم القيامة

فيلقى في النار ويجعل له رحى منها حتى تندلق امعاؤه فيجتمع عليه الناس، فيقولون مالك يا فلان ألست كنت تأمرنا بالخير وتنهانا عن الشر؟ فيقول كنت آمركم بالخير ولا آتيه وأنهاكم عن الشر وآتيه » وفي الصحيح ايضا ان الرسول ﷺ قال « ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من اهل النار. ويعمل بعمل اهل النار فيما يبدو للناس وهو من اهل الجنة وان العمل بالخواتيم» وفي الصحيحين انه ﷺ قال «ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى إذا لم يكن بينه وبينها الا شبر اوذراع سبق عليه الكتاب فعمل بعمل اهل النار فدخلها وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى إذا لم يكن بينه وبينها إلا شبر او ذراع سبق عليه الكتاب فعمل بعمل اهل الجنة فدخلها » والانباء في الباب كثيرة مستفيضة وهو غير فقير إلى الاستدلال ولكن ضرورة. وقد ذكر اهل السنة وغيرهم انه لا يحكم لأحد بالجنة او بالنار إلا بوحي من عند الله وهو مذكور في الكتب الصغيرة من كتب التوحيد

وبعد فنقول لذلك المعترض: إما ان تقطع لكل أحد يظهر الاسلام بالجنة إذا لم يظهر ما ينافيه ومات عليه او تظن له ظنا ـ إن كان الاول كنت مخالفا لجميع العقلاء والعلماء وللقرآن والحديث كما سلف. وإن كان الثاني وانك تظن له ظنا فقد رجعت وفندت قولك بقولك

وقوله :وهو سوء ظن بالله تعالى ـ لايدرى وجه ذلك السوء، ألأنه يرى الله يغير القلوب ويصرفها كيف شاء؟ فالقرآن يقول (واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه)والرسول ﷺ يقول «ان القلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف شاء» ونحن نرى الناس ينقلبون من كفر إلى إيمان ومن ايمان إلى كفر ومن صلاح إلى فجور ومن فجور إلى صلاح في الشهر والسنة واليوم والساعة واللحظة، او لان الله حجب عنا الحقيقة وان الظن الحسن بالله ان يرينا كل الاشياء على

وجهها وواقعها حتى نكون عالمين بالسر والعلن فهو أقبح من سابقه وما اوتينا من العلم الا قليلا . وان كان لانه يفيد أن الله ليس رحيما ولا عادلا وإلا لما كفر الناس وتركهم يخرجون من الدين ـ فهو أنكد من أخويه الماضيين (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ـ وإن تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله) وما أظنها إلا شقشقة ودمدمة لا يعرف الشيخ مصادرها ولا مواردها

وقوله :وإنا نلفت نظر السائل إلى أن من عاش على شيء مات عليه ـ هي فياشة مذمومة ، وكبرياء مكذوبة ، وهو أولا ليس وارداً على كلام السائل ، فالسائل يقصد أنا لا نعرف باطنه وما يخفيه ، فربما أظهر الايمان وكتم الكفران ، فلايكون عتراضه وارداً ـ وان العائش على الشيء مائت عليه ، فنحن نقول لا ندري ما الذي عاش عليه ، فخوفنا مما عاش عليه ، فما فعل قولك شيئا .

ويقال ثانيا قولك ان من عاش على شيء مات عليه وانه الحكمة والغالب وما خالفه شاذ لا يقاس عليه ـ يبطله الواقع والمشاهدة والنصوص الكثيرة ، وقد سلفت الاحاديث الناصة أن المرء يكفر بعد الايمان الطويل ،ويؤمن بعد الكفر . وفي البخاري انه ﷺ قال « تأتي فتنة النائم فيها خير من القاعد، والقاعد خير من الواقف والواقف خير من الماشي ، يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمنا ويصبح كافراً ،يبيع دينه بعرض من الدنيا »

أولا يرى الاستاذ ما على يمينه وشماله وخلفه وأمامه من خروج الناس من دين الله أفواجا ؛ وان كان لا يرى أفلا يسمع؟ وأما الحديث الذي جاء به وان من عاش على شيء مات عليه ـ فالجواب عليه (أولا) المطالبة بالصحة ،وفي أي كتاب؟ ومادرجته من الضعف والقوة؟ (ثانياً) المشاهدة تنفيه وتبطله (ثالثا) لو صح لوجب قصره على العادات والاخلاق دون العقائد والايمان للنصوص السابقة المشاهدة (رابعاً) المراد منه ان من عاش عمره كله على الايمان فعند آخر لحظة من حياته

يسدده الله ويثبته على الايمان

وقوله: وخلاف ذلك شاذ لا يقاس عليه - حسب انه مع الآمدي في باب القياس ولهذا منع جريانه هنا، وما شعر انه عند الله وفي أفعاله

قال الدجوي: ثم نقول ان الامور في العالم مبنية على الظن حتى الامور الشرعية والاحكام الفقهية، وعلى هذا يجب أن نعامل امواتنا فنغسلهم ونكفنهم وندفنهم في مقابر المسلمين ونورث اموالهم إلى غير ذلك، ولسنا على اليقين الذي يريده السائل، ولكن ذلك اليقين لم يشترطه أحد، فعلينا أن نعد من عاش في حياته على خير وصلاح من أهل الخير والصلاح بعد موته، ولا يجوز لنا غير ذلك، اتباعا لتلك الوساوس التي ما أنزل الله بها من سلطان. وليت شعري هل إذا رمينا أبا أحدهم بأنا لا ندري حاله أمسلم هو أم كافر أفيغضب أم لا؟ وهل يريد أن لا نعمل شيئا الا بناء على جزم ويقين؟ إذاً يختل أمر هذا الوجود وتبطل أحكامه. أما حديث عثمان بن مظعون الذي أشار اليه السائل، فالمراد انه ينبغي الخوف من سمة التصريف الالهي وان مرتبة العبودية لا تخطي مقام الرجاء والضراعة. وأم العلاء قد قطعت على الله بأنه مكرمه على سبيل الجزم، فأخرجت ذلك مخرج الشهادة، وأظن لو شهدت له بالدين والصلاح لتغير جواب رسول الله ﷺ لها. وقد قال في آخر الحديث «واني لأرجو له الخير» فهل يفرق السائل بين الرجاء وظن الخير؟ اهـ

(قلت) فيه امور (الاول) قوله ان الامور في هذا العالم مبنية على الظن الخ يفيد ان الامور الدينية والدنيوية جميعها ظنيات: فالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله الخ كله ظني، ومن يحكم هذا الحكم؟

(الثاني) وان كان الامر كما ذكر الا ان جوابه ليس في الموضع، إذ هذه دعوى السائل وان معرفة حال الميت ظنية فهو موافق له الا أن السائل لا يعمم مثله

(الثالث) قوله: وعلى ذلك يجب ان نغسل امواتنا ونكفنهم الخ مخالف فيه

لانسلم ان المعاملة للاموات هي لما ذكر ، بل معاملة الاموات تلك المعاملة ضرورة وضبط للامور لا لانا ظننا انه مسلم ظاهراً وباطنا بل لانه اظهر الاسلام

(الرابع) قوله وعلينا ان نعد من عاش في حياته على خير وصلاح الخ إما ان يريد من عاش على خير وصلاح ظاهراً وباطنا أو فيما يظهر فحسب — ان أراد الاول لم يكن رداً على السائل ومن يعرف الباطن غير الله ؟ وإن اراد الثاني فلا يسلم إذ لا يلزم من ظهور ما ذكر بطونه

(الخامس) إما ان يقصد أنا نعد على سبيل اليقين او الظن ، الاول باطل ، وهو نفسه قد أبطله . وان قصد الثاني فما أفاد شيئا

وقوله : لا يجوز لنا خلاف ذلك الخ . كيف يقال ان من قال : المرء يجب عليه أن لا يحكم الا بما علم ويكل الغيب إلى عالمه موسوساً وقائلا مالم ينزل به الله من سلطان ؟

وقوله من عاش في حياته ـ عبارة غريبة فهي من ظرف الشيء بنفسه . وبطلانه يعرفه من لم يفارق المهد .

وقوله ياليت شعري هل اذا رمينا احدهم بان أباه الخ إلزام عجيب فهبنا انكرنا ذلك وأنفنا منه ، فهل يدل على بطلانه ؟ قد يأنف المؤمن من الحق ويغضب من الصواب ، أيرانا معصومين ؟ ويقال أيضا : لو قيل لنا ذلك على سبيل إبانة الحقيقة لا الاهانة واللمز لم نأنف ولكنا نغضب إذا قيل لنا ذلك على طريق العيب والسخرية ـ ومنذ قليل قد عاب الطريقة الخطابية وقال انها لا تجدي شيئا في المقام التحقيقي العلمي وقد رجع إلى ماعاب وهذا * عار عليك إذا فعلت عظيم *

ثم اعتراضه ليس صحيحا اذ هو إنكار للاسلام الذي هو الظاهر وهو مكابرة . والتنظير الصحيح لو شككنا في ايمان ابي احدهم ـ ولكنه موفق أن لا يوفق

وقوله: هل يريد أن لانعمل إلا بالجزم ؟ اذاً يختل امر هذا الوجود وتبطل أحكامه الخ ـ كلام غير متين . فالسائل أولا لم يقل لانعمل إلا بالجزم، ولوقال ذلك لم يلزمه ما قال المعترض. وكان قوله يحمل على أمور الدين دون الدنيا فلا يجيء الاختلال الذي شنع به ، ولو كان أراد التعميم لم يلزم ماقال وصح أن يكون كلامه فيما يمكن الاستغناء عن العمل فيه على سبيل الظن . وأما في الضرورة فيباح الحرام . فيمكن السائل ان يجيبه ان العمل بالظن أصلا حرام ولكن يباح ضرورة كما تباح المحرمات ،والحكم على الاموات بالجنة او النار لاضرورة فيه . فبان ضعف كلام المعترض . وأما تأويل حديث عثمان بن مظعون ففيه ماسترى

(الاول) قوله ينبغي الخوف من التصريف الالهي الخ ـ يقتضي ان لا يجزم لاحد بجنة ولا نار فلا نقطع لرسول بسعادة ولا لكافر بشقاوة (الثاني) لم يخالف السائل في أن الامور ظنية ، بيد أن السائل أسعد منه حين جعل الظن فيما لا نص عليه باحدى المنزلتين، وأما المعترض فأجمل (الثالث) قوله انه لو شهدت له بالدين والصلاح لتغير جواب الرسول لها ـ قول لادليل عليه ، وما الفرق بينه وبين قول غيره ؟ وأظن لو قالت له ذلك لأنكره

وأيضا قوله لو شهدت له بالدين والصلاح ـ إما ان يريد ظاهراً وباطنا او ظاهراً فقط. أما الاول فهجوم على الغيب ويلزم منه ما أنكره الرسول ﷺ وما انكره المعترض ، وهو الحكم قطعا بان الله مكرمه ، لان الله اخبرنا وهو أصدق المخبرين ان كل صالح مكرم . وان كان الثاني فلا يحقق دعواه

(الرابع) قوله فهل يفرق السائل بين رجاء الخير وظن الخير ؟ ـ لاموضع له هنا فهو لا يريد التفرقة بين رجاء الخير وظن الخير بل انه لا يقطع لاحد بجنة او نار إلا بنص

(قال الدجوي) ولماذا لا يذكر السائل ما أخرج البخاري عن انس قال: مروا بجنازة فأثنوا عليها خيراً فقال النبي ﷺ « وجبت » ثم مروا باخرى فأثنوا

عليها شراً فقال «وجبت» فقال عمر ماوجبت؟ قال «هذا اثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة ،وهذا اثنيتم عليه شراً فوجبت له النار. أنتم شهداء الله في الارض» أو ما أخرج عن عمر قال قال رسول الله ﷺ « ايما مسلم شهد له اربعة بالخير ادخله الله الجنة» فقلنا: وثلاثة؟ قال «وثلاثة» قلنا: واثنان؟ قال «واثنان» ثم لم نسأله عن الواحد ـ او ما أخرجه البخاري ايضا من قوله ﷺ في شهداء احد « انا شهيد على هؤلاء » ثم نقول للوهابية جميعا :لماذا لا تذكرون قوله ﷺ « والله ما اخشى عليكم الشرك ولكن إخشى ان تسيطر عليكم الدنيا فتنافسوها » بل سارعتم إلى القول بالشرك الذي لا يخافه ﷺ على امته فأوسعتموهم ذبحا وقتلا معتقدين أنهم مشركون خارجون من الملة ، وكأن السائل أحس بذلك فقال على سبيل الجزم . اه

(قلت) اما إنكاره عدم ذكر السائل للحديث فليس وجيها، فما على المرء ولا المستدل ان يأتي بكل حديث ودليل ومسئلة لها ادنى ارتباط بالمسئلة التي ذكرها ، ولماذا لم يذكر الدجوي الاحاديث والادلة التي اسلفناها المضادة لما يقول فهو لا ياتي في كتاباته الا بما يوافق هواه ويتناسى ما يخالفه او يجهله . والائمة كلهم لا ياتون بكل شيء يتعلق بالمسئلة التي يتكلمون عليها ، فهل عيب ذلك عليهم ؟ فان كان يريد ان يقول هذا غش وتدليس ، فليس جيدا لامور (الاول) ان الحديث الذي اهمله ليس حجة عليه ولا منافياً للحديث الذي ذكر فخبر « انهم شهداء الله في الارض » لم يخبر انهم شهدوا له بالجنة ولا بالنار ، بل انه عمل خيرا ورأوا منه اعمالا طيبة وهو لا يضاد الشك في مصيره

وأما قوله ﷺ «وجبت ـ وجبت» فيمكن أنه أوحي اليه بذلك أو ألهمه الله ليس أخذاً من قولهم، وقول عمر مثله، فعمر اتبع الرسول ﷺ فيما حكم، ولا يؤخذ منه أن عمر يراه من أهل الجنة قطعاً ، فان كان عمر قطع له بالجنة فقوله غير حجة ،

فالحجة في الوحي أو في الاجماع . وعمر رضي الله عنه أعطي من الفراسة وقوة البداهة مالم يعطه غيره، فلا يجوز لغيره أن يسلك مسلكه

ونسأل هذا المعترض أيضا فنقول : هل تأخذ الحديث على ظاهره وان من شهد له ثلاثة او اثنان بالجنة يكون فيها قطعاً او ظنا . فالاول ـ مع بعده ـ يلزمه عليه ما لا يحبه ولا يرضاه ، وان الوهابيين كافة في الجنة أو أكثرهم ، فكل واحد منهم شهد له الجماهير الكثيرة بالصلاح والتقوى، فعليه يكونون في الجنة يقينا . ثم نأخذ بالرواية الاخرى بان من شهد عليه الصالحون بالشر يكون في النار ، فينتج منه أن الرجل الذي يشهد عليه الوهابيون بالشر من أهل النار ـ عملا بالحديث، ولا أظنه يرضاه ، ولابد حينئذ من أن يقول حاشا الوهابيين ، فيقال حاشا غير الوهابيين

ونرجع فنقول : إما أن يكونوا مشمولين بالحديث أو لا ، إن كان الاول وجب ما قلنا ، وإن كان غيره قلنا ما الذي أخرجهم من عموم الحديث ؟ إن قال لانهم ليسوا مسلمين كلف البرهان على كفرهم ، ولا يأتي بدليل إلا هدم. وان قال استثنيهم لئلا يلزم تكفير المسلمين . قلنا نؤول الحديث لئلا يلزم ما فررت منه . ويقال أيضا الحديث رد على المعترض أبلغ رد ، ففيه ان قوما أثنوا على الميت شراً ولم ينكره ﷺ ولو كان واجبا أن يعتقد فيمن ظاهره الاسلام انه في الجنة لخطأهم رسول الله وزجرهم عن ثلبه

ويقال بعد :هل تقول كل من يشهد له اثنان بالخير والصلاح يقطع له بالجنة سواء أكانوا صادقين أم كاذبين، أم ثم تفصيل ؟ إن كان الاول فإما أن يقول ان الاثنين الشاهدين معصومان ولا يمكن ان يشهدا إلا بما كان حقا فلا يخطآن . أو لا يقوله ـ إن كان الاول فلا يوافقه أحد ، وان قال انهما ليسا معصومين ، وقد يشهدان للمنافق بالصلاح والايمان، كذبا وزورا ، أو خطأ واغترارا ، ومعه يكون المشهود له بالجنة ولو كان في الحقيقة من الزنادقة، وهذا أبعد مما قبله. وان

قال هناك تفصيل فلا تكون شهادة الاثنين أو اكثر مدخلة الجنة إلا إذا كان المشهود له من مستحقيها وانه يجوز خطأ الشهود فقد بطل اعتراضه

وأما قوله في شهداء أحد « انا شهيد هؤلاء » فمن أغرب الاحتجاج. فكيف يلزم من انه شهيد عليهم انهم من أهل الجنة ؟ والشهادة قد تكون بالشر كما سلف وان كانت شهادته عليهم بالخير والصلاح لم يكن لغيره مثله إذ هو يوحى اليه ويطلعه الله على المغيبات (ولا يظهر على غيبه احدا إلا من ارتضى من رسول) ومع ذلك كانت شهادته على قتلى أحد لاتسوى بالشهادة على غيرهم لما جاء من الادلة الكثيرة في فضلهم وصلاحهم ظاهرا وباطنا . ويمكن ان يقال شهادته عليهم في انهم قتلوا في سبيله تعالى وأظهروا نصرته ، والدفاع عن شريعته.

ثم الحديث يقول «أيما مسلم شهد له» الخ ومن أين لنا انه مسلم ونحن لانعرف إلا الظاهر ، وما كل مظهر الاسلام مسلما إذ الاسلام عند أغلب العلماء هو الايمان والايمان لا يكون إلا باعتقاد وتصديق

وأما الحديث الذي شهدوا فيه لرجل بالخير وآخر بالشر فقال ﷺ لذي الخير « من أهل الجنة » ولذي الشر « من أهل النار » (فأولا) ظاهره إجماع الصحابة له وإجماعهم حجة (وثانيا) إن لم يكن إجماعا فهو من أغلبهم ، وقول اغلبهم حجة عند بعض العلماء (وثالثا) وان لم يكن الاغلب حجة فيمكن أن يكون كذلك مع شهادة الرسول ﷺ وانضمام شهادته إلى شهادتهم (ورابعا) ربما كان ذلك بوحي وقد صادف شهادتهم (وخامسا) ربما قيل في قوله وجبت له الجنة ووجبت له النار المراد بشرطه وهو أن يكون صالحا لدخول الجنة او دخول النار ولابد من ذلك وإلا أضحى الامر أضحوكة

(ويقال سادسا) قد تناقض الشيخ . ففي حديث عثمان بن مظعون جعل الامور في العالم جميعها ظنية ، وانه أنكر حتى على الصحابية الشهادة للمهاجر بالجنة ، ثم جاء

يعد بهذه الاحاديث وأخذ منها جواز الشهادة للميت بالخير أو الشر

وأما قوله: لم لايذكر الوهابيون حديث «والله ماأخشى عليكم الشرك» الخ فان كان يريد انهم لايذكرونه في كل الكتب المؤلفة لهم ولافي واحد منها فهو باطل فقد ذكروه في بعض تآليفهم. وإن كان يريد انه يجب عليهم أويحسن أن يذكروه في كل كتاب فهو بعيد، وما أظن الاستاذ جاء بهذا الحديث إلا ليرد على الوهابيين ويبطل به قولهم: ان الشرك قد يقع من بعض الامة الاسلامية. والحديث يفيد ان الشرك لايقع في هذه الامة، وهو فهم بعيد وقد قلد فيه غيره وهو الشيخ سليمان ابن عبد الوهاب؟ ونحن نبين ضعفه من وجوه:

(الاول) هو خطاب للصحابة فلايدخل سواهم إلا بنص وأين هو؟ (الثاني) قوله «لاأخشى» لايقتضي عدم وجدان المنفي عنه الخشية، إذ قد يقول القائل: والله لا أخشى الموت - وإن كان يعلم نزوله به قطعاً (الثالث) يحتمل انه في أول الامر أو قبل أن يوحى اليه ان الشرك يقع في امته (الرابع) مخالف بأكثر منه عدداً في الصحيح. قال ﷺ «لاتقوم الساعة حتى يعبد فئام من أمتي الاصنام» وفيه أيضاً انه قال «لا تقوم الساعة حتى تعبد اللات والعزى» وفيه أيضاً قال «لاتقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخلصة». وفي الصحيح وكثير من كتب الاسلام انه ﷺ قال «لتتبعن سنن من قبلكم حذو القُذّة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» وفي الصحيح قال ﷺ «لا تقوم الساعة وفي الارض من يقول لااله إلا الله» وفيه قال «ليذادن أقوام عن حوضي يوم القيامة فأقول يارب أصحابي فيقال انك لاتدري ما أحدثوا بعدك انهم ما زالوا مرتدين على أعقابهم» وفي مسند الامام أحمد قال ﷺ «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر وفتنة الدجال» واتباع الناس له في الاخبار بالغة مبلغ التواتر. وقال ﷺ «بدىء الاسلام غريباً وسيعود غريبا كما بدا، فطوبى

للغرباء » و « تأتي فتنة — إلى أن قال في آخر الحديث — يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمنا ويصبح كافراً ، يبيع دينه بعرض من الدنيا » والاخبار أكثر من أن تعد

(الخامس) إما أن يريد الحديث نفي الشرك عن الامة الاسلامية قاطبة أو عن بعضهم : الاول لا يقال . الثاني لا دليل فيه ألبتة

(السادس) إما أن يقصد نفي الشرك من أمة الدعوة والاجابة أو أمة الاجابة فقط . الاول لا يمكن والثاني إما أن يريد به نفي الردة عن كل داخل الاسلام ، فهذا أيضا لا يمكن، فلم يبق إلا تأويل الخبر إلى وجه من الوجوه السالفة الضاحكة

(قال الدجوي) ونحن نقول له يكفينا حسن الظن ، وحسن الظن بالمسلم مطلوب خصوصاً الصالحين ، وأما الجزم الذي يريد فلم يشترطه أحد كما قلنا

(قلت) إما ان يريد أن حسن الظن يكفينا ان يكون يقينا ، أو يكفي لان يعمل به على أنه ظني، الاول غير خاف أنه ليس مراداً . والثاني ان أراد انه يعمل به في كل موضع فغير مسلم ولا دليل عليه . وإن أراد في بعض المواضع ، فسائله لا ينازعه . وكيف يقال الظن يعمل به في كل موضع ؟ ولو كان كذلك لم تقبل قضية ولا حديث واحد إلا المتواتر، إذ الظن متطرق اليه وأنى يكون مقبولا والقرآن يقول (ان الظن لا يغني من الحق شيئا ـ إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الانفس)

وقوله : وحسن الظن بالمسلمين مطلوب ـ كلام منازع فيه ، ففيه تفصيل وليس على إطلاقه ، ولو كان حسن الظن مطلوباً لكل من أظهر الاسلام لفسد الاسلام واختل النظام (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) ولو كان مسلماً وقال (وإذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا) وهذا يعقوب عليه السلام اتهم أبناءه فقال(لن أرسله معكم ـ إلى قوله ـ والله على ما نقول وكيل) ولما قالوا له(ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا)قال لهم

{ بل سولت لكم أنفسكم أمراً) فان قيل لأنهم خانوه أولا ، قلنا أولاد يعقوب على عجرهم وبجرهم أحسن من صالحي أهل زماننا ، وهيهات ان نحسن الظن بمن قال القرآن فيه (ان الانسان لظلوم كفار ـ وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ـ قتل الانسان ما أكفره ـ ان الانسان لربه لكنود ـ كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى ـ وإذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر كان يؤوسا)إلى غيره من الآيات الجارحة للانسان (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون * الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم)

وفي فن الحديث لا يقبل حديث الرجل حتى تعرف حاله فلا يكفي ظهور الاسلام ،فهذا سوء ظن بأهل الاسلام .

وهذا المعنى شائع في لسان الادباء والشعراء والكتاب ، فطالما اتهموا الناس ونبزوهم بأصناف العيوب . قال قائلهم :

وصرت أشك فيمن أصطفيه   لعلمي انه بعض الانام

والظلم من شيم النفوس فان تجد   ذا عفة فلعلة لا يظلم

ودهر ناسه ناس صغار   وان كانت لهم جثث ضخام

وغير ذلك مما هو معروف مشهور من الحكم الشعرية

وانما الحزم سوء الظن بالناس ، ولسنا نعتمد على أقوالهم بل نبين أنا لسنا منفردين بهذا الرأي ، وبعد ذلك كله فالسائل لم ينكر حسن الظن بالمسلمين بل قرره وأثبته ، فان كان قولي صحيحا فالسائل والمسئول مخطآن ، وان كان باطلا فلا اعتراض على السائل

(قال المكي) ومن المجازفة أن نزيد على حسن الظن فيمن لم يردهم شهادة من المعصوم

(قال الدجوي) ونحن نقول : ومن المجازفة أن نسيء الظن بمن لم يرد فيهم نص من المعصوم خصوصاً من ظهرت عليه علامات الخير، وأمارات الصلاح ، أو ظهرت له كرامات في حياته أو بعد مماته ، وتجويز أن يكون قد تغير حاله من سوء الظن بالمسلمين بل بالله كما هو عقوق للآباء والاجداد اه

(قلت) اعتراض لا محل له لان السائل موافق على استحسان حسن الظن أو إيجابه بلا زيادة ولا نقصان ، فما وجه قوله : ومن المجازفة أن نسيء الظن ؟ وهل قال السائل إني أسيء الظن أو أشير اليه ، ولكن الشيخ نسى أن هناك واسطة بين الامرين

وقوله : خصوصاً من ظهرت عليه أمارات الخ — سائله لا ينكره . وقوله : وتجويز أن يكون قد تغير حاله الخ — غير جيد لأنا إذا رفعنا التجويز صار يقينا ومن يقول إن زيداً المؤمن أمس أجزم انه مؤمن اليوم أو غداً ؟

(قال المكي) وكم أكون مسروراً لو عثرت لنا على نص صريح في هذا النوع من الوسيلة

(قال الدجوي) قد ذكرنا من الادلة العقلية والنقلية الشيء الكثير ، وقد كان يكفيه حديث واحد على ما يقول

(قلت) حقا ذكر الشيء الكثير من الادلة العقلية والنقلية : أما الادلة العقلية فهو التسوية بين الحي والميت. وأما الادلة النقلية فحديث الاعمى ، وهذان الدليلان العظيمان في عينه قد رآهما السائل كثيراً كثيراً فما زاده شيئا وما أجابه إلى طلبته

ثم ختم الرئيس الجليل صاحب الفضيلة مولانا الشيخ يوسف الدجوي مقاله الرائع ، ونوره الساطع ، وحكمه الفتانة ، وأجوبته المسكتة الشافية بقوله :

وعلى الجملة فقد أجمعت الشرائع كلها والفلاسفة الاقدمون والفلاسفة العصريون أو نقول المسلمون والاوربيون والاميركيون والهندوس على اثبات الحياة ولوازمها للارواح وعلى أن لها من الاطلاق وسعة التصرف مالم يكن لها حال حياتها في هذا العالم وهو عين ما قرره ابن القيم أحد أئمتهم في كتاب الارواح . أسأل الله أن

يزيل عنا حجاب المادة وكثافة الطبيعة، وظلمة الاشباح بمنه وكرمه. اه

(قلت) هل نقول في هذا الكلام شيئاً أو نكله إلى القراء أو نشترك جميعاً في القول فيه ؟ لاأدري كيف يستكثر بجمع الالفاظ ومترادفاتها وتكرارها بأو ، والتفصيل بعد الاجمال ، والاجمال بعد التفصيل - يقول ان الشرائع كلها والفلاسفة السابقين واللاحقين من مسلمين وكافرين مجمعة على وجود الارواح في حال الحياة وبعدها ، وانها أقوى منها وأنفذ بعد موتها . وأجمعوا أيضا على اثبات لوازم حياتها ، وهو ما يقرره من التوسل ودعائها وندائها والاستغاثة بها ، وهذا الحكم منه قائم على قواعد :

(الاولى) أن فضيلة الشيخ قد اطلع على الكتب المنزلة من عند الله كلها ، وعلى كتب الفلاسفة أجمع من متقدمين ومتأخرين ، وما أظن أحداً يقدر على هذا ماخلا الله

(الثانية) أن الناس أجمع مؤمنون بالروح مثبتون لها وانه ليس هناك مذهب مادي ينكر الروحانيات ، وهذا المذهب موجود الآن في أوربا (الثالثة) أن الخلائق كلها من مؤمنين وملحدين مؤمنون بالتوسل منادون للاموات، لانه من لوازم حياة الارواح كما قال هو ، وهل يرى مولانا أن ملاحدة بلده يلجأون ويستغيثون عند كربهم بالامام الشافعي والسيد الحسين مثلا ؟

(الرابعة) أن خصومه من الوهابيين ليسوا مسلمين لانه يقول : أجمع المسلمون على ذلك ، والوهابيون غير قائلين به ، فالنتيجة هم غير مسلمين (الخامسة) ان ابن القيم يجيز التوسل بأنواعه ، لانه بعد حكايته كلامه قال : وهو عين ما قرره ابن القيم . ومن جملة ما حكى إثبات لازم الحياة ، ولازم الحياة للروح دعاؤها، والاستغاثة بها. لا أدري أهو يذكر هذه القواعد عند زبره مازبر؟

وقوله : أسأل الله أن يزيل عنا حجاب المادة وكثافة الطبيعة — كأنه سئم من الماديات كلها وطلب نسف الارض وما عليها وما تحتها وما عن جهاتها ، إذ

لايتأتى إزالةحجاب المادةإلابذلك ، أوهو يسأل وبه أنيكونولياً يخترق بصره الحجب الكثيفة ـ الله أعلم بمراده

***

لست أدري ماذا يقول ويصنع عندمايرى كتابي هذا؟ أينكمش خجلا وحياءاً أم ينفجر غيظا واعتداءاً ؟ أم يقول (ربنا ظلمنا أنفسنا فاغفر لنا ذنوبنا) وهذا أحبها الينا والله أعلم بما كان ومايكون

وقد أهملنا بعض أسئلة المكي وأجوبة الدجوي استغناء بما سبق في كتابنا فما تركنا إلا ما تكلمنا عليه . والله أعلم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

تم الكتاب بعون الواحد الصمد — مبرءاً من عيوب الحيف والفند
يختال في حُـلل التوحيد ضافية — مثل اختيال العذارى بالملا الخرد
تكاد من حسنه تهوي النجوم له — وينزل الطير بين الجمع والوحد
يكاد يبصره الاعمى ، ويسمعه الصـــم الأذان ويهدي فاقد الفَنَد
يرضى به كل من كانت سريرته — تقوى الاله ولم يحسد ولم يحد
بُرءُ الصديق وبُرءُ المؤمنين غداً — وعلة لذوي الإشراك والحسد
من اشتراه بما نالت يداه يكن — هو الربيح ولو بالاهل والولد